وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر — **قسم التاريخ**
كلية العلوم الإنسانية — **تخصص وسيط**

النشاط الصليبي لهيئة الإسبتارية
492 – 928 هـ / 1099 – 1522 م

رسالة لنيل شهادة الماجستير
في التاريخ الإسلامي

إعداد / الطالبة : سامية سليماني
إشراف / الدكتور : موسى لقبال



السنة الجامعية
1421 – 1422 هـ / 2000 – 2001 م

بسم الله الرحمن الرحيم

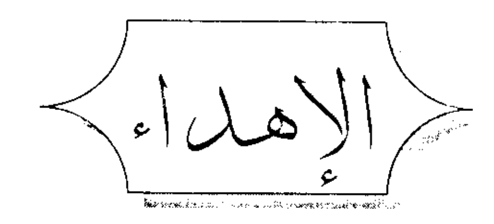
شكر و امتنان

يسرني في هذا المجال أن أقدم شكري لأستاذي الفاضل

موسى لقبال

الذي وافق على الاشراف ووجهني أحسن توجيه، واليه يعود الفضل في بروز هذا البحث على هذا الشكل.

كما أوجه شكري الى كل من ساهم في انجاح هذا البحث



أهدي ثمرة جهدي وعملي إلى:

وطني.

أمي وأبنائي الأعزاء.

عائلتي سليماني وعائلة عوالي.

إلى الذي كان المساعد الأول لي في إنجاز

هذا البحث زوجي صديق.

سامية

مقدمة البحث

مقدمة:

لدراسة النشاط الصليبي لهيئة الاسبتارية 492-928 هـ / 1099 – 1522 م أهمية خاصة و هذا للدور البارز الذي لعبته هذه الهيئة في الأراضي المقدسة و في جزيرتي قبرص و رودس ، فقد شاركت في سياسة المواجهة بين المسلمين و الصليبيين في جميع هذه البقاع بحيث مثلت الهيئة بفرسانها طرفا حاسما لا يستهان به في ساحة الخلاف بالشرق الإسلامي إذ سجلت مشاركتها تقريبا في جميع المعارك الحاسمة بين المسلمين و الصليبيين بعد أن كان دورها مقتصرا على العمل الإنساني ، كما كان لهيئة الاسبتارية دورا في العلاقات المالية مع أطراف كثيرة بسبب توسع ممتلكاتها إلا أن اهتمامي انصب بالدرجة الأولى على ذلك النشاط الصليبي الذي قامت به الهيئة ، و رغم أهمية الموضوع فإنه لم يحظ بالعناية المطلوبة في شكله الضيق من قبل الباحثين سواء كان مسلمين أو غربيين؛ و لهذا ارتأيت أن أتتبع دور هيئة الاسبتارية الصليبي حتى أتوصل إلى إبراز هذا النشاط في قالب واضح و سليم و أساهم بذلك في توضيح الرؤية الإسلامية للموضوع من ناحية و إثراء المكتبة العربية الإسلامية من ناحية أخرى و قد حاولت إبراز نوع العلاقات بين الشرق الإسلامي و الغرب الأوربي ، و ما ترتب عن هذه العلاقات من ازدياد معرفة الشرق بالغرب أو الغرب بالشرق.

إن هيئة الاسبتارية التي يسميها المؤرخون الأجانب " **Les Hospitaliers** " عبارة عن جماعة من رجال الدين المسيحيين الذين نذروا أنفسهم لخدمة الدين ، فهي هيئة تركز عملها في بداية أمرها على الجانب الإنساني ، أي إسعاف الحجاج المسيحيين ، ولكنها سرعان ما تحولت إلى هيئة عسكرية ، كما قامت بدور خطير في المرحلة الأخيرة من مراحل الحركة الصليبية إذ مثلت الدرع الواقي لجميع الصليبيين.

و ينقسم هذا الموضوع الذي يتمحور مضمونه أساسا حول النشاط الصليبي لهيئة الاسبتارية إلى مقدمة و أربعة فصول و خاتمة.

الفصل الأول: عنوانه قيام هيئة الاسبتارية و تنظيماتها الداخلية. و قد تناولت في الفصل شرح بإيجاز الظروف العامة لنشأة الاسبتارية ، و بعدها نشأة الهيئة ، كما تعرضت إلى إبراز شروط العضوية في الهيئة ، كما أبرزت التنظيمات الداخلية للهيئة و ركزت على الجهاز الإداري لها ، و هذا كله في الشام و مصر ، ثم تعرضت إلى إبراز كيف تم إعادة هذا التنظيم في جزيرة قبرص بعد أن انتقلت إليها هيئة الاسبتارية منذ 690 هـ / 1291 م ، و بعدها حاولت إبراز التغيرات التي عرفتها هيئة الاسبتارية في فترة تواجدها بجزيرة رودس بعد مغادرتها لجزيرة قبرص منذ 709 هـ /1310 م فكان أن وضحت كيف تم تقسيم الهيئة إلى طوائف محلية و برزت مدى سيطرة مؤتمر الهيئة على توجيه سلطات مجلس الاسبتارية على الإدارتين المركزية و الإقليمية.

- أما **الفصل الثاني** فعنوانه : الدور الصليبي لهيئة الاسبتارية منذ تحولها إلى هيئة عسكرية حتى معركة غزة الثانية 543 – 642 هـ / 1148 – 1244 م و تناولت فيه شرح ظروف التحول العسكري لهيئة الاسبتارية ، وكيف كانت السند القوي للجيش الصليبي كما تعرضت إلى إبراز دورها في الدفاع عن بيت المقدس عام 547 هـ / 1152 م ، و كذا دور الهيئة في الصراع مع الصليبيين و السلطان صلاح الدين الأيوبي ، كما تعرضت إلى توضيح دور الهيئة في مشاركتها في معركة حطين 583 هـ / 1187 م ، و أهم انعكاسات المعركة أي حطين 583 هـ / 1187 م على هيئة الاسبتارية و بعدها حاولت إبراز دور هيئة الاسبتارية في الحملة على دمياط 615 – 618 هـ / 1218 – 1221 م ، و أخيرا موقف الهيئة من معركة غزة الثانية 642 هـ / 1244 م .

- أما **الفصل الثالث** : دور الاسبتارية الصليبية منذ 658 – 709 هـ/1260 – 1310م. و تعرضت في هذا الفصل إلى إبراز مساهمة هيئة الاسبتارية في الصراع مع الدولة المملوكية في مصر ، كما تعرضت بإيجاز إلى الدور الذي قامت به الهيئة في الصراع بين الصليبيين مع السلطان الظاهر بيبرس 658 – 676 هـ/1260 – 1277م.

ثم حاولت إبراز نشاط هيئة الاسبتارية في عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون 678 – 689 هـ / 1279 – 1290 م وبعدها تعرضت إلى توضيح دور الهيئة في الدفاع عن مدينة عكا في عهد الأشرف صلاح الدين خليل 689–690 هـ / 1290 –

1291م كما تعرضت بعدها إلى إبراز كيف تم تحول هيئة الاسبتارية إلى قبرص و أهم نشاطاتها ، فقد حدث أن تحولت كذلك إلى قوة بحرية يحسب لها ألف حساب كما قمت بتوضيح ذلك الدور الذي قام به أعضاء مجلس إدارة هيئة الاسبتارية بليماسول في إعادة تنظيم الهيئة و كذا محاولات الهيئة الحربية من أجل العودة إلى الأراضي المقدسة ، و في نهاية الفصل حاولت توضيح ظروف انتقال الهيئة إلى جزيرة رودس 709 هـ / 1310 م ، و كذا الصعوبات التي تلقتها الهيئة من أجل غزو هذه الجزيرة.

- أما الفصل الرابع فعنوانه صراع الاسبتارية مع القوى الإسلامية 709 – 928 هـ / 1310 – 1522م.

و قد حاولت في هذا الفصل توضيح ذلك الدور الكبير الذي قامت به هيئة الاسبتارية في الصراع مع القوى الإسلامية فتوجب عليّ تقسيم هذا الفصل إلى قسمين :

قسم خاص بالعلاقة بين الاسبتارية في رودس مع السلاطين المماليك في مصر و الشام .

قسم خاص بعلاقة هيئة الاسبتارية في رودس مع الدولة العثمانية ، ففي القسم الخاص بالعلاقة بين الاسبتارية في رودس مع المماليك في مصر و الشام ، ركزت على إبراز دور هيئة الاسبتارية في الحملة الصليبية على مدينة الإسكندرية 757 هـ / 1365 م ، و كذا مساهمة هيئة الاسبتارية في مقاومة جميع الحملات المملوكية على جزيرة رودس .

أما فيما يخص الجزء الخاص بعلاقات هيئة الاسبتارية مع الدولة العثمانية ، فقد حاولت توضيح ما مدى وقوف هيئة الاسبتارية إلى جانب الأطراف الصليبية الأخرى من أجل تدمير قوات الدولة العثمانية ، فكان أن شاركت الهيئة في الاستيلاء على مدينة أزمير التركية عام 1344 م كما كان للهيئة دور في عقد الصلح بين العثمانيين و الصليبيين 1347 – 1351 م .

كما حاولت في هذا الفصل إبراز موقف هيئة الاسبتارية من تهديد السلاطين العثمانيين لجزيرة رودس و أزمير و أنهيت الفصل بالتعرض إلى مصير الهيئة بعد استيلاء الدولة العثمانية على القسطنطينية 837 هـ / 1453 م إلى أن تمّ للعثمانيين الاستيلاء على رودس عام 928 هـ / 1522 م.

المصادر و المراجع :

لقد استفدت من مجموعة مصادر و مراجع من أجل الوصول بهذا العمل المتواضع إلى ما هو عليه .

أما عن المصادر الأجنبية التي أفادتني في تسليط الأضواء على جوانب الموضوع و يأتي في مقدمتها كتاب **L'Estoire de eracles empereur de la conquête de la terre d'outre mèr – dans R.H.Oc. T I et T II.**

للمؤرخ و ليم أسقف صور الذي يعتبر من أبرز مؤرخي القرن الثاني عشر ولد ببيت المقدس عام 1130 م ، تقلد عدة مناصب ، حين عين شماسا ثم رئسا للشماسة بصور **"Tyr"** و في عام 1170 م أسندت إليه مهمة تربية بلدوين الرابع **Baudouin IV** ، وعند توليه هذا الأخير عرش بيت المقدس صار وليم مستشارا له و رئيسا لأساقفة صور 1174 – 1175 م و قد أفادني كتاب و ليم الصور خاصة في التعرف على التنظيمات الداخلية للهيئة و في المعارك التي خاضتها هيئة الاسبتارية مع المسلمين و نظرا لأهمية المعلومات التي أوردها في كتابه فقد ترجم عدة مرات تحت عنوان تاريخ هرقل " **Histoire de Eracle** ".

كما استفدت كثيرا من كتابات المؤرخ الإيطالي إيمي دوكاسان "**Aimé de mont cassin**" مؤرخ عاش قبيل الحروب الصليبية ، و كتب عن المنشآت الأمالفية التي اتخذت الاسبتارية مركزا لها و ذلك في كتابه **L'ystoire de li normant dans R.H.C , ..Hist. Oc, T.V**

كما استفدت من كتابات نشرها أحد كبار فرسان الاسبتارية و اسمه و ليم سان استيف " **Guillaume de saint estéve** " عام 1303 م ، و ذلك فيما يخص النشأة الأولى لهيئة الاسبتارية وكتاباته تحت عنوان :

Exordum aux dernières années du 12 siècles

و من المصادر اللاتينية الهامة و المتعلقة بالساحة الشرقية أيضا كتاب لمؤرخ مجهول

و الذي قام بترجمته إلى العربية الدكتور حسن حبشي و عنوانه : " أعمال الفرنجة و حجاج بيت المقدس "

Gesta fran courum et Aliorum hierosolymi tanorum

و يعالج الكتاب الفترة الممتدة ما بين 1095 – 1099 م، و يعتبر من المصادر الأولية في تاريخ الحملة الصليبية الأولى و ما يزيد من أهمية المصدر أن المؤرخ كان شاهد عيان لأغلب المعارك و الأحداث التي جرت في الشرق و قد استفدت من كتاب أعمال القبارصة و يعتبر من الكتابات البالغة الأهمية ألف في القرن 14 م ، و هو على شكل حوليات يعطينا معلومات وافية على أحداث القرن 12 و 13م و ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول منه عنوانه **Chronique de la terre sainte** بدأ من عام 1132 م و ينتهي إلى عام 1224 م ، ألفه المؤرخ **Gérard de Montréal** و قد أفادني هذا القسم في المعارك الحاسمة التي دارت بين الصليبيين و المسلمين .

أما القسم الثاني فقد ألفه **Philippe de nevare** و قد استفدت من القسم الثالث كثيرا خاصة فيما يتعلق بأحداث سقوط مدينة عكا عام 1291 ، و في مساهمة هيئة الاسبتارية في الدفاع من أجل الاحتفاظ بالمدينة، و كيف كانت نهاية الصليبيين ببلاد الشام، وكيف انتقلوا إلى جزيرة قبرص و تنتهي أحداث هذا القسم التي تبدأ من 1244 إلى غاية 1309م .

كما استفدت من كتاب المؤرخ ألبرت دايكس **Albert d'Aix** و عنوانه تاريخ بيت المقدس **Historia Hierosoly milanae** ألفه في حوالي عام **1130** م ، و قد أفادتني كتابات هذا المؤرخ خاصة في الحملة الصليبية الأولى في حلّ المعارك التي وقعت بين المسلمين و الصليبيين في هذه الفترة.

و قد استفدت أيضا من كتاب فوشيه دي شارتر الذي يحمل عنوان أعمال الفرنجة و حجاج بيت المقدس **Gesta francorum Jérusalem perigrimantuim**

و يعتبر فوشيه دي شارتر شاهد عيان للحملة الصليبية الأولى ، بل اشترك في جميع المعارك المستحكمة بين الصليبيين و المسلمين في هذه الحملة.

كما لكتاب "Chronique" "Ernoul" أهميـة خاصـة فـي جل المعـارك التـي اسـتحكمت الصليبيين ما بين 1183 – 1227 م.

والمؤرخ إرنول عاش في القرن 13 م كلف بمهمة حماية بيت المقـدس من طـرف عمـوري الأول ، وتنـاول بشرح دور الاسبتارية إلى جانب القوات الصليبية خاصة فـي معركـة حطيـن و الكتاب على شكل حوليات.

هنـاك مجموعـة مـن الوثـائق المنشـورة بلغتـها الأصليـة أو المترجمـة إلـى اللغـات الأوربيـة الحديثة ، تمكنت من الاستفادة منها في هذا البحث المتواضع خاصة فيما يخص بفـترة تواجـد الهيئة بجزيرتي قبرص و رودس أهمها :

كتابات المؤرخ :

Maslatrie :Commerce et expédition militaire de la France et de Venise au moyen Age.

وكتاب المـؤرخ ماشـو **"Mâchaut Guillaume"** وعنـوانه " الحملـة على الإسكندرية" **La prise d'Alexandrie** ، و ماشـو مـؤرخ معـاصر لأحداث تواجـد الاسـبتارية فـي قبرص إلـى جـانب كتـاب المـؤرخ ماشـيراس **Mâcheras L'eonce** الـذي عنوانـه **"Chronique de Chypre"**.

وكذلك كتابات المؤرخ قاي **"Gay"** و عنوانه:

Le pape clément VI et les affaires d'orient 1342 – 1352.

المصادر العربية

من أهم المصادر العربية التي اعتمدت عليها كتاب الكامل لابن الأثير الجزري - الذي ولد في جزيرة ابن عمر على ضفاف دجلة بالعراق عام 556هـ /1160 م ، توفي في الموصل عام 630 هـ / 1238 م - في جوانب عديدة و خاصة في تفاصيل المعارك التي دارت بين هيئة الاسبتارية و المسلمين ، و يمتاز كتابه بالعلمية و الاعتدال ، و يتألف كتاب ابن الأثير من أثني عشر جزء اتبع فيه المؤلف طريقة الحوليات كما أنه لم يشر صراحة إلي دور الاسبتارية فكان أن أشار إلي الصليبيين في المعارك المستحكمة ما بين الصليبيين و المسلمين.

كما استقيت معلومات كثيرة و بالغة الأهمية من المؤلف بهاء الدين بن شدّاد 632هـ /1234 م ،في كتابه "النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية" و يعتبر كتابه من المصادر الأساسية لدراسة عهد صلاح الدين الأيوبي ، لاعتباره كان قاضي العسكر في عهده ، كما قاد معه جل المعارك الحاسمة ضد الصليبيين ، تقلد منصب أمير حلب منذ 1216 م إلى أن مات بها عام 632 هـ / 1234 م.

ومن المصادر الأخرى التي أفادتني في البحث كتاب المؤلف أبو شامة 665هـ/1267 م صاحب كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الزنكية" ، و يعتبر كتابه مصدرا هاما لتاريخ الدولة النورية و الزنكية حيث تناول في كتابه فترة عماد الدين زنكي ، و نور الدين محمود ، و صلاح الدين الأيوبي ، كما يعالج المؤلف جميع المعارك المستحكمة بين الأطراف الإسلامية و الصليبية .

ومن المصادر التي اعتمدت عليها كذلك "مفرج الكروب" لابن واصل 697 هـ /1298 م وهو يقع في ثلاثة أجزاء يتناول فيه المؤلف تاريخ السلاطين الأيوبيين منذ عام 530 هـ / 1135 م حتى عام 688 هـ / 1282 م. وقد كان ابن واصل مقيما في مصر في الفترة الأخيرة من عصر الأيوبيين و بداية دولة المماليك ، كما تكمن أهمية كتابه في أنه يعطينا وجهة النظر الإسلامية ، كما أنه يذكر الأطراف الصليبية و يسميها بأسمائها، و يعتبر

كتاب ابن واصل المصدر الوحيد تقريبا الذي يشير إلى مشاركة الاسبتارية جنبا إلي جنب مع باقي الأطراف الصليبية .

كما أن كتاب المقريزي **865 هـ / 1442** م لا يقل أهمية في سرد الأحداث التي دارت في عهد الأيوبيين و المماليك ، وكتابه تحت عنوان " السلوك بمعرفة دولة الملوك ".

وهناك مجموعة أخرى من المصادر أفادتني في هذا البحث أذكر منها :

- كتاب " زبدة الحلب" لابن العديم **660 هـ / 1262** م.
- كتاب " الفتح القسّي في الفتح القدسي" لصاحبه العماد الأصفهاني **597 هـ /1161** م.
- كتاب " المختصر في أخبار البشر" لأبي الفداء **732 هـ / 1331** م.
- كتاب " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " للقلقشندي **821 هـ / 1414** م.

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها في حملة الملك القبرصي على الإسكندرية كتاب أبي المحاسن **874 هـ / 1469** م "النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر و القاهرة " .

وكذلك كتاب ابن إياس " بدائع الزهور في وقائع الدهور" بأجزائه الأربعة و هو مصدر بالغ الأهمية لاحتوائه على معلومات وافية عن الصراع الصليبي الإسلامي في فترة المماليك والدولة العثمانية.

وتجب الإشارة إلى كون المصادر العربية لا تشير إلى دور الاسبتارية إلا قليلا ، كما أنه لا تميز بين القوات الصليبية في الغالب ، و قد اعتمدت في هذا البحث المتواضع على مصادر معاصرة و من حسن حظي أن المصادر الأجنبية قد تناولت بنوع من التفصيل الدور الإيجابي للهيئة إلا أنها ينقصها نوع من الدقة و أحيانا لا تقف على أشهر المعارك خاصة إذا كان الفوز حليف المسلمين.

كما تمكنت من استقاء معلومات وافية على هيئة الاسبتارية من خلال كتابات حديثة يمكن تقسيمها إلى قسمين:

1. المراجع العربية

لقد اعتمدت على مجموعة من المراجع الحديثة في إنجاز هذا البحث المتواضع أذكر منها كتاب الدكتور سامي سلطان " الاسبتارية في رودس" الذي اعتمدت عليه كثيرا فقد أنار لي خطوات البحث فكان أن استفدت منه خاصة فيما يخص التنظيمات الداخلية للهيئة و في علاقاتها سواء مع القوى الإسلامية أو القوى المسيحية ، كم استفدت من رسالة قمعون عاشور وعنوانها "النشاط الصليبي لهيئة الداوية في بلاد الشام و غرب أوربا" خاصّة وأن هيئة الداوية كانت تعمل جنبا إلى جنب مع هيئة الاسبتارية في جل معاركها حتّى سقوط آخر معقل للصليبيين بالأرض المقدّسة عام **1291** ، كما تواصل نشاط الهيئتين الحربي إلى غاية **1306** أي في فترة تواجد الاسبتارية في جزيرة قبرص .

كما استفدت من كتاب عبد الفتاح عاشور "الحركة الصليبية" الذي يقع في جزئين ، الجزء الأول يتناول فيه موضوع الحروب الصليبية ، ويمتاز الجزء الثاني بكونه أكثر تفصيل في الحديث عن الحروب الصليبية ، وكتاب " العصر المماليكي في مصر و الشام " إلى جانب كتاب " قبرص و الحروب الصليبية " هذا فضلا عن مراجع أخرى عربية ، أهمها كتاب " الحرب الصّليبية الأولى " للدكتور حسن حبشي ، وكتاب رنيسمان " تاريخ الحروب الصّليبية " خاصة الجزء الثاني والثالث .

2. المراجع الأجنبية

يأتي على رأس قائمة المؤرخين الذين رجعت إلى كتاباتهم على هيئة الاسبتارية المؤرخ الفرنسي ديلافيل لاروكس (**Delaville le Roulx**) الذي قضى عشرين عاما من عمره في جمع ودراسة وثائق الاسبتارية المحفوظة في مختلف دور الوثائق بأوربا ومن مؤلفاته التي اعتمدت عليها أذكر كتاب " فرسان الاسبتارية في الأرض المقدّسة وفي قبرص " **Les Hospitaliers en Terre sainte et à Chypre , Paris 1904** و قد استفدت منه كثيرا في معرفة التفاصيل الدقيقة عن أشهر سادة الاسبتارية وأهم الأعمال التي قاموا بها، كما اعتمدت على كتابه **Cartulaire GENERAL des**

Hospitaliers de saint jean de Jérusalem ، وهو على أربعة أجزاء يتناول وثائق هامة تتعلق بالاسبتارية ونشاطها في الشام من 1168 م حتى 1310 م. إلى جانب كتابه Les Hospitaliers à Rhodes1310-1421 وما يلاحظ في هذا الكتاب أن ديلافيل حاول أن يؤرخ لكل رئيس اسبتاري ابتداء من الرئيس فولك دي فلاريه الذي تمّ على يديه غزو رودس في عام 1310 م حتى نهاية عهد السيد قليبيرت دي نيلاك المتوفى عام 1421 م .

ومن المراجع التي اعتمدت عليها بشكل كبير في هذا البحث كتاب للمؤرخ King وعنوانه " The Knights Hospitallers وقد استفدت من هذا الكتاب خاصّة في الفصل الأول الذي تناولت فيه التنظيم الإداري للهيئة .

كما اعتمدت على كتاب:

Grousset : Histoire des croisades

Richard (Jean) : Le Royaume latin de Jérusalem .

إلي جانب مراجع أخرى مثل:

- **Atiya (AS)the crusade in the later ; Midle ages.**
- **Run ciman (Steven) : Byzantine civilisation.**
- **Janathan Riley smith : The first crusaders 1095 – 1131**
- **George tate : l'orient des croisades.**
- **Des champs (Paul): Les chateaux des croisés en terre sainte**

وقد اعتمدت في ذكر الأحداث عن الحملات الصليبية ضد المماليك والعثمانيين في القرنين 14 و 15 على كتابات **Jorga : Philippe de Mesiers (1327-1405) et la croisade au XV**

وكتاب:

XV s. Note et Extraits pour servir à l'Histoire des croisades au

. 1 serie, 1889 ,

كما استفدت من كتاب المؤرخ **Vertot** وعنوانه :

Histoire des chevaliers de sainte jean de Jérusalem et de Rhodes

ويتألف كتابه من أربعة أجزاء وتناول في الجزء الثاني والثالث أحداث عن هيئة الاسبتارية خاصّة فيما يخص علاقتها مع المماليك والدولة العثمانية.

كما أفادني كتاب المؤرخ جيبون " **Gibbons** " فيما يخص تأسيس الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية.

وعدت إلى مجموعة من المراجع لا تقل أهمية عن التي ذكرتها . وفي الختام يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور موسى لقبال الذي وافق على الإشراف ، كما قام بتتبع خطوات البحث معي وشجعني في جميع مراحله ، ولم يبخل عليّ بمساعداته وإرشاداته رغم ظروف البحث الصعبة.

كما يسرني أن أقدم شكري الخالص لأستاذي تومي رشيد الذي ساعدني بتوجيهاته ونصائحه وتتبّعه معي عملي منذ مذكّرة الماجستير.

وأقدم شكري لجميع أساتذتي الذين لم يبخلوا عليّ بإرشاداتهم .

والله الموفق

سامية سليماني

الفصل الأول

الفصل الأول :

قيام هيئة الإسبتارية و تنظيماتها :

أ – في الشام و مصر .

- الظروف العامة لنشأة هيئة الإسبتارية في الغرب و الشرق .
- نشأة هيئة الإسبتارية .
- شروط العضوية في هيئة الإسبتارية .
- التنظيمات الداخلية هيئة الإسبتارية .
- الجهاز الإداري لهيئة الإسبتارية.

ب – في قبرص .

- تشكل القوة البحرية لهيئة الإسبتارية.
- الحركة الإصلاحية في عهد السيد الكبير أودي بنز.

ج – في رودس .

- تقسيم الهيئة إلى طوائف قومية محلية .
- المؤتمر العام للإسبتارية.
- مجلس الإسبتارية و سلطاته على الإدارتين المركزية و الإقليمية .

ظروف نشأة الإستارية:

يعتبر القرن الحادي عشر الميلادي مرحلة هامة في تاريخ أوربا لمّا سجلته من تطورات حاسمة في مختلف المجالات[1] ففي المجال السياسي بدأت أوربا تنعم بشيء من الاستقرار بعد أن انتهت غارات الفيكنج* على هذه القارة و تطلع الأوربيون إلى تدعيم سلطاتهم في بلدانهم بعد أن دخلوا في صراع مرير مع الأمراء الإقطاعيين**.

وفي المجال الاقتصادي ، أخذت بوادر نهضة تجارية تلوح في الأفق إذ تحولت المدن*** إلى مراكز ثقل لأهم النشاطات الاقتصادية وسجلت موانئ الشمال و الجنوب الأوربيين نشاطًا صاخبا مما أدى إلى ازدهار حركة التجارة بشكل ملحوظ.

---

(1) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب ، بيروت 1972 ، ص 7- 10
أنظر أيضا :
Archer (T) ; The crusades , london . 1894, p 14

* - ويطلق عليهم اسم النورمان و تعني الكلمة رجال الشمال و قد نزح هؤلاء من شمال أوربا أي جزيرة اسكندناواه أي الدانمارك ، السويد ، النرويج . وقد تمكن النورمان من تأسيس ممالك هامة في كل من فرنسا و الجزر البريطانية ، و روسيا كما لعبوا دورا ملحوظا في تاريخ المنطقة.
للمزيد من التفاصيل ارجع إلى :
عاشور (سعيد عبد الفتاح) تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص 174-196.
رشيد تومي: العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا و صقلية (1017-1154م) رسالة ماجستير 1988 ص 2.

** - و يسمى هؤلاء أيضا بالسادة الإقطاعيين Seigneurs أو النبلاء كان هؤلاء ملاكا لإقطاعات زراعية واسعة، و يندرج هذا الصراع في إطار سعي الملوك إلى ضم أراضيهم إلى حوزة التاج الملكي.
للمزيد من التفصيل انظر : Gayet (Jacques la cour) : Histoire du commerce, copyright spid 1950,t II, p 231.

*** - لقد قام الأمراء و الملوك الصليبيون بمنح عدة امتيازات تجارية للمدن التجارية الإيطالية خاصة البندقية ، جنوة ، بيزا و هذه المدن الثلاث كانت من أقدم المدن التجارية الإيطالية التي أقامت علاقات تجارية منظمة مع بلدان شرق البحر المتوسط ، فكان أن تطور ذلك إلى أن أصبحت هذه المدن تسيطر على التجارة بل أن استمرار حركة الاتصال بين الشرق و الغرب خلال القرنين الثالث عشر و الرابع عشر الميلاديين كان مرهونا بالعلاقات التجارية التي أقامتها هذه الجمهوريات الثلاث مع بلدان الحوض الشرقي للبحر المتوسط من جهة و بالعلاقات التي قامت بين هذه الجمهوريات نفسها من جهة أخرى.
للمزيد من التفصيل انظر :
عادل زيتون : العلاقات الاقتصادية بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى، دار دمشق ص 12.
وارجع أيضا إلى :
Heyd (w) ; Histoire du commerce du levant au moyen âge, t.1, lepzing 1923, p200.

وترجع قوة العامل الاقتصادي في توثيق الصلات التجارية بين الشرق والغرب* سواء بين الصليبيين الذين استقروا بالشرق و سكان هذه المنطقة أو بين الأوربيين أنفسهم(1) إذ انتقل مركز الثقل لأهم النشاطات التجارية إلى الغرب بعد أن كان الشرق مسيطرًا في هذا المجال ذلك أن الغرب الأوربي وبخاصة المدن الإيطالية ضرب بسهم في إنتاج و تصدير المنتجات الحريرية فضلا عن احتكارها لمقررات الملاحة الطويلة والقصيرة على حد سواء.

هذا وكان أن تمتعت المدن الإيطالية التجارية في ظل أسرة آل كومنين (**1081-1185**م) بامتيازات واسعة في ربوع الإمبراطورية البيزنطية منها إعفاء البندقية من كل الضرائب و الرسوم الجمركية إلى جانب خصها بحي في مدينة القسطنطينية للإقامة الدائمة لهم وذلك وفقا لمرسوم أصدره الإمبراطور ألكسيوس كومنس** وذلك في ماي **1082**م.

وتكمن أهمية هذا المرسوم في كونه مثل الأساس لكل المراسيم البيزنطية(2).

---

(1) - ستيفن رسيمان : تاريخ الحروب الصليبية/ج 2 نقله إلى اللغة العربية الدكتور السيد الباز العريني/دار الثقافة بيروت لبنان/ط2 ، 1986 ص6 ؛ توفيق إسكندر ، بحوث في التاريخ الاقتصادي ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مطابع دار النشر للجامعة المصرية 1961 ، ص5 .

(2) – COMNENE(Anne): Alexiade.Règne de l'Empereur Alexis I comnnene (1081-1118), traduction française de lieb Bernardy Edition 1947, paris, T.1, pp. 144 – 147.

* - درج المؤرخون على استعمال هذين المصطلحين الشرق و الغرب ليدل الأول على القارة الأسيوية بأسرها و البلقان و كل البلاد التي تحتلها الأمم الناطقة بالضاد مهما قرب موقعها الجغرافي من الغرب ، أما الثاني تقريبا على أوربا غربي بحر الأدرياتيك و نهر الألب. انظر : توفيق إسكندر بحوث في التاريخ الاقتصادي ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية 1961 ص 5.

** - ينسب ألكسيوس كوميثن إلى أسرة عريقة و هو من الطبقة الأرستوقراطية ، من منطقة كومن " Comne " بالقرب من أدرنة " Andrinople " تركيا حاليا .

ارجع إلى : Michaud ; Biographie universelle ancienne et moderne, delagrave T.1, 1870-1872 ; p 447.

كما شهدت أوربا في هذه الفترة درجة من الإحياء الديني* إذ عرفت الكنيسة[1] حركة إصلاح شامل عرفت باسم الحركة الكلونية** و كانت ترمي أول الأمر إلى الإصلاح من أحوال رجال الدين و تدعو إلى العودة إلى فضائل المسيحية كالتقوى و العفة والطهارة ثم تطورت و أصبحت تسعى إلى وضع حد للسلطات الزمنية و جعل البابا زعيما للعالم المسيحي ، كما نجحت في ظل راية البابوية في نشر النفوذ الديني ، لكونها كانت تسعى إلى بسط سيطرة مسلحة كاملة على البقاع المقدسة ، و لم يكن ليتحقق ذلك إلا بالعمل و السعي عن طريق الدعوة إلى حروب صليبية ومن ذلك نلمس الدور الفعال الذي لعبته الكنيسة من أجل بعث الفكر الصليبي[2] ، مستغلة في ذلك التصدع الذي ساد البلاد الإسلامية في المشرق بسبب النزاعات الإقليمية التي كانت مستحكمة بين الأمراء المسلمين.

---

(1) - باركر أرنست : الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العريني ،1961 ص 9 ؛ فيشر تاريخ أوربا في العصور الوسطى ترجمة محمد مصطفى زيادة و الباز العريني ج 1 ص 143.

(2) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب ، بيروت 1972 ص 32-34 ؛فيشر نفس المرجع ،ص 143.

* - ظهرت فكرة الإصلاح الديني في دير كلوني بجنوب فرنسا في بداية ق 10م و ذلك عندما قام وليم التقي دوق أكيتانيا Aquitainé عام 910م ببناء دير يتم فيه تطبيق نظام الرهبانية الصارمة يقوم على أساس العفة و الطهارة و البساطة و الغاية منه العودة إلى أصول المسيحية الأولى ، على أن هذا النظام لم يلبث أن ذاع صيته فعرف انتشار واسعا فعد أنموذجا ساطعا للإصلاح الكنيسي العام في ربوع أوربا الغربية ومن الشخصيات البارزة التي تعد ثمرة هذا الإصلاح نذكر البابا ليون التاسع (1048-1053) و البابا قريقوار السابع (1073-1085). انظر: Delaville (le roulx) : les Hospitaliers en terre: sainte et a Chypre 1100-1310 , paris , 1904 ; p 8.
و ارجع إلى:
باركر أرنسيت : نفس المرجع ، ص9 ؛ فيشر : نفسه، ص143 .

**- و يتمثل ذلك في سيطرة الروح الدينية و جعلها تتغلب و تتعلق بالحياة الآخرة ، و تلمس ذلك في اللجوء إلى التوبة و الغفران لأنهما و سيلتان للخلاص. للمزيد من التفصيل أنظر :
باركر أرنسيت : الحروب الصليبية ، ص119 ؛ كارل بركلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ، ط 1977 ، ص 273 – 274 ؛ الباز العريني ، الأيوبيون ، ط بيروت، ص 9.

ولا شك أيضا أن لظهور الأتراك السلاجقة* في منطقة الشرق أثر واضح في تطور الأوضاع بها إذ أدت إلى تغيير ميزان القوة بين القوة الإسلامية والبيزنطية في الشرق الأدنى(1) كما أنه أثار مخاوف كبيرة في أوساط العالم المسيحي شرقا و غربا.

فضلا عن هذا فقد اتبع السلاجقة تجاه الحجاج المسيحيين سياسة قوامها العداء والمضايقة مما أدى بهؤلاء الحجاج إلى رفع شكاويهم إلى البابوية بروما.

وكان أن استجابت لها خاصة و أن السياسة الخارجية للبابوية كانت تسعى إلى توجيه رعاياها المخلصين من بنيها القوى العسكرية النشيطة بأوربا وفق وجهة تخدم غايتها و هي محاربة المسلمين ومن ثم سميت هذه الظاهرة العسكرية الحروب الصليبية هذه الحروب التي جعلت منها الكنيسة وسيلة لنيل الخلاص و التوبة من الله .

وفي مثل هذه الظروف نشأت هيئة الإسبتارية(2) LES HOSPILALIERS .

---

(1) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب ، ص 34-40.

(2) - Delaville(le roulx) :*Déprima origine hospitaliorum dans* R . H.C ; *historiens* occidentaux ; T5, pp. 80-81 ; Aimé(du mont cassin) ; L'Estoire de Li normant, R.H. C, Hi.oc, T1, p 231 ; Grousset (R) ; Histoire des croisades et de Royaume franc de Jérusalem, paris 1936, t 1, p 541.

ارجع إلى : فيليب حتى تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر ترجمة أنس فريحة مراجعة نقولا زيادة دار الثقافة ، بيروت لبنان 1985 ،ص 371.

* - وكان السلاجقة يلقبون كذلك بالتركمان و ذلك بعد اعتناقهم العقيدة الإسلامية ، أسسوا ملكا واسعا انطلاقا من شمال إيران و سوريا وآسيا الصغرى وذلك بين القرنين العاشر و الثالث عشر الميلادي وقد ساعدوا الخليفة العباسي القائم بأمر الله على التخلص من التبعية للبويهيين فأضحى السلاجقة حماة الخلافة العباسية و مساعديها في محاربة البيزنطيين و الفاطميين بمصر.

ارجع إلى : عاشوري قمعون : نشاط هيئة الداوية في الشام و غرب أوربا رسالة ماجستير 1993-1994،ص 4 ؛ الباز العريني نفسه ص109 ؛ باركر أرنسيت : نفسه ،ص33.

و كانت غايتها عند تأسيسها هي إقامة الفنادق والحانات قصد توفير الراحة للحجاج المسيحيين الوافدين من أوربا إلى بيت المقدس* عبر الطرق الغربية و ليس بناء المستشفيات كما اشتهروا بذلك فيما بعد.

على أن مهمة هيئة الإسبتارية لم تلبث أن تغيرت حيث أخذت طابعا عسكريا واضحا و تحول أعضاؤها إلى جنود محاربين عرفوا بإقدامهم و عدائهم الشديد للقوى الإسلامية(1) و لعلى قدوم وفود الحجاج إلى بيت المقدس و تزايد عددهم كان يقتضيان وجود مثل هذه المؤسسة الإنسانية إذ قدر عدد الحجاج الأوربيين الذين شدوا الرحال إلى بيت المقدس مع أسقف مدينة ماينز **Mayence** نحو سبعة آلاف شخص و تضاعف عدد هؤلاء الحجاج بشكل ملحوظ بعد استيلاء الخليفة الفاطمي المستعلي(**487-495هـ/1094-1101م**) على بيت المقدس(2). ذلك أنه لما قل الأمن عبر الطرق المؤدية إلى بيت المقدس دعيت هذه الهيئة إلى جانب هيئة الداوية** إلى العمل على توفير الحماية و الأمن للحجاج المسيحيين الوافدين إلى البقاع المقدسة بفلسطين مما اقتضى استعمال القوة بالسلاح.

---

(1)- فيليب حتي : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا ، ص 371 ؛
ALBERT (d`Aix) : *Historia Hieroselymitanea* , pp 69 - 70

(2)- قمعون (عاشور) النشاط الصليبي للداوية ،ص 5.

* - بيت المقدس : تسمى بالعبرانية أو رشاليم "مدينة السلام" من مدن فلسطين لها مكانة دينية باعتبارها أول القبلتين بالنسبة للمسلمين.
و القدس يحدها شمالا ولايتا الشام و بيروت و جنوبا و شرقا شبه جزيرة العرب و غربا البحر الأبيض المتوسط.
ارجع إلى : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد 1 ، ط 1 ، مطبعة السعادة، ص 272 ؛
منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان ، ج 9 ، ص 218 .

** - سميت في أول الأمر بهيئة فرسان المسيح " Chevaliers du Christ " ثم هيئة فرسان المعبد " Chevaliers du temple " أما العرب المسلمون فقد أسموها الداوية أو " الديوية " نسبة إلى النبي داود عليه السلام فقد كان متوليا شؤون بلاد فلسطين و الأردن في ق 11 م .
ارجع إلى : Willermi tyrensens(W.T),dans R.H.C, Hist. .Occ ; T1, partte 2, pp. 822- 826.
و انظر : قمعون عاشوري : نفسه ، حاشيته ص 6 ؛ عاشور عبد الفتاح الحركة الصليبية ،ج 1 ص 542.

ويقوم نظام الهيئة على أساس الرهبانية شأنها شأن هيئة الإسبتارية، وكثيرا ما تدب الخلافات بين هاتين الهيئتين مما يدفع بفرسانهم إلى الاستعانة بالمسلمين ضد بعضهم[1].

وعلى الرغم من الصبغة العسكرية التي أضفيت على هيئة الإسبتارية على مر الوقت فقد انطوت تحت راية النظام الديري البندكتي المعروف في غرب أوربا و من ذلك فهم يتبعون البابا مباشرة في روما.

والواقع أن ظهور هيئة الإسبتارية في ساحة الشرق يعد عاملا هام بالنسبة للحركة الصليبية* حيث لعب فرسانهم دورا فعالا في ضبط شؤون الصليبين و تنظيمها بجميع المراكز التي استقروا بها و هذا بفضل تنظيماتها و إدارتها الحكيمة كما أنها شكلت عاملا هاما في سياسة المواجهة بين الصليبين و المسلمين لما قدموه من مساهمات عسكرية ومالية كبيرة[2] للصليبيين منذ وصولهم إلى بيت المقدس عام **1099**م[3].

---

(1) - فيليب حتي : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى العصر الحاضر ، ص371.

(2)- Ekhehandus urangiensis (abbas) : Hierosoly mila dans .R.H.C ; Hist.Oc., tv, p26 ; Guillaume de tyr : L'Estoire de Eracles empereur dans R.H.C, Hist. Oc., t.1, pp520-521 ; Grousset : L'Empire du levant, p 291-292 ; Lindsay(jack) : the norman and their World, p 64.

و ارجع إلى : قمعون عاشوري : نفسه ، ص 5 - 7 .

(3) - مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة ، ص 19-52.

و ارجع إلى :, Smail (R.C) : the crusaders in syria and the holy land Washington , 1973 , p 28 ; The Oxford dictionnary of the byzantuim V.2 ; p 952.

* - إلى جانب البواعث الدينية و المتمثلة في الرغبة في تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين ، فإن الحركة الصليبية كانت مدفوعة بعوامل أخرى مثل رغبة أمراء الإقطاع الأوربيين في انتهاز الفرصة لتأسيس إمارات لهم في الشرق بعد أن عجزوا عن تحقيق ذلك و ضاق بهم مجال الكسب في أوربا هذا إلى جانب توق البابا إلى البروز كسلطة فعالة في المجتمع المسيحي الأوروبي فكان السبب المباشر في قيام الحملة الصليبية الأولى و هو توجيه الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومينوس " Alexis Commenus " دعوة إلى البابا أوربان الثاني يلتمس فيها منه المساعدة العسكرية لمواجهة الخطر السلجوقي الذي بات جاثما على أراضي الإمبراطورية البيزنطية لا سيما بعد الهزيمة النكراء التي سجلها الإمبراطور البيزنطي روما نوس الرابع " Romanus IV " أمام السلطان السلجوقي ألب أرسلان في معركة ملازكارد " *Manzikert* " عام 1071 في آسيا الصغرى و كانت نتيجتها قيام سلطة قونية السلجوقية بآسيا الصغرى ، قلب الإمبراطورية البيزنطية. ارجع إلى : باركر : الحروب الصليبية ، ص 17 ، و انظر :

Runci man : Byzantine civilization , 1948 ; p 52.

نشأة هيئة الإسبتارية :

الإسبتارية* جماعة من رجال الدين المسيحيين نذروا أنفسهم في أول الأمر لخدمة الدين وإسعاف الحجاج المسيحيين و رعايتهم سواء في أوربا أو في الأراضي المقدسة ببلاد الشام[1] و قد كان أول مركز لها أقيم لغرض الإسعاف كما سبق الذكر هو المستشفى الذي يقع قرب مدينة القدس و من ثم سميت الهيئة بهذا الاسم نسبة إلى هذه المؤسسة الإنسانية ، وكان هذا قبل الحملة الصليبية الأولى مع العلم أنه كان للهيئة إلى جانب هذا المبنى أي المستشفى فنادق و أماكن لإسعاف رعاياهم المسيحيين[2].

---

(1) - Delaville (le roulx) :Déprima origine hospitaliorum dans R. H. C. hist., oc., t5, pp 80-81 ; Grousset (R) : Histoire des croisades et de Royaume franc de Jérusalem, T1, p 541 ;Bordonove (George) : Croisades, Les templiers : Historie et tragédie , p 251.

(2) - Delaville (le roulx) : op . cit. . dans R . H.C ; occ, T 5, p18. Oc, T 1, p 26 ; Riant : Inventaire des lettres , dans R.H.C , Hist. oc. , t 5 , p 18 , note 29 ; Tâte George : l'orient de croisades, decouverte, callinard, Histoire 1990, p 143.

* - إلى جانب هيئة الاسبتارية تأسست هيئة التيوتون " Ordre teutonique " التي تميزت بالطابع الألماني ، كانت مهمتها في أول الأمر هي الأخرى إغاثة الجرحى و المرضى الحجاج.

انظر : ستيفن رنيسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج 3 ، ص 212 - 219 ط بيروت 1969 ؛

انظر: حسان سعداوي : الحرب و السلام زمن العدوان الصليبي ، ص 135 .

ويعتبر جيرارد* **Gerard** المؤسس الأول لهذا المستشفى كما كان يسهر على تقديم المساعدة للحجاج و يأمر بالدفاع عن بيت المقدس وعرف عنه أنه اهتم بمد الصليبيين المتواجدين خارج أسوار مدينة القدس بأرغفة من العيش كل يوم غير أن الحراس المسلمين ألقوا القبض عليه بسبب الشكوك التي أثيرت حول نشاطاته لما رأوا فيها من تهديد للوضع و قد أشار وليم الصوري رئيس أساقفة مدينة صور إلى فكرة تأسيس المستشفى(1) حيث يروى أنه في منتصف القرن الحادي عشر أسس التجار الامالفيون "دير القديسة مريم اللاتينية في بيت المقدس ، جنوب كنيسة القيامة و أ سكنوا فيها رهبانا بندكتيين من إيطاليا و كان هؤلاء يسهرون كذلك على راحة الحجاج المسيحيين.

---

* - إن عائلة جيرارد و بلده الأصلي غير معروفين بالضبط غير أنه يعتقد أنه ولد عام 1040 بفرنسا بإقليم بروفانس " Province " و ظن البعض الآخر أنه من قرية سكالة " Scala " الواقعة بالقرب من مدينة أمالفي بجنوب إيطاليا و قد حاول المؤرخ كينج " King " أن يوفق بين الروايتين فذكر أن جيرارد ينتمي إلى قرية ماريتقن " Martigne " بجنوب فرنسا و لكنه أقام فترة من الزمن بقرية سكالة فظن سكان هذه القرية فيما بعد أنه من قريتهم أما المؤرخ ديلافيل فيرجح الأصل الأمالفي لجيرارد . انظر :

Foucher de chartres : dans R.H.C ; Hist. occ ,T3 , P 446

Delaville(le roulx) : les hospitaliers en terre sainte et ont Chypre , pp 37- 83. -(1)

Guillaume(de tyr) : dans R.H.C., Hist. Occ ., t 1, p 333 ; luncy(Leroux de)lucy : Analyse de roman Godefroi de bouillon : dans R.H.C ; Hist. Occ., t 5 , Preface (x) , pp 450-460.

و ارجع إلى :
سامي سلطان : الإسبتارية في رودس ، ص 15 .

وكان أن سجلت هذه الفترة تزايدا كبيرا في عدد الحجاج الأوربيين الوافدين إلى الأراضي المقدسة و لاحتواء هذا العدد الكبير فقد تم أيضا إنشاء مؤسستين مستقلتين دير القديسة مريم المجدلية و الذي سمي فيما بعد دير القديسة مريم الكبرى ، و تكية كرست للقديس يوحنا المعمدان[1].

و يروى أن تجارا من مدينة أمالفي **Amalfi** الإيطالية قد نالوا عام **440هـ/1048**م من الخليفة الفاطمي المستنصر و عدا بتأسيس مجموعة من المباني كان من بينها مستشفى بيت المقدس على أن يكون ملجأ للحجاج المسيحيين أثناء زيارتهم لبيت المقدس ، و لكن وليم الصوري لم يحدد لنا تاريخ بناء المستشفى أو المنشآت الأخرى في حين نجد إشارات إلى ذلك في بعض الكتابات و التي تحدد الإطار الزمني لها ما بين **1063 و 1070**م[2].

أما المؤرخ ديلافيل لروكس فقد ذكر أن المستشفى قد تم بناؤه عام **1070** ، كما أن هناك مجموعة من الأساطير تحفظ تاريخ المنشآت الأولى لهذا المستشفى و التي وضعت بغرض خدمة مصالح الحجاج المسيحيين على أن مهمة الهيئة الاسبتارية لم تتوقف عند الخدمة الإنسانية التي قامت من أجلها باعتبارها مؤسسة خيرية و إنما تعدتها لتتحول إلى هيئة حربية لها مكانتها في الصراع الإسلامي الصليبي في بلاد الشام[3].

---

(1) - سامي سلطان : الإسبتارية في رودس ، ص 15 ؛ جرناتان رايلي سميت : الإسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس و قبرص 1050 – 1310 ، ترجمة صبحي الحاجي ، ص 421 .

(2) - Delaville (le roulx):Deprima Institution hospitaliorum , dans R.H.C ; hist. Occ, T1, partie 2, pp. 401 404 ;Richard(Jean) : Les royaume latin de Jérusalem, p 104

(3) - سعيد عاشور عبد الفتاح : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 601 – 687.

ولا شك أن الدور العسكري الذي لعبته هيئة الاسبتارية كان له أكبر الأثر على الانتصارات التي أحرزها الصليبيين على حساب المسلمين و كذا تعزيز التواجد الصليبي بالمنطقة وإلى جانب هذا الدور العسكري الفعال فقد كان للهيئة نشاط مالي ملحوظ ببلاد الشام.
الشام سواء أثناء نشاط الحركة الصليبية[1] أو بعدها و يرجع مصدر ثرواتها إلى ما تحصلت عليه هذه الهيئة من ممتلكات إما عن طريق الهبات أو الصدقات ذلك أنه عام **1113**م تلقت الهيئة ممتلكات واسعة بإيطاليا و إسبانيا و جنوب فرنسا و لا شك أن انتشال هذه الثروات العقارية المدرة لأرباح طائلة على الهيئة يرجع إلى القرار الذي اتخذه جيرارد و القاضي بإنشاء ثكنات من أجل خدمة قوافل الحجاج المسيحيين و هكذا زاد هذا النشاط المالي من أهمية الهيئة و مكانتها إذ تحولت إلى هيئة دولية تدار من بيت المقدس[2].

وعلى الرغم بما تميزت به هيئة الاستارية من حقد دفين و تطرف شديد اتجاه المسلمين فقد عقد أعضاؤها مع أعدائهم المسلمين أثناء فترات السلم إتصالات حضارية كانت على جانب كبير من الأهمية و يدل على ذلك جميع المعاملات الاقتصادية التي مورست بين الطرفين الصليبي والإسلامي[3] في هذه الحقبة و قد غدت هيئة الاسبتارية بفضل ثرواتها إحدى أغنى المؤسسات في بلاد الشام و أوربا على السواء ، وكان أن جسدت طموحاتها في الفكر التوسعي الأوربي خلال القرن الثاني عشر الميلادي و جدير بالذكر أن هذه الهيئة قد تبوأت مكانة رفيعة في نظر البابوية إذ استغلت وزنها السياسي والاقتصادي فجعلت منها سلاحا قويا تسخره لصالحها خلال القرنين الثاني عشر و الرابع عشر الميلاديين.

---

(1) - ويشير غيوم سانت إستان في كتابه : Guillaume (de s. Estene) : Exordium aux derniers années du 12 siècle.

و يقـول :

"Mais je esme que quistors por mieans gaignier trouvèrent celles choses "

و يعني بذلك أن وجود الهيئة بمثابة الدرع الواقي للوجود الصليبي بالأراضي المقدسة .

و ارجع أيضا إلى :

Delaville (le roulx): OP.CIT P 16

(2) - سعيد عاشور عبد الفتاح : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 687.

(3) - ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص 276-277 .

و انظر أيضا : ستيفن رينسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج 2 ، ص 250.

و ارجع إلى : chalondon :Histoire de la premiere croisade PP336--337-- .

ونشير أن الهيئة قد نالت امتيازات واسعة من البابوية فمن الناحية الروحية سمحت لها ببناء نظام كامل الحريات الكنسية[1].

وعلى الصعيد المادي فقد تم إعفاؤها من ضريبة العشر كما كفلت لها الحماية البابوية لقابض الصدقات هذا إلىجانب تشجيع المحسنين على مساعدة الهيئة ، لقاء و عدهم بالغفران و الخلاص[2].

شروط العضوية في هيئة الاسبتارية :

إن الانخراط في هيئة الاسبتارية يتطلب توفر شروط عديدة يمكن حصرها فيما يلي :

- ينبغي أن يكون الراغب في الانضمام إلى الهيئة منحدر من أبوين محترمين.

- أن يكون منتميا إلى طبقة النبلاء و حاملا للقب الفروسية أو على الأقل تتوفر لديه جميع الصفات التي تؤهله لنيل هذا اللقب[3].

- ألا يكون قد مارس عملا سيئا يمس بالأخلاق.

والواقع أن الهيئة قد سمحت بالانتساب إليها دون التمتع بالعضوية و تندرج ضمن هذا الصنف طائفتان هما :

1 - طائفة الزملاء **Confrères**

2 - طائفة الموهوبين **Donnes**

---

(1) - سعيد عاشور عبد الفتاح : مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك ص 168 ؛ ستيفن رنيسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج 2 ، ص250.

(2) - Delaville (le roulx) : les hospitaliers en terre sainte et a Chypre , p 41.

(3) - جوناتان رايلي سميث : الإسبتارية فرسان القديس يوحنا ، ص 299 .
و ارجع إلى : Chalondon : Histoire de la prémiere croisade , paris 1925 p 336 –337 ; Bordonove (gorge) ; La vie quotidienne des templiers, pp. 90 –91.

و كان يشترط من أعضاء هـــذه الطائفة الأخيرة خاصـــة الانتساب إلى طائفة الفرسان النبـــلاء و من ذلك كان لهـــم الحـــق في نيل العضوية الكاملة في الهيئة و لهؤلاء الحق في التمتع بخدمات الهيئة الدينية و كذا بجميع الامتيازات الروحية ، بحيث يسمح لهم بأن يدفنوا في المقابر التابعة للهيئة مقابل هبة يقدمونها[1] و كذا تعهدهم بحماية منافع و أملاك الهيئة.

و قد كان على المترشح أن يلتزم بحضور اجتماع يوم الأحد في الأديرة خاصة إذا كان يرغب في الانضمام للهيئة كعضو و قد كان من الصعب قبول العضوية لأي أحد إلا بموافقة أكثرية الاخوة الحاضرين في الدير و بعدها يسأل المترشح[2] :

- هل هو متزوج أو خاطب ؟
- هل ينتمي إلى هيئة أخرى ؟
- هل يسعى للدخول إلى الهيئة عن طريق الرشوة ؟

و بعدها يوجه للمترشح القول التالي "إذا كان دخولك للهيئة هو نتيجة لتأثرك بمظاهر حياتنا كارتداء اللباس و ركوب الخيل و امتلاك أسباب الراحة فأنت بذلك مخدوع وفي وضعيتك هذه ليس كل ما ترغبه تدركه و قد تعكس في سلوكاتك اليومية ما لا ترضاه نفسك إذ أنت تريد الأكل قد ترغم على الصوم و إذا أردت الصوم فقد تجبر على الأكل و إذا رغبت في النوم قد يفرض عليك و اجب الحراسة و إذا كنت مستيقضا يطلب منك الاستسلام للنوم.

---

(1) - جوناثان رايلي سميث : الإسبتارية فرسان القديس يوحنا ، ص 299 – 300 .

(2) - Delaville(le roulx): les hospitaliers en terre sainte et a Chypre, p 288-289.
و ارجع إلى : جوناثان رايلي سميث : الإسبتارية فرسان القديس يوحنا ، ص 230 ؛ قمعون عاشور: نفسه ، ص 14.

" و إذا كان الجواب بالإيجاب تقبل عضوية المترشح ، و كان الكذب في نظر الهيئة ذنبا لا يغفر ، و إذا ثبت عن عضو ارتكب هذه المعصية يفقد حتما ثوب الرهبنة[1].

و بعد هذا كله يأخذ المترشح الكتاب المقدس متوجها إلى المصلى بالكنيسة ثم يضعه على المذبح و من ثم يرجعه إلى الرئيس الذي يرفع عباءة الهيئة قائلا :"أممك رمز هذا الصليب الذي سوف تلبسه فوق العباءة إحياء ذكرى معاناة السيد المسيح الذي قاسى الموت و الآلام على الصليب من أجلك و أجلنا و من أجل المذنبين الآخرين ."

وبعدها يقوم الرئيس بوضع العباءة على كتفي العضو الفائز المنظم إلى الهيئة و يقول له و عسى الله باسم الصليب و الطاعة التي انتهجها في ظل الإيمان و العمل أن يحفظك و يحميك إلى الأبد من قوة الشيطان.

وعندما تتم كل هذه المراسيم الدقيقة تثبت عضوية المترشح و هي أبدية و عندئذ لا يحق له الالتحاق بهيئة أخرى أو بالعودة إلى الحياة المدنية[2].

التنظيمات الداخلية لهيئة الاسبتارية:

كانت هيئة الاسبتارية تقوم على أساس تنظيمات بشرية يلعب كل طرف منها داخلها دورا فعالا يضمن للهيئة سيرا حسنا و ترابطا كاملا شأنها شأن الهيئات الدينية الأخرى .

وكانت الهيئة تتألف منذ تأسيسها من جماعتين هما جماعة الاخوة الرهبان ، و جماعة الاخوة الخدم ومع تطور التنظيم الذي حدث على يد السيد الكبير ريموند دي بوي **Raymond de puy** ظهرت جماعة ثالثة و هي جماعة الاخوة الفرسان و التي أنشأت خصيصا لمحاربة المسلمين[3].

---

(1) - جوناثان رايلي سميث : نفسه ، ص 230 - 233 ؛ قمعون عاشوري : نفسه ص 14.

(2) - Delaville(le roulx) : op . Cit. ; p288 – 290

و ارجع إلى : : جوناثان رايلي سميث : الإسبتارية فرسان القديس يوحنا ، ص 231 ؛ سامي سلطان : نفسه ، ص 27-29

(3) Delaville le Roulx : OP.CIT p 282 King the kinghts hospitaliers , pp 68-69.

ـ جماعة الاخوة الرهبان **Frères chapelains** :

تتمثل وظيفة هذه الجماعة في تقديم الخدمات الدينية و الإشراف على الحفلات الرسمية و الرئيسية سواء التي كانت تقام في المستشفى بمدينة البيت المقدس أو في الدير التابع للهيئة و تنقسم هذه الجماعة بدورها إلى طائفتين[1]:

تسمى الأولى بطائفة الرهبان الديرين **Prêtres conventuels** و كان هؤلاء يتولون مهمة الإشراف على الدير و حضور اجتماعات الهيئة في الدير كما كانوا يسهرون على متابعة شؤون الهيئة خاصة المتمثلة في عضوية الأشخاص فيها.

وأخذت الطائفة الثانية اسم الرهبان الأتباع **Prêtres en obédience** و هي أقل مكانة من طائفة الرهبان الديرين التي نالت شهرة ملحوظة.

كانت تمارس أعمالها و طقوسها الدينية على مستوى ضيق في البيوت التي أقيمت داخل أملاك الهيئة المتناثرة في بلاد الشام وفي أوربا[2].

و ينفرد هؤلاء عن الأعضاء الآخرين بمجموعة من الامتيازات ترتبط أساسا بخاصيتهم الكنسية مثل إعفائهم من العقوبات الشديدة و حلق الوجه و استعمال كأس خاص لهم عند الشرب كما كانوا يمارسون واجباتهم الدينية مستقلين عن السلطة القضائية فأما عضويتهم ضمن الهيئة فمنهم من كانت على مدى الحياة و منهم من كانت محددة قابلة التجديد[3].

(1) ـ سامي سلطان : الإسبتارية في رودس ، ص 27 .

(2) ـ انظر : Grousset : L ' Empire du levant ; p 291 – 293 ; Chalondon : Histoire de la prémiere croisade , pp. 336 –337.

(3) ـ Jonathan (Rily) smith : the feiodal nobility and the kingdom of Jerusalem, Mac milan 1993 , pp. 1174-1277.

ويتميز الرهبان الاتباع عن باقي طوائف هيئة الاسبتارية بحرصهم على إتقان عملهم فضلا عن تمكنهم من تسيير الشؤون الإدارية و القضائية فقد برزوا في ميدان التشريع حيث اهتموا بسن القوانين وتحتم على باقي طوائف الهيئة احترامها و تنفيذها بكل أبعادها[1].

وبلغ درجة تأثيرها حتى غدت بمثابة محكمة عليا تنظر مثلا في قضايا العقار إذ لا يمكن لأي رجل دين من غير الرهبان الأتباع أن يقوم بتحويل ملكية الأراضي من شخص لآخر دون إذن منها.

2 - جماعة الاخوة الخدم "Frères sergents "

تتمثل وظيفتها أساسا في تقديم الخدمة سواء كانت خدمة عسكرية أو مساعدة إنسانية تؤدى للمرضى و جماعة الاخوة الفرسان[2] و قد انفردت هذه الجماعة بتقديم المساعدات لمؤسستين مستقلتين في الأراضي المقدسة الأولى خاصة بالفقراء و المرضى المسيحيين أما المؤسسة الثانية فقد تكفلت بإسعاف المرضى التابعين لهيئة الاسبتارية و كان الإطار المخصص للتمريض تحت مسؤولية أخ من المستشفى يدعى بالاسبتاري ، له خاتم خاص به و من اهتماماته السهر على توفير العناية و الطعام و العلاج للاخوة المرضى. ولا شك أن هيئة الاسبتارية حرصت على تأمين احتياجات المرضى من ممتلكاتها الخاصة كما عرفت بحسن توزيعها لها و مثال ذلك أنها كانت ترسل إنتاج مزرعتين بفلسطين إلى هيئة الاسبتارية في بيت المقدس قصد تزويد المرضى بالخبز[3].

---

(1) –Delaville(le roulx) : les hospitaliers en terre sainte et a Chypre , p 280.

(2) - سامي سلطان :نفسه ، ص 27-29 ، و انظر :
Chalondon : Histoire de la premiere croisade , pp. 336 –337.

(3) - جوناثان رايلي سميث : نفسه ، ص 324 .

وإذا حدث أن قل الإنتاج في هاتين المزرعتين مما لا يضمن حسن التموين تكفلت خزينة الهيئة بسد العجز و ذلك بشراء الحبوب من مكان إلى آخر ،و إذا حدث أن تلوثت الأعشاب سعت الهيئة إلى الحصول على الذرة النظيفة من المخازن الأخرى التابعة لها[1].

وهناك جماعات أخرى ضمن هيكل الهيئة عرفت بدورها الملحوظ في تفعيل الهيئة وتنشيطها منها جماعة الاخوة خدام المكتبة و جماعة خدام الأسلحة أو جماعة الجاوشية وكذلك جماعة الاخوة الفرسان.

أ ـ جماعة الاخوة خدام المكتبة :

لقد تخصصت هذه الجماعة في الخدمة العادية داخل المستشفى وتتمثل أساسا في ضبط أسماء المرضى في السجلات و ترتيب الأوراق الخاصة بهم ضمن ملفات واضحة.

ب ـ جماعة الاخوة خدام الأسلحة أو جماع الجاوشية :

كانت تسهر على إسداء العون للاخوة الفرسان الذين تكفلوا بمهمة محاربة المسلمين وتميزت هذه الجماعة بكونها أعلى مكانة من خدام المكتبة لما كان ينتظر منها من دور فعال يخدم الحركة الصليبية[2].

جماعة الاخوة الفرسان "Les frères chevaliers "

الواقع أنه يحتمل أن تكون هذه الجماعة قد تأسست في عهد السيد الكبير لهيئة الاسبتارية

---

(1)- جوناتان رايلي سميث : نفسه ، ص 324 - 325.
و انظر : Delaville(le roulx): les hospitaliers en terre sainte et a Chypre , p 288 ; Lorga (N) : point de vue sur l'histoire du commerce au moyen âge, paris 1924, p 77.

(2) –Delaville(le roulx) : op cit. , Pp. 287 – 289 ;
جوناتان رايلي سميث : نفسه ، ص 238 .
و انظر : Delaville(le roulx) : op cit. , pp. 289 - 301.

و هو ريموند دي بوي (1125 – 1153 م) و ذلك أثناء فترة تحول الهيئة إلى مؤسسة عسكرية، إنّ السؤال بات مطروحا فيما إذا تأسست هذه الجماعة في عهد السيد الكبير الأول و هو جيرارد غير أن هذه الحقيقة يمكن استبعادها لأن دور الهيئة في عهدها الأول كان منحصرا في تقديم العون للحجاج المرضى والفقراء الوافدين إلى فلسطين لزيارة البيت المقدس.

وقد برعت هذه الجماعة في محاربة المسلمين و بلغت من السمعة و الصيت في هذا المضمار حتى سميت الهيئة ككل باسمها أي هيئة الفرسان الاسبتارية أو هيئة فرسان القديس حنا الأورشليمي.

وإلى جانب هذه الجماعات اشتملت الهيئة في بيت المقدس على تكيّة خصصت للوافدين من النساء و ذلك منذ القرن 11 م و قد وجدت حتى في أوربا مثل هذه المؤسسات تستقبل كلا الجنسين* و على كل فإن الهيئة الاسبتارية قد تعددت اهتماماتها إذ أصبحت تهتم بإيواء المسنين بعدما كانت مقتصرة على تقديم الإسعاف و التمريض(1) ، كما أن مصلحة الموظفين بالهيئة تضمنت امرأة طبيبة و لا شك أن هؤلاء النساء قد مارسن مختلف النشاطات كغسالات و ممرضات و كثيرة منهن كرسن أنفسهن ككاهنات مترهبات من أجل الصلاة(2).

---

(1) - Delaville(le roulx) : op cit. , pp. 289 – 301 ; Jonathan(rily smith): the first crusaders, cambridge university, press, 1998 , p 29.

(2) - جوناتان رايلي سميت : نفسه ، ص 238 .

* - و قد عرف أيضا نموذج من اسبتار كبير نشأه الإمبراطورية البيزنطية حنا كومنينوس Jean commences بالقسطنطينية في القرن الثاني عشر الميلادي يحتوي على الرجال و النساء كما أنه أقام بيوتا للرجال المسنين و الأطفال غير الشرعيين و اليتامى و المصابين بالصرع في الأراضي المقدسة .

ارجع إلى: جوناتان رايلي سميت: نفسه، ص 238-239 ، و انظر:
Delaville(le roulx): op cit. , p 289 –

وقد سهرت الهيئة على ضمان تسيير أحسن و واضح لحياة النساء داخل الأديرة الخاصة بهن و ذلك وفق قوانين دقيقة و ضعت لهذا الغرض إذ كان كل دير تشرف عليه رئيسة.

الجهاز الإداري لهيئة الاسبتارية:

كان لهيئة الإسبتارية تنظيما إداريا محكما تسيره مجموعة من الأعضاء ، يتولى كل واحد منهم وظيفة واضحة و ذلك قوانين الهيئة السائدة ، و نشير إلى أن جماعة الاخوة الفرسان قد احتكرت جميع هذه الوظائف لأعضائها و يمكن ترتيب هذه الوظائف على الشكل التالي:

1 - رئيس المستشفى : (رئيس هيئة الاسبتارية)

يدعى رئيس الهيئة أيضا السيد الكبير " **Les grand maître** " كما يمثل رئاسة السلطة التنفيذية في الهيئة[1].

و ينتمي السيد الكبير إلى طبقة الفرسان و هو أمر ضروري و كان ينتخب على مدى الحياة و ذلك عن طريق المؤتمر العام إثبات كفاءته و لا تتأكد صلاحية هذا الانتخاب إلا بعد مصادقة البابا عليها باعتباره الزعيم الروحي الأول لدى الكنيسة الكاثوليكية ، و جدير بالذكر أن جماعة الرهبان هي التي وضعت طريقة انتخاب هذا الرئيس و التي ظلت مطبقة في الهيئة و من صلاحيته نذكر حقه في استدعاء أعضاء المؤتمر العام بعد تحديد الوقت المناسب لذلك و كذا الإشراف على جلساته[2] وهو الذي يرأس جلسات مجلس الإدارة و يعين و يعزل أعضاء هذا المجلس.

---

(1) - Mas Latrie le baronde : Les éléments de la diplomatie pontificale, paris 1886 , p 11 ; Delaville le roulx : les hospitaliers en terre sainte et a Chypre , pp 328, 342

و انظر : سامي سلطان : الإسبتارية في رودس ، ص34 - 35 .

(2) - Dodut : *Histoire Des institution monarchiques* , PP 223-224 ; clotz (gustave) : histoire de moyen Age , t4 , p 118 .

ومن تقاليد الهيئة أن الرئيس إذا شعر بالتعب أو بالتقدم في السن يقوم بدعوة إلى عقد اجتماع يدعو فيه الأخ الأكثر إخلاصا في حاشيته و يعطيه الخاتم ، و بعد وفاة السيد الكبير ، يقوم الأخ المكلف من طرف السيد الكبير المتوفى بدعوة هيئة الرهبان العامة إلى جانب رؤساء الأديرة الأوربيين التابعة للهيئة و أعضاء آخرين من الهيئة من ذوي الحكمة إلى اجتماع للنظر في قضية تولي الهيئة و تعين لها رئيسا جديدا[1].

2 ـ مجلس الإدارة :

يتكون هذا المجلس من كبار الموظفين مهمتهم هي السهر على تطبيق قوانين هيئة الاسبتارية[2] ، وكذا العمل من أجل إنجاح الدور المنوط بها و هو حماية الوجود الصليبي و مصالحه بالأراضي المقدسة ، بعد ما كان عملها مقتصر على إيواء الحجاج كما سبق وأن أشرنا ويعرف هؤلاء الموظفين أيضا بالوكلاء الدينيين وعددهم خمسة أعضاء وهم :

ـ رئيس الكنيسة (مقدم الدير المركزي):

وهو المسؤول على تحقيق أداء الخدمة الدينية في ظل الكنيسة المسيحية وهو ملزم أيضا بالإشراف على شؤون الهيئة دينيا[3].

ـ الآمر أو المراقب " Le grand commendeur ":

و هو نائب السيد الكبير يتمثل دوره في الإشراف على الشؤون الاقتصادية للهيئة كمراقبة الشؤون المالية و الوقوف على عملية جمع الأموال و كان يشرف على جميع البيوت التابعة للهيئة المتواجدة في الأقطار المختلفة بأوربا.

---

(1) ـ Delaville le roulx : op cit. , pp. 304 – 306

(2) ـ Vertot : histoire Des chevaliers de malte , T. IV , p 34
نقلا عن : Delaville le roulx : op. cit. , p 315.

(3) ـ سامي سلطان : نفسه ، ص 34 .

- المارشال " Maréchal "

و يسمى كذلك المسؤول العسكري كان يهتم بتوفير معدات الحرب، و بالإشراف على الاخوة تحت السلاح و قد ظهرت هذه الرتبة أي المارشال منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر كما أن هذه الوظيفة ازدادت نموا حتى غدا صاحبها منذ 1170م ضابطا هاما[1].

و لما تضاعف الدور العسكري للهيئة أصبح الأساس المعتمد عليه في الصراع الصليبي الإسلامي بحيث ظهرت الحاجة إلى تقسيم المارشالية إلى دائرتين أساسيتين :

كانت الدائرة الأولى بمثابة دار لصناعة الأسلحة ، تقوم بإصلاح السلاح ، و كان دور المارشال في هذا المضمار بارزا فهو الذي يعين صانع الأقواس و السهام بالدائرة و يمد العتاد لمن يطلب حسب ما تقتضيه الإمكانيات و هذا بعد إعادة العدة القديمة التي يتم إصلاحها و صقلها من جديد[2].

أما الدائرة الثانية فهي خاصة بالإسطبلات ، لما كان يحتله هذا الجانب من مكانة هامة في ظروف الحرب.

فقد كان الفرسان في العصور الوسطى توافين إلى الحصول على أحصنة ملائمة مما يسمح لهم بأداء دورهم الحربي بشكل فعال و عليه فقد حظيت الإسطبلات بعناية خاصة ، حيث عين عليها مسؤول عرف " بمأمور الإسطبل " يسهر على سلامة هذه الإسطبلات كما يقوم بتوزيع الأحصنة على المكلفين بأداء الخدمة العسكرية.

---

(1) - Delaville le roulx : op . cit. , pp. 304 – 305 ; King : op. cit. , p 72.
و ارجع إلى :
سامي سلطان : نفسه ، ص 29 ؛ جوناتان رايلي سميث : نفسه ، ص 233 .

(2) - Dodut : Histoire Des institutions monarchiques , PP 223–

- **المسؤول الطبي:**

يشرف على رئاسة المستشفى و المنطقة الخيرية إذ يدير شؤون المستشفى من جميع الجوانب فهو بمثابة المسؤول الطبي الأول ذلك أنه إلى جانب عمله اليومي و المتمثل في زيارة المرضى ، فقد كان مسؤولا على جميع الأطباء و العاملين بالمستشفى ، هذا فضلا عن إشرافه على مراسيم الضيافة و متابعة عملية توزيع الصدقات[1].

- **وكيل الخزانة " Trésorier "**

كانت مهمته حفظ المال و تخزينه لصالح الهيئة ، و يلاحظ أن مهامه كانت متعددة معقدة و تسعى كلها في النهاية إلى تحقيق احتياجات المرضى[2].

وقد اشتهرت خزينة الهيئة بمصادرها و مواردها المالية المختلفة فبموجب قانون الهيئة كانت ترسل الصدقات و الهبات من أوربا إلى بيت المقدس و من مصادر الخزانة أيضا نذكر الغرامات و التعويضات ، و كذا عائدات حراسة المزارع و بيع الأحصنة و الكتب الموروثة من الاخوة المتوفين فضلا عن غنائم الحرب و بعض البضائع المتنازل عنها للهيئة بالوصية، و يهتم وكيل الخزانة إلزاميا بتقديم الطعام لكل محتاج أو عابر سبيل ثلاث مرات في الأسبوع ، و هو ملزم أيضا بتقديم الطعام و اللباس لثلاثة عشر شخصا في كل يوم السبت سواء كان ذلك داخل الهيئة أو في البيوت و الأديرة المتواجدة ببيت المقدس[3].

- (1) Delaville(le roulx) : op . cit. , pp. 338 – 339 ; Grousset (R) ; Histoire des Croisades et de Royaume franc de Jérusalem, t 1, p 541 - 542.

و ارجع إلى : عاشور عبد الفتاح الحركة الصليبية ،ج 1 ،ص 542 – 543 .

- (2) Delaville le roulx : op . cit. , pp. 338 – 339.

و ارجع إلى : سامي سلطان : نفسه ، ص29 – 31 .

- (3) Gurzon (henride) La règle du temple , p 18 ; Alexandre . p. Kazhdun and Alice, mory malbot , the dictionnary byzantuim T2, pp. 951 – 952.

على أن الهيئة أبدت من خلال قوانينها أهمية و صرامة كبيرتين فيما يتعلق بملابس أعضائها و قد اقتضى هذا القانون تعيين مسؤول ضابط يشرف على مهمة توزيع الملابس و ذلك في القرن الثاني عشر و يلاحظ أن الجوخ أو القماش(1) لم يرد ذكره إلا في عام **1206** م.

وهناك وظائف أخرى داخل الهيئة و هي :

1 - **التركوبلي*** " **Turcopolier** " :

تتمثل وظيفته في قيادة فرقة الفرسان المعتمدة عليهم في محاربة المسلمين بالأراضي المقدسة و قد تم إنشاؤها بعيدا عن العاملين بالمستشفى التابعة لهيئة الاسبتارية ، و يعتبر التركوبلي أخا في الهيئة كما أنه يخضع لأوامره المارشال(2).

2 - **التابع الرئيسي** " **Maître écuyer** "

أو رئيس مجموعة الملحقين بخدمة الفرسان و هو يعمل أيضا تحت إمرة المارشال.

3 - **قائد الفرسان** " **Commandeur des chevaliers** "

و يعتبر هذا القائد نائبا للمارشال أثناء فترة الحرب ، و في حالة غياب المارشال يتولى مكانه أي الإشراف على الاخوة الفرسان ، و إلى جانب مساعدته للمارشال في عملية توجيه الفرسان كان يساهم مع الصليبيين في محاربة المسلمين.

---

(1) - Delaville le roulx : op . cit. , pp. 290– 304.

(2) - جو ناثان رايلي سميث : نفسه ، ص 229 .

و ارجع إلى : Delaville(le roulx : op . cit. , p 340.

* - يبدو أن التركوبول كانوا الأكثر عددا في المرتزقة و كانوا إما من الفرسان أو من السكان المحليين و التركوبولي عبارة عن قائد الخيالة الخفيفة و يخرج القائد الكبير الفرقة على رأس هذه الفرقة في جولات تفقدية دورية للسواحل و ذلك ضمانا لسلامة المملكة ضد تسلل الأعداء.
أنظر : سامي سلطان : نفسه ، ص 34 ؛ عاشوري قمعون : ص 24.

4 - **مدير الزمام :**
يتمثل دوره في استخلاص المداخيل المختلفة ببيت المقدسة ، كما كان يتولى مهمة إدارة أملاك الهيئة بالمدينة.
5 - **الوكلاء " Baillis " :**
تقوم هذه المجموعة بدور المساعد للسيد الكبير للهيئة في إدارة أملاك الهيئة في الشرق الإسلامي و الغرب الأوربي ، إذ يوجد في دائرة من الدوائر الكبرى التي تضمها أملاك الهيئة مدير يسمى الوكيل أو المقدم هذا في الغرب ، و يعرف بالآمر " **Commandeur** " في الدوائر الواقعة بالشرق ، و كانت هذه الدوائر الموجودة في البلد الواحد تخضع لسلطة الآمر الكبير " **Le grand précepteur** "[1] و لما اكتملت تشكيلة أملاك الهيئة في الشرق أصبح هناك عشرة وكلاء ثلاثة منهم خارج الشام.
و يتمتع هؤلاء الموظفين بلقب الوكلاء و أما قادة الحصون الأخرى الذين يدخلون في عداد الوكلاء ، إنما هو مجرد قادة حربيين لا شأن لهم بإدارة أملاك الهيئة هذا كله في الشرق أما في الغرب فقد تم تأسيس ، شعبتين هامتين بتاريخ 1120م و هما :
1 - **شعبة سان جيل " ST . Gilles "**. بفرنسا كان مديرها يشرف على إدارة أملاك الهيئة في فرنسا و بلجيكا و شبه جزيرة إيبيريا.
2 - **شعبة مسينا " Messina "** تأسست هذه الشعبة عام 1186م بصقلية يتولى مديرها إدارة أملاك الهيئة في إيطاليا ، ثم ظهرت بعد ذلك شعب أخرى سواء عن طريق التفرع عن الشعبتين الأصليتين أو عن طريق الامتلاك في مناطق أخرى بواسطة الشراء أو نيل الهبات و ما أن توسعت هذه الشعب في أوربا حتى تم إنشاء وظيفة جديدة عام 1164م و هي وظيفة المراقب الكبير من وراء البحر " **Le grand précepteur d'outre mer** "[2] مقره في إقليم بروفانس الساحلي " **Provence** " بجنوب فرنسا و يمتد نفوذه إلى جميع أملاك الهيئة في أوربا.

---

(1) - سامي سلطان : نفسه ، ص30 – 35 ؛ جوناثان رايلي سميث : ص 229 .
و انظر أيضا : Delaville le roulx : op . cit. , pp. 346 - 350.
(2) - سامي سلطان : ، ص30 – 36 ؛ عاشوري قمعون: نفسه ص 28.
و ارجع إلى : Delaville (le roulx) : op . cit. , p 304 – 306.

لكن في عام 1170م عين مراقب كبير مسؤول على ممتلكات الهيئة بإسبانيا ، ثم مراقبان آخران في إيطاليا و ألمانيا ، و كان يطلق على هؤلاء المراقبين جميعا وكلاء الغرب تمييزا لهم عن وكلاء بلاد الشام.

و كان وكلاء الغرب و الشرق معا يشكلون مع أعضاء مجلس الإدارة و السيد الكبير للهيئة باسم المؤتمر العام " **Le Charitre générale** " و هو بمثابة السلطة العليا للهيئة.

حيث تمثل السلطة التشريعية و التأديبية معا و تقوم بتعيين السيد الكبير في حالة شغور منصبه بسبب الوفاة علما بأن مدة ولايته كانت على مدى الحياة و كذا تعيين الوكلاء سواء الذين يشغلون مناصبهم بمجلس الإدارة أو المشرفين على تسيير أملاك الهيئة في الشرق الإسلامي و الغرب الأوربي(1).

و لا شك أن تشعب هذا التنظيم و تعقيد دواليبه يرجع أساسا إلى اتساع حجم ممتلكات الهيئة و إلى الدور العسكري المتزايد الذي أصبحت تلعبه الاسبتارية في ساحة الصراع الإسلامي الصليبي.

و لا شك أيضا أن الدور الصليبي الرائد الذي كان ينبئ به نشاط هذه الهيئة هو الذي دفع كثيرا من الأطراف إلى التسابق في خدمتها و الاعتراف بمكانتها حيث اعترف الملك الأول بلدوين الأول ملك بيت المقدس في عام **1110**م بما منح للاسبتارية في مملكته من أرض و عقار.

و في عام **1112**م أصدر الملك نفسه منشورا جديدا أكد فيه اعترافه الأول ، فيما قرر كل من بطريرك بيت المقدس و رئيس أساقفة قيسارية " **Cesaree** " بآسيا الصغرى إعفاء أملاك الهيئة الجديدة الواقعة في دائرة سلطانه من ضريبة العشر الكنسية(2) .

ومن الامتيازات التي حظيت بها الهيئة أيضا أن فولك أنجو " **Foulque d'Anjou** " ملك بيت المقدس تولى عرش المملكة بعد وفاة الملك بلدوين الثاني في عام 1131 قد عهد إليها مهمة حماية حصن كان الصليبيون يقيمون فيه بجوار بيت جبرين و هي من أملاك الإسبتار بعد أن تنازل لهم عنها صاحبها هيودي سانت أبراهام **Hugues .S.Abraha** ، وصادق الملك فولك على هذا التنازل عام 1136 و ذلك لاستخدام هذا الحصن كدرع

---

(1) - Chalondon : op . Cit. p 309.

(2) - ستيفن رنيسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج 2 ، ص369 .

يحمي الناحية الجنوبية ببيت المقدس ضد هجمات القوات الفاطمية المرابطة في مدينة عسقلان ، وقد كلف ريموند الأول صاحب إمارة طرابلس فرسان هذه الهيئة بمهمة الدفاع عن بعض الحصون الشرقية التي تتحكم في الطرق المؤدية إلى مارته عبر حدود لبنان أهمها حصن الأكراد و حصون بعرين و رفينة و البقاع[1] على أن جهاز مديري أملاك الإسبتارية أو رؤساء بيوتها كما يسمون أحيانا لم ينشأ دفعة واحدة في كل من الشرق والغرب و إنما اتسع بالتدرج مع نمو أملاك الهيئة التي آلت إليها منذ تأسيسها إما عن طريق الهبات المتزايدة باستمرار أو الشراء كما سبق أن ذكرته.

تنظيم قوتها البحرية في قبرص:

لقد قام السيد الكبير لهيئة الإسبتارية حنا قليير باستقبال أعضاء الهيئة الوافدين من بيوت الإسبتارية في أوربا للتشاور معهم حول مستقبل الهيئة و الطريقة التي يجب اتباعها من أجل إعادة تنظيمها *.

و حدث أن تم الاتفاق على تسليح سفنهم التي جاءوا بها إلى الشام من أوربا حتى يتمكنوا من العودة إلى مواطنهم الأصلية ، كما تم الاتفاق على وجوب حماية الأوربيين في البحر و حماية سواحل قبرص و أرمينيا ، و قد تأكد ذلك بالفعل بإصدار البابا نيقولا الرابع في 23 جانفي 1293 أمرا إلى السيد الكبير لهيئة الإسبتارية حنا قليير باستخدام سفن الإسبتارية في الدفاع عن مملكة أرمينيا و قبرص[2].

ومن هنا نلاحظ تشكيل أول نواة للقوة البحرية للإسبتارية وما يلاحظ عن هيئة الإسبتارية في فترة تواجدهم بقبرص استهانتهم بنظام هيئتهم و بقانونها هذا ما أدى بملكي إنجلترا والبرتغال إلى مصادرة أملاك الهيئة في بلديها ، أما عن السيد الكبير لهيئة الإسبتارية فقد قام بعقد مؤتمرين الأول في 6 أكتوبر 1292 والثاني في 20 أكتوبر 1292 ، وقد اتخذ في هذين

---

(1) - King : the kinghts hospitaliers in the holy land , p 36 .

* - لقد طالبت بعض الفرق بانتقال مقر الهيئة إلى إحدى موانئ إيطاليا بسبب القوانين المجحفة التي أصدرها الملك القبرصي على الهيئة .
انظر : Hill : op . cit. T. II , pp. 198 –199.

(2) - Delaville le roulx : cartulaire , nom . 41054.

المؤتمرين قرارات صارمة من شأنها إصلاح أوضاع الهيئة[1] التي كانت تعيش انحرافا خطيرا. وهكذا فقد أصبح السيد الكبير في الهيئة يتمتع بصلاحيات واسعة ، فقد ظهر بعدها رؤساء تولوا مهمة الاصلاح بالهيئة

<u>الحركة الإصلاحية في عهد السيد الكبير أودي بنز :</u> Eudes pins

لقد حدث أن تول السيد أودي بنز سنة 1294 م رئاسة الهيئة خلفا للسيد الكبير حنا قليير ، و استمرت في عهده الحركة الإصلاحية ، التي كانت ترمي أساسا إلى وضع حد للسلطات الواسعة التي كانت يتمتع بها السيد الكبير فقد كان أن قام السيد أودي بنز بعدها بقمع هذه الحركة التي كان يرى فيها تجاوزا و تدخلا في شؤون منصبه.

غير أن ممثلي الحركة قد قاموا برفع شكوى إلى البابا بونيفس الثاني تضمنت ما يلي :

1 - إنشاء مجلس دائم للرئاسة يتكون من ستة أعضاء " Définitors " يمثل كل واحد منهم إحدى الطوائف القومية أو الجنسيات التي تتألف منها هيئة الإسبتارية على أن يمثل السيد الكبير الجنسية السابعة التي ينتمي إليها.

2 - أن يمنح المجلس سلطات واسعة تسمح له بمساعدة السيد الكبير في أعماله.

3 - أن تراقب تصرفات السيد الكبير من طرف المجلس[2] إلا أن رد البابا كان إيجابيا بحيث أنه أمر السيد الكبير في رسالة بعثها إليه ، أن على السيد الكبير مراقبة تصرفاته والعمل بكل صرامة من أجل مصالح الهيئة.

إلا أن السيد الكبير لهيئة الإسبتارية قد وافته المنية سنة 1296 م قبل أن يبرر موقفه للبابا.

---

(1) - سامي سلطان : نفسه ، ص99 .

(2) - سامي سلطان :نفسه ، ص99 .

و ارجع إلى : Delaville(le roulx) : op . Cit. , P 248.

وكان أن عين السيد وليم دي قيلارية **Guillaume de villaret** كسيد للهيئة خلفا لأودي بنز[1] فحدث أن أرسلوا إليه مع قرار اختياره خطابا يتضمن وجوب بذل مجهود من أجل الالتزام بقانون الهيئة و العمل على مصلحتها. إلا أن وليم دي قيلارية زاد من الأمر تعقيدا ، بحيث أعلن أنه ينوي أن يتولى شؤون الهيئة من مقره في برفانس بفرنسا[2] وعدم السفر إلى قبرص ، هذا ما يخالف قانون الهيئة و التي تلزم السيد الكبير بالإقامة في مركز الهيئة ، و مما زاد الأمر تعقيدا ، أنه قام باستدعاء فرسانه لحضور مؤتمر عام يعقد برئاسته في مدينة أفنيون بفرنسا في بداية أفريل **1300** ما أدى بأعضاء مجلس الإدارة إلى إرسال سفارة مؤلفه من وليم دي متشو **Guillanne de chans** ، و حنا اللاذقي **Jean de laedicée**، وعرضت وجهة نظرها ، و كان أن تدخل البابا بونيفاس الثامن ومدير وبيوت الإسبتارية في فرنسا وإيطاليا لصالح وجهة نظر مجلس الإدارة و قد انتهت الأزمة بسفر السيد الكبير إلى قبرص[3].

لقد قام السيد الكبير وليم دي قيلارية إثر انتقاله إلى قبرص ببذل مجهودات معتبرة من أجل الوصول بالهيئة إلى تحقيق مجهوداتها و مبتغاها في إعادة تنظيمها وفق ما يتطلب منها السير الحسن ، فكان أن قام بالتعاون مع المؤتمر العام للإسبتارية الذي أمر بعقده بمدينة ليماسول من أجل تحقيق غايته خمس مرات ابتداء من **1300**م حتى **1305**م قبل وفاته بقليل.

---

(1) - Amadi : chronique , paris ; p 233 ; Delaville le roulx : les hospitaliers en terre sainte et a Chypre ; p 248.
و انظر : سامي سلطان : نفسه ، ص101 .

(2) - Delaville : cartulaire , I I I , nom 4310 .
و انظر : سامي سلطان : نفسه ، ص102 .

(3) - Delaville le roulx : op . Cit. pp. 253 – 255
و انظر : سامي سلطان : نفسه ، ص101

وقد توجت هذه المؤتمرات بمجموعة من الإجراءات تمثلت أساسا فيما يلي:

1. تحديد سلطات كباري موظفي الإدارة المركزية.
2. إعادة ترتيب وظائفهم بحسب درجة أهمية كل منها.
3. تقرر إنشاء وظيفة أمير البحر أو الأميرال لقيادة الأسطول.
4. ازدياد الأهمية الوظيفية للمارشال بمثابة وزير الحربية[1] داخل الهيئة.
5. يتمتع التركوبلي (قائد الفرسان الخفيفة بعضويته في داخلالهيئة.)

و ما يلاحظ على السيد الكبير وليم دي فيلارية أنه نال ثقة هيئته بسبب سعيه إلى الوصول بالهيئة إلى استعادة مكانتها التي كانت تتبوؤها إثر تواجدها بالأراضي المقدسة هذا ما جعله يفكر مع كبار الإسبتارية في كيفية التخلص من مضايقات الملك القبرصي هنري الثاني لوزجنان الذي فرض على الهيئة تحصيل ضريبة الرأس منهم ، فكان السيد الكبير يرى أن التخلص من الملك القبرصي ، يكون بالانتقال إلى موضع آخر قريبا من الشام ، فلم يفقد الإسبتارية أملهم في العودة إلى الأراضي المقدسة حتى إثر انتقالهم إلى جزيرة رودس[2].

<u>التنظيمات الداخلية لهيئة الإسبتارية في رودس :</u>

لقد عرفت هيئة الإسبتارية تغيرات كبيرة في رودس سواء في شخصياتها الدولية أو في تنظيماتها الداخلية ، ونلاحظ ذلك فيما يلي :

1 / تقسيم الهيئة إلى طوائف (محلية) قومية :

ترجع التغيرات الرئيسية للهيئة إلى القرار الذي صدر عن المؤتمر الإسبتارية العام[3] سنة **1309** م ، و قد نص على تقسيم أعضاء الهيئة إلى طوائف مختلفة ، و يتجلى تحول هيئة الإسبتارية بمقتضى هذا التقسيم في تحالف مجتمعات مختلفة القومية يتم التوحيد فيما

---

(1) - Delaville(le roulx) : op . Cit. , pp. 263 – 265.

(2) - Delaville (le roulx) : op . cit. , p 264 – 265 ;

و انظر : سامي سلطان : نفسه ، ص 103 – 104 .

(3) - Delaville le roulx : op . cit. p 256.

بينها إما لغرض الحرب ضد المسلمين أو لغرض التجارة و الكسب منها[1] فإن عدد الطوائف القومية في بداية الأمر سبعا لكل طائفة نزل في رودس يقيم فيها عميدها و تشكلت من هذه الطوائف فئة الوكلاء المركزيين المعروفين الوكلاء الديريين **Baillis conventuels** خصص لكل منهم منصب رئيسي من مناصب الإدارة المركزية العليا يشغله بحكم منصبه كرئيس للطائفة التي يمثلها.

و كانت هذه الجماعات السبع تقسم حسب الأهمية إلى :

1. جماعة بروفانس : و قد خصص لرئيس هذه الطائفة منصب الآمر الكبير[2] " **Le grand commandeur** " ، وهو المسؤول المالي ، و يلي منصب السيد الكبير مباشرة في الأهمية.
2. طائفة أوفرن : خصص لرئيسها منصب المارشال و هو المسؤول العسكري.
3. طائفة فرنسا : خصص لرئيسها منصب المشرف الطبي للإسبتارية أي المسؤول الطبي.
4. طائفة إيطاليا : تولى رئيسها منصب أمير البحر الأميرال.
5. طائفة إسبانيا : تولى رئيسها كذلك منصب الجواخ و قد عرف فيما بعد بالمحافظ الكبير" **Grand conservateur**"
6. طائفة إنجلترا : و قد خصص لرئيسها منصب قائد الخيالة التركوبلي.
7. طائفة ألمانيا : و التي خصص لرئيسها منصب الوكيل الكبير[3] **Grand Barllif** مع العلم أن هذا المنصب لم ينشأ إلا سنة **1428** م .

---

(1) - سامي سلطان : الاسبتارية في رودس ، ص 179 .

(2) - Farochon (P.A) : les chevaliers de Rhodes et de malte , chroniques et récits . tours, p 141 .
نلاحظ عدم المساواة بين الطوائف و يعود ذلك إلى كون جيرار مؤسس الهيئة ينتمي إلى إقليم بروفانس .
انظر : سامي سلطان الاسبتارية في رودس ، ص 180 .

(3) – Delaville (le roulx): les hospitaliers en T. S et a Chypre ; p 304 ; Delaville . le roulx : les hospitaliers a Rhodes, p106.

ونلاحظ من هذا التقسيم أن العنصر الفرنسي قد احتل مركز الصدارة ،هذا ما جعل عناصر الاسبتارية الأخرى تثور على الوضع كلما سنحت لهم الفرصة ،وكان أن تولى زاكوستا الإسباني رئاسة الهيئة عام 1360 م ،وأصدر في العام التالي أمرا بإدخال تغيير على الهيئة ،وذلك باستخدام طائفة ثامنة فيها لصالح العناصر غير الفرنسية ،وقسمت إلى قسمين:

1. طائفة أرغونة و قطالونيا و نافارا : ويحتفظ بترتيبها الخامس بين الطوائف الأخرى، ويتولى عميدها منصب المحافظ الكبير .
2. طائفة قشتالة و ليون و البرتغال : وتكون في المرتبة الثامنة ،ويخصص لرئيسها منصب حامل الأختام الكبير **Grand Chancelier** كما كان لحامل الأختام نائب يعينه المجلس الاعتيادي ،ويسمى " **Le vice Chancelier** ".

أما عن حامل الأختام الكبير فقد كان مسؤولا عن حفظ خاتم المجلس ،وهو بنفسه خاتم الدولة العام في رودس تختم به الرسائل الحكومية ،والتعليمات التي تعطى للمبعوثين .
أما نائب حامل الأختام فقد كان يحضر جميع اجتماعات المجلس ،ويقوم بتدوين كل ما يحدث .

المؤتمر العام:

كان يتولى مهمة رئاسة بيوت الإسبتارية خارج رودس بالتشاور مع السيد الكبير ، إلا أن هذه المهمة سرعان ما أصبحت من مسؤولية المجلس الاعتيادي بسبب قرار صدر عن المؤتمر العام المنعقد في رودس سنة 1370 م[1] .
أما عن طريقة اختيار من يتولى تسيير شؤون بيوت الاسبتارية في أوربا ،فقد كان عن طريق الاقتراع ، وكان يشترط على من يتولى هذه المهمة أن يكون من فئة الفرسان ، له أقدمية تقدر بخمس عشرة سنة في الهيئة.

---

(1) - De laville.(Le roulx) : les hospitaliers a Rhodes, p163 ;
سامي سلطان : نفسه ، ص 231 .
و ارجع إلى : Delaville (. Le roulx): les hosp. en T.S. , p 307.

مجلس الاسبتارية و سلطاته على الادارتين المركزية والاقليمية:

لقد امتدت مسؤولية المجلس الاعتيادي إلى مراقبة رؤساء الاسبتارية في أوربا، بحيث أجبرهم على إرسال نسخ مطابقة لما هو مدون في سجلاتهم عن محتويات وكالاتهم مساحاتها و إيراداتها ، وكان ذلك وفقا لقرار صدر في سبتمبر **1420** م برئاسة السيد الكبير دي نيلاك و ذلك في المؤتمر العام المنعقد برودس .

ونلاحظ فيما يخص الإدارة الإقليمية أنها عرفت هي الأخرى تغييرا بحيث كلفت كل طائفة من الطوائف الثمانية بإدارة الشعب التي تتواجد في الوطن الأصلي* .

ويكون ذلك إما عن طريق مديرين بدرجة مقدمي شعب "**Prieurs**" ، وهؤلاء يقومون بإدارة الشعب الواسعة ، أو بدل وكلاء مجمعيين "**Baillifs capitulaires**" لإدارة الشعب الصغرى، ويحق للوكلاء المجمعيين الارتقاء إلى درجة مقدمي الشعب الواسعة أو بدرجة آمرين " **Commandeurs**" لإدارة الدوائر أو الآمريات التي تتشكل منها سائر الشعب و لهم حق الترقية إلى درجة وكلاء مجمعيين أو إلى درجة مقدمي شعب مباشرة .

و هناك بعض المناصب الإقليمية ، لم يرتبط أي منها بطائفة معينة ، و من هذه المناصب الآمر الكبير بقبرص ، كان في بداية الأمر من طائفة بروفانس ، و منصب آمر لانجو إلا أنه تقرر في أفنيون في أوائل 1356م بأن يكون لجميع الطوائف حقوق متساوية في هذين المنصبين(1).

---

* - انتهزت طوائف الاسبتارية - ماعدا فرنسا - انعقاد مؤتمر عام في الفاتيكان عام 1446 م ، وذلك في العهد السيد الكبير جنا لاستيك فقامت بتقديم شكوى للبابا يوجين الرابع و قد تضمنت الشكوى أمر اللامساواة بين الطوائف المختلفة و ذلك فيما يخص أمر تولي الوظائف الرئيسية في حكومة الهيئة ، و لكن البابا لم يحل المشكل و اكتفي بتقديم نصيحة لجميع الطوائف المختلفة فيما يخص أمر تولي الوظائف الرئيسية في حكومة الهيئة ، و تكرر الأمر فيما يخص هذه القضية عام 1454 م و في عام 1461 م، و هو تاريخ وفاة السيد الكبير للهيئة يعقوب ميليلي ، و عادت الطوائف إلى مطالبها القديمة ، و توجت باختيار بطرس ريموند زاكوستا الإسباني سيدا كبير للهيئة .

انظر: Flandin (E) : histoire Des chevaliers de Rhodes , PP 175 – 176 , notes 1873 ; billioti (E) . L' ile de Rhodes, Paris 1881; p 231.

(1) - سامي سلطان : نفسه ، ص 184 ، و انظر :

Les statuts , Titre 14 m 123 , nom 4.

ومن أهم المناصب الكبرى في هيئة الاسبتارية التي يراعى فيمن يتولاها الكفاءة والأهلية منصبا رئيس الكنيسة و منصب السيد الكبير نفسه[1].

وجدير بالذكر أن المجلس الاعتيادي لم يكن مجلس إدارة و رقابة و حكم فحسب بل كان أيضا مجلس قضاء و تأديب .

فقد كان محرما على أي إسبتاري أن يخضع لسلطة قضائية غير السلطة التابعة لهيئة الاسبتارية.

إلا أن وظيفة المجلس الاعتيادي القضائية لم تقتصر على خدمة أعضاء هيئة الاسبتارية ولكنها شملت خدمة جميع سكان رودس من غير الاسبتارية[2] .

كما كان لهيئة الاسبتارية إلى جانب المحكمة القضائية محكمة الفصل السريع في الخصومات ، و هي محكمة تتشكل بأمر من السيد الكبير و المجلس الاعتيادي عند الطلب ولا يجوز لهذه المحكمة أن تتعرض لحقوق الخزانة و امتيازاتها ، أو لشخص السيد الكبير و سلطاته، وذلك وفقا لقانون سن في عهد السيد الكبير بطرس دويسون[3] (1476 - 1503)، ومهما يكن من أمر تشكيل محاكم الفصل السريع في الخصومات فيلاحظ عليها عدم التعقيد و التبسط ، و ذلك حتى تحقق الغرض الرئيسي لها .

وهكذا فإن التنظيم الإداري لهيئة الاسبتارية قد تميز بالتعقيد و التشعب ميزة ارتبطت بشكل وثيق بتزايد ممتلكاتها و انتشارها مما ضاعف من مساهمتها في الصراع الإسلامي الصليبي بشكل كبير[4].

---

(1) _ De laville. Le roulx : les hospitaliers a Rhodes, p130.

(2) - سامي سلطان : الاسبتارية في رودس ، ص 244 .

(3) - سامي سلطان : نفسه ، ص 245 .

(4) - Delaville le roulx .: Les hosp en T. S et a Chypre , pp. 403 -404 ; King the kinghts hospitaliers , p 36.

الفصل الثاني

الفصل الثاني :

الدور الصليبي لهيئة الإسبتارية منذ تحولها إلى قوة عسكرية حتى معركة غزة الثانية 543 – 642 هـ / 1148 – 1244 م .

- تحول جماعة هيئة الإسبتارية إلى هيئة عسكرية .
- دور هيئة الإسبتارية في الدفاع عن بيت المقدس 547 هـ / 1152 م .
- دور هيئة الاسبتارية في العدوان الصليبي على مصر في أيام الملك عموري الأول 557هـ–569هـ/ 1162-1176م.
- مشاركة هيئة الإسبتارية في الصراع مع الصليبيين و صلاح الدين الأيوبي .
- هيئة الإسبتارية و موقعة حطين 583 هـ / 1187 م .
- انعكاسات معركة حطين على هيئة الاسبتارية.
- هيئة الإسبتارية و الحملة الصليبية الثالثة 586 هـ / 1190 م .
- مساهمة هيئة الإسبتارية في الحملة الصليبية على دمياط 615 – 618 هـ / 1218 – 1221 م .
- مساهمة هيئة الإسبتارية منذ الحملة الصليبية السادسة 625هـ/1228م حتى معركة غزة الثانية 642 هـ / 1244 م .

تحول هيئة الإسبتارية إلى هيئة عسكرية :

لقد حققت الحملة الصليبية الأولى هدفها للأمراء المسيحيين بدخولهم الأراضي المقدسة و تحقيقهم الانتصارات أمام الجيوش الإسلامية، غير أن بقاءهم في مركز القوة كان يتطلب منهم إقامة حكومة مستقرة تستند إلى وسائل دفاع قوية، و أن تكون طرق اتصالهم بأوربا آمنة خاصة للحجاج المسيحيين.

فكان أن اشتهر ريموند دي بويه 'Raimond de puy' 1120 – 1160 م ، الرئيس الثاني لهيئة الإسبتارية و خليفة جيرارد 'Gerard' بسياسته الحكيمة داخل الهيئة و بأفكاره المقنعة(1)

فقد كان يرى أنه لا يكفي أن يقتصر عمل الهيئة على إرشاد الحجاج و إيوائهم في الأراضي المقدسة، بل كان ينبغي على الهيئة أيضا أن تحرص منذ إقامة طائفة الفرسان فيها و التي عاهدت الله على التقشف و الطهارة و العفة، أن تعمل جنبا إلى جنب مع الصفوف الصليبية على محاربة المسلمين أينما كانوا. (2)

و هكذا نرى أن هيئة الإسبتارية قد أمدّت مملكة بيت المقدس في عهد بلدوين الاول 1100 – 1118 م 'Boudouin I' بجيش منظم يتألف من عساكر مدربة تستطيع أن تكفل للملك مددا منتظما من المحاربين الأوفياء يقومون بواجبهم على أحسن وجه، فلا يغريهم الربح و لا الطموح .

---

(1) انظر Maimbourg : Histoire des croisades , hist. occ., t.1 , p.386

و يوضح المؤرخ طريقة انتقال الرئاسة إلى ريموند دي بويه، كما يعلق على الأصول الأولى لعائلته

انظر أيضا Delaville(le roulx) : op.cit ., p.44

(2) رنسمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ج2 ، ص 249 .

إن تطور العلاقات العسكرية بين المسلمين و الصليبيين في الشام لم يلبث أن جعل جماعة الإسبتارية تتحول إلى هيئة عسكرية، ذلك أنه في عام 532 هـ / 1137 م أسند لها الملك فولك دانجو 'Foulque d'Anjou' 525 – 536 هـ / 1131- 1143 م ، صاحب عرش مملكة بيت المقدس مهمة حماية الصليبيين بالمناطق المجاورة لقرية بيت جبرين المملوكة الإسبتارية. (1)

كما أنه أقيم بالقرية حصن استخدم من أجل حماية بيت المقدس من ناحية الجنوب ضد هجمات القوات الفاطمية المرابطة غرب بيت جبرين .(2)

و لم تتحقق الصفة العسكرية للهيئة إلا بعد ما عهد إليها الأمير ريموند الأول - صاحب إمارة طرابلس عام 532 هـ / 1137 م - مسؤولية حماية بعض الحصون و من أهمها حصن الأكراد * ، حصون بعرين **

---

(1) انظر : Guillaume (de tyr) : Histoire des croisades, hist. occ., t.1 , p.638

(2) المقديسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دارإحياء التراث ، ط 1987 ، ص 148 .

أرجع أيضا إلى :

Delaville (le roulx) : op. cit ., p.45-47 ; King : the kinghts Hospitallers in the holy land , London 1931, p.34 ; Alexander (P) Khazdum and Alice mary malbot : The Oxford dictionary of Buzantium, t II. , p 951 – 952 .

* حصن الأكراد يقع في الطرف الشرقي لإمارة طرابلس، كان أصحابه من الإسبتارية يراقبون طرق حمص- حماة المؤدية إلى مدينتي طرسوس و طرابلس بحكم موقعه الهام. وكان يستقبل اللاجئين الصليبيين بالإضافة إلى كونه منطلقا للصليبيين الراغبين في الإغارة على المواقع الإسلامية.

انظر: Des champs (Paul): Les chateaux des croisés en Terre Sainte,Paris, p.111

** بعرين : يقع قرب مدينة حمص شمال سوريا اسمها بارين .

ارجع إلى : ياقوت الحموي، معجم البلدان– دار صادر بيروت، ط 2 – 1995، المجلد الأول ، ص 452 .

رفينة و البقاع* ، و هي حصون تتحكم في الطرق المؤدية إلى إمارته عبر جبل لبنان من الناحية الشرقية.

كما حرص ا لملك فولك على توطيد ملكة في بيت المقدس و عمل على توزيع سلطانه على سائر الإمارات الصليبية.

فاتسعت رقعة المملكة و توفرت لها أسباب الدفاع بما شيّده هذا الملك و من سبقه، و بما وضعوه من استحكامات عسكرية .

و مما يلاحظ أن تاريخ التحول الفعلي لهيئة الإسبتارية ، كان محل خلاف العديد من المؤرخين، و قد وضعت عدة احتمالات عن البدايات الأولى لهذا التحول الذي يرجح أن يكون عام 1137 م .(1) وما يلاحظ أن الهيئة سعت منذ هذا التاريخ الى العمل على محاربة المسلمين في جميع البقاع المقدسة، وكان ذلك جنبا الى جنب مع سائر القوات تاصليبية

دور هيئة الإسبتارية في الدفاع عن بيت المقدس :

دعا البابا أيوجينوس الثالث 1145– 1153 م' Eugene III' للقيام بحملة صليبية ثانية في آخر مارس من عام 541 هـ/ 1146 م، و قد استجاب لهذه الحملة كل من الإمبراطور الألماني كونراد الثالث 'Conrad III' (533–547 هـ / 1138 – 1152 م) و الملك الفرنسي لويس السابع 'Louis VII' (532 - 576 هـ / 1137 – 1180 م)

---

* رفينة و البقاع : بقعان بالقرب من بعلبك من انظر أبا شامة : الروضتين ، ج1 ، رسم الدكتور محمود حلمي ، ص 724 ، البغدادي : نبذ من كتاب الخراج و صنعة الكتابة دار إحياء التراث العربي ص 74 – 75 ، الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق عالم الكتب، ط 1989، ص 359 .

(1) Delaville le roulx : op . cit . , p. 46 – 47 .

اللذان قادا شخصيا جيشهما البالغ تعداده حوالي سبعين ألف رجل. (1)

و قد اكتسبت الحملة الصليبية الثانية طابعا مختلفا في أساسه عن الحملة الصليبية الأولى عام 1099 م ، التي عرفت بتلك الهجرات الكبيرة للغرب الأوربي نحو الأراضي المقدسة بالشرق الإسلامي.

واتسمت الحملة الصليبية الثانية بأن قادها جيشان كبيران ينتميان إلى أكبر دولتين في الغرب الأوربي.

و كان أن اقتحمت هيئة الإسبتارية أولى معاركها ضد المسلمين في عام 543 هـ / 1148 م ، حيث اشترك فرسانها مع جيوش الحملة الصليبية الثانية (2) كما ساهموا مساهمة كبيرة في محاصرة مدينة دمشق في 06 ربيع الأول 543 هـ / جويلية 1148 م .

و يعود السبب في تحرك أوربا الصليبية لإنجاد الصليبيين إلى تخوفهم من تطلعات السلطان نورالدين محمود الذي شرع منذ توليه العرش عام 542 هـ / 1147 م في مهاجمة المواقع الصليبية القريبة من عاصمة حلب، بالإضافة إلى استعادة إمارة الرها

و هكذا تجمعت الجيوش الصليبية لمهاجمة دمشق كما سبق الذكر عام 543 هـ / 1148 م عند طبرية و منها زحف الصليبيون عن طريق ياتباس إلى الغوطة ، كما قاموا باحتلال مراكز و قرى عديدة خارج أسوار دمشق مثل المنرة و الربوة.

(1) عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 622 – 631 ، قمعون (عاشوري) : نفسه ص 82

(2) ابن الأثير : الكامل ، ج 11 ، ص 98 – 122 ؛ ابن قاض : الكواكب الدرية في السيرة النورية ، ط. بيروت 1971 ، تحقيق د. أحمد زايد ، ص 119 ؛ أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني(الفقيه: مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط 1 1988 ، ص 91 – 99

أما المسلمون فقد عملوا على توحيد صفوفهم استعدادا للمواجهة الكبيرة (1) . و قد بيّن المؤرخ أبو شامة ذلك في كتاب الروضتين قائلا " و اجتمع عليهم من الأعمال و الأجناد و الأتراك و أحداث البلد و المطوعة و الغزاة الجم الغفير و استظهر الكفار على المسلمين بكثرة الأعداد .... ". (2)

و قد حدث أن قام المسلمون بمهاجمة الصليبيين من الجهة الغربية التي يسميها المؤرخون المسلمون " الميدان الأخضر " . (3)

و هكذا نرى أن مدينة دمشق كادت تستسلم للصليبيين لولا وصول الإمدادات الإسلامية – كما رأينا- من خارج أسوار المدينة ، إلى جانب وصول أخبار عن تقدم نور الدين محمود (4) سلطان حلب لإنجادهم ، بالإضافة إلى مناعة أسوار المدينة نفسها .

---

(1) عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 632 ؛ قمعون (عاشوري) نفسه ، ص 35 – 37

(2) عاشور (سعيد عبد الفتاح) : نفسه ، ج 2 ، ص 632 نقلا عن أبي شامة : كتاب الروضتين ، ص 52 ،!

(3) عاشور (سعيد عبد الفتاح) : نفسه ، ج 2 ، ص 632 نقلا عن ابن واصل : مفرج الكروب ، ج 1 ، ص 112 .

(4) و هو ابن عماد الدين زنكي ، آل إليه القسم العربي من الدولة الزنكية و مركزه حلب بعد اغتيال والده في عام 541 هـ / 1146 م . انظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج 11 ، ص 112 – 113 .

و هو ما أدى بالصليبيين إلى التقهقر ، خاصة بعد انقسام صفوفهم بسبب التنافس على مصير الغنيمة قبل أن يتمكنوا منهما، فبينما طمع أمراء بيت المقدس في أن تصبح دمشق بعد الاستيلاء عليها تابعة للمملكة، إذ ببعض الأمراء - يؤيدهم لويس السابع نفسه- يطمعون في الفوز بدمشق ليقيموا فيها إمارة صليبية جديدة مستقلة ؛ كما ظهر الخلاف واضحا بين الصليبيين المقيمين ببلاد الشام .

و هكذا عاد كل من قائدي الحملة الصليبية الثانية (1) لويس السابع و كونرا الثالث إلى بلادهما دون تحقيق أهدافهما، و في عام 544 هـ / 1150 م قام بلدوين الثالث – أول ملك من ملوك بيت المقدس ولد في أرض المملكة الصليبية - إلى جانب أمير طرابلس ريموند الأول بمرافقة هيئة الإسبتارية و سائر القوات الصليبية بالشام ، بعملية إجلاء السكان اللاتينيين عن المدن و القلاع التي وقعت في يد السلطان نور الدين محمود و نقلهم إلى أنطاكيا القريبة (2) .

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 11 ، ص 129 – 131 ؛ ويل ديورانت : قصة الحضارة ، ج4 المجلد الرابع ، ص 30 – 33 .

(2) سامي سلطان : نفسه ، ص 36 ؛ قمعون (عاشوري) : نفسه ص 40 . .

كما واصل نور الدين محمود مطاردتهم في الطريق عند دلوك* و عين تاب** غير أنه لم يتمكن من هزيمتهم بصفة كاملة. (1)

و بينما كان بلدوين الثالث مشتغلا في حربه مع محمود نور الدين زنكي، تعرضت عاصمة مملكة بيت المقدس في عام 547 هـ / 1152 م لخطر الغزو من جانب تمرتاش بن إيلغازي و هو من نسل ارتق بن اكسب السلحوقي ، صاحب بيت المقدس قبل عصر الصليبيين .

و قامت هيئة الإسبتارية بمساهمة الأهالي في محاربة الغزاة، كما قام بلدوين الثالث عند عودته إلى مملكته من الشمال بمطاردتهم و تشتيت شملهم عبر الأردن (2) ، ثم توجه إلى مدينة عسقلان (3) .

---

* دلوك : تقع شمال عين تاب ، انظر أبا شامة كتاب الروضتين ج 1 ، ص 722 .

** عين تاب : قلعة حصينة تقع بين حلب و أنطاكية و كانت تعرف بدلوك ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ص 176 .

(1) ابن الأثير ، تاريخ الدولة الأتابكية ، القسم الثاني من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين ، ص 185 – 186 .

(2) سامي سلطان : نفسه ، ص 37 ؛ قمعون (عاشوري) : ص 41 .

(3) أبو شامة : كتاب الروضتين ، الجزء الرابع من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين ص 76 ؛ و ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 11 ، ص 80 ، كامل التواريخ ، ص 495 – 497 ؛ تاريخ الدولة الأتابكية ، ص 188 – 192 .

و انظر: Guillaume de Tyr : Histoire des croisades . Hist.occ, t1 pp 760–758

و في عام 549 هـ / 1153 م بعد ترتيبات حربية و سياسية حيث كان قد أعاد تحصين غزة ، هذا من الجانب الحربي، أما من الجانب السياسي فقد قام بعقد حلف مع دمشق حتى يتمكن من أن يؤمن مملكة بيت المقدس من جانبها ، و بذلك قام بحصار عسقلان لعدة أشهر بمساعدة هيئة الإسبتارية التي كانت مرابطة في حصن بيت جبرين الواقع إلى الشرق من المدينة (1)

و قدمت هيئة الإسبتارية مساعدات هامة للجيش الصليبي الذي تمكن من احتلال المدينة عام 1135 م و حوّل جامعها الكبير إلى كنيسة .

و الواقع أن المدينة قد تعرضت للقذف الشديد بالرغم من أن سكانها لم يستسلموا إلا بفرض شروطهم المتمثلة أساسا في أن يسمح لهم بمغادرة مدينتهم بأمان رفقة أمتعتهم و قد قبل بلدوين هذه الشروط و التزم بالوفاء بها ؛ و هكذا نرى أن إستيلاء الصليبيين على عسقلان يعدّ آخر ما أحرزه ملوك بيت المقدس من انتصارات دعّمت مكانتهم و فرضوا بسط سيطرتهم على ساحل الشام و فلسطين بأكمله ، أي من الأسكندرونة في الشمال حتى غزة في الجنوب (2) .

و قد قام السلطان نور الدين محمود بعدها أي في عام 1154 م بالاستيلاء على دمشق وفق خطة سياسية محكمة، مستغلا في ذلك الحالة الإقتصادية المتأزمة بدمشق .

---

(1) اليعقوبي : كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، ط 1988 ، ص 90 – 91
ابن منقذ (أسامة) : كتاب الإعتبار ، ص 20 – 22 .
و انظر : Delaville le roulx : op. cit ., pp.51-52
(2) عاشور (عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 653 – 654.

فكان أن عقد معاهدة مع الملك بلدوين الثالث لمدة سنتين (1) التزم فيها بدفع الجزية و مقدارها ثمانية آلاف دينار ، إلا أن الملك بلدوين الثالث قام بهجوم على الأعراب في ناحية بانياس بتاريخ 552 هـ /1157 م ، بالرغم من كونه قد تعهد بتجديد الصلح مع نور الدين محمود (2)

و قد لعبت هيئة الإسبتارية عن طريق نائب السيد الكبير جيرارد فتز هيو 'Gerard Fitz Hugh' دورا مهما في الدفاع عن مدينة بانياس بعد أن تعهد لها صاحبها، و هو أنفري دي تورون 'Honfroi de Toron' بنصف ملكيتها (3) ، إلا أنّ فرسان الهيئة قد تعرضوا إلى مذبحة شنيعة، دفعت بحماس الملك بلدوين إلى الثأر من جيوش نور الدين محمود الذي اضطر إلى قبول الهدنة منذ عام 1159 م .

و قد لعب السيد الكبير الجديد لهيئة الإسبتارية و يدعى أوجيه دي بالبن 'Auger de Balben' ، الذي خلف ريموند دي بويه المتوفي عام 1160 م ، دورا كبيرا في إقناع البابا 'Alexandre III' بتتويج عموري الأول ملكا على المملكة المقدسة بعد وفاة أخيه بلدوين الثالث ببيروت عام 1162 م. (4)

---

(1) رنسمان ستيفن : تاريخ الحروب الصليبية ، ج 2 ، دار الثقافة بيروت ، ط 2 1989 ص 550 ؛ عاشور (عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 664 – 665 سامي سلطان ، الإسبتارية في رودس ، ص 38 .

(2) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 09 ، دار الكتب بيروت لبنان ط 1981 ، ص 463 .

(3) سامي سلطان ، الإسبتارية في رودس ، ص 40 ؛ رنسمان ستيفن : تاريخ الحروب الصليبية ، ج 2 ، ص 582 – 583 .

و ارجع إلى : Delaville le roulx : op . cit ., pp . 63 – 64.

(4) رنسمان ستيفن : تاريخ الحروب الصليبية ، ج 2 ، ص 582 – 583 .

و هكذا نرى أن هيئة الإسبتارية قد تصدت لهجوم عنيف قام به السلطان نور الدين محمود في ربيع عام 558 هـ / 1164 م ، على حصن الأكراد داخل إمارة طرابلس، وانتصرت عليه في موقعة البقيعة بالقرب من هذا الحصن. (1)

غير أن نورالدين أعاد الكرة و تمكن من الثأر لهذه الهزيمة في شهر رمضان عام 559 هـ / أوت 1165 م أمام حارم بإمارة أنطاكية و يأسر من زعماء الصليبيين بوهيموند الثالث أمير أنطاكية، ريموند الثالث أمير طرابلس ، جوسلين الثالث 'Jocelin III' حامل لقب أمير الرها، طوروس 'Tores' أمير أرمينيا الصغرى قنسطنطين قلمانوس 'Constantin Calmanos' أمير قيلقية البيزنطي و عددا هائلا من فرسان هيئتي الإسبتارية و الداوية. (2)

و هكذا يبدو لنا أن الدور الفعال الذي قام به السلطان نورالدين محمود في مواجهة الصليبيين كان هاما جدا ، مكّنه من ترجيح كفة الطرف الإسلامي و إعلاء شأن المسلمين في بلاد الشام موطن الصراع الدائر بين الفريقين ، و على رأسهم هيئة الإسبتارية ، الخصم العنيد للسلطان الذي يعود له الفضل في إنقاذ الجيش الإسلامي من هزائم منكرة ، يمكن أن تنهي الصراع و تثبت أقدام الصليبيين بصفة نهائية في بلاد الشرق الأدنى.

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 11 ، ص 294 – 295 ؛ أبو شامة : كتاب الروضتين في (Rec . Hist . Orient. t . IV) ، ص 97 – 102 ابن قاضي الكواكب الدرية ، ص 160 ؛ قمعون (عاشوري) نشاط هيئة الداوية ، ص 44 – 45 .

(2) ابن الأثير : نفسه ، ص 301 – 302 ؛ أبو شامة نفسه ، ص 108 – 109 .

دور الهيئة الإسبتارية في العدوان الصليبي على مصر في أيام الملك عموري الأول 557 - 569 هـ / 1162 – 1173 م .

قام السيد الكبير لهيئة الإسبتارية جلبيرت داسيلي الذي تولى رئاسة الهيئة في 19 جانفي 1162 م - خلفا أرنولد دي كومب المتوفي عام 1162 م - بمساندة الملك عموري الأول في جميع حملاته على مصر (1) ، التي كانت وقت ذاك ميدانا لصراع طويل بين قوات نورالدين محمود و قوات الصليبيين ، في الوقت الذي صارت الخلافة الفاطمية نفسها لا تقوى على مجرد الحركة ، لأنها أضحت تقاسي الضعف و الإنحطاط بعد أن فقدت الخلافة هيبتها و اختلت أحوال مصر الداخلية .

و لعل السبب الذي جعل عموري الأول يتجه وجهة جديدة في حملاته الصليبية ، أي الإتجاه إلى الجنوب الغربي في الأراضي المصرية ، هو قيام الدولة النورية في الشام و نجاحها في تحقيق الوحدة بين حلب، حماه ، حمص و دمشق ، ممّا أغلق الباب أمام الصليبيين في عملية التوسع في الاتجاه الشمالي الشرقي ، و بذلك لم يبق أمامهم سوى

---

(1) سامي سلطان ، الإسبتارية في رودس ، ص 40

انظر: -948-949- Willermi tyrensens. dans R. H. C , Hist . Occ ; t1; p .

Delaville le roulx : op. cit ., pp.66-69 .

و طول مصر من الشجرتين اللتين بين رفح و العريش إلى أسوان ، و عرضها من برقة إلى أيلة ، فهي مسيرة أربعين ليلة في أربعين ليلة ، فمن بغداد إلى مصر خمسمائة فرسخا أي ألف و سبع مائة ميل و عشرة أميال .

انظر : ابن رستة : الأعلاق النفسية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ص 111 – 112 ؛ ابن خردادية : المسالك و الممالك ، تحقيق الدكتور محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، ط 1988 ، ص 77 .

مصر التي أضحت غنيمة سهلة نتيجة لضغط الخلافة الفاطمية (1) التي كانت تقاسي آلام الموت البطيئ ، و ليس أدل على ذلك من الهزال الذي أصاب الدولة الفاطمية هو أن كثيرا من خلفائها كان مصيرهم القتل ، فضلا عن تحكم الوزراء العظام في شؤون الدولة و الخلافة ، و قد حدث أن مات الخليفة الظافر مقتولا سنة 549 هـ / 1154 م، فاستبد بالأمور في مصر الوزير الصالح طلائع بن رزيك الأرمني الأصل.

و كان الخليفة الفائز بن المظفر طفلا صغيرا ليس له من الخلافة إلا لقبها ، وعند وفاته سنة 555 هـ / 1160 م تولى السلطنة الخليفة العاضد الذي كان هو الآخر صغيرا في السن ، مما مكن للوزير طلائع ابن رزيك من العبث بالخلافة (2) .

و لم يلبث أن أحس الخليفة العاضد بثقل المسؤولية فدبر حيلة للتخلص من ابن رزيك ، وتم ذلك بالفعل سنة 556 هـ / 1161 م ، وخلف ابن رزيك في منصب الوزارة ابنه العادل حتى قتله شاور الذي تولى منصب الوزارة سنة 558 هـ / 1163 م . (3)

و أمام هذه الوضعية التي آلت إليها مصر ، دفعت بالملك عموري إلى محاولة غزوها ، و قد اختلفت آراء المؤرخين حول اشتراك هيئة الإسبتارية في جميع هذه الحملات (4) ، فرأى المؤرخ وليم رئيس أساقفة صور لم يذكر سوى حملة واحدة

---

(1) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج 5 ، ص 345 ؛ ابن شداد : النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين) ، ص 36 .

(2) ابن الكثير : البداية و النهاية ، المجلد السادس ، بيروت ، ط 2 ، 1977 ، ص 221 ؛ ابن شداد : النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية ، ص 36 .

(3) ابن الكثير : البداية و النهاية ، المجلد السادس ، ص 221 .

(4) عدد الحملات على مصر خمسة وهي: حملة 1163 ، 1166،1167،1168، 1169 م

انظر : سامي سلطان ، انفسه، ص 40 و اجع إلى , W.TELLERMI TYRENSENS. dans R.H .C Hist Occ ; t1 ., pp 948 – 949

كان قد وجهها السيد الكبير للإسبتارية عام 1168 م، في حين نفى اشتراك الهيئة في جميع الحملات الأخرى رغم إقراره (1) لعدم وجود وثائق تتحدث عن ذلك ، ولعل هذا هو السبب الذي جعله يحكم بذلك .

أما عن الملك عموري ، فلم يتطلع إلى التوسع في مصر إلا بعد أن اطمأن على مصير الصليبيين بالشام و مصر (2) .

و كانت العقبة الكبرى التي واجهته هي قلة الموارد البشرية ، بعد أن قتل و أسر كثير من الصليبيين بالشام، و تناقصت أعداد الحجاج الوافدين من الغرب الأوربي، و لم يجد الملك عموري من يشد أزره سوى رجال الهيئات الصليبية مثل الإسبتارية و الداوية اللتين ما انفكتا تقدمان يد المساعدة للحكام الصليبيين ضد الهجمات الإسلامية ، و هكذا قام بإعداد جيش كبير أسهم فيه فرسان الإسبتارية مساهمة فعالة لقوة بأسهم و صلابة موقفهم . و وصل الجيش الصليبي إلى مصر باستدعاء الحاجب صرغام * بن عامر لنصرته على الوزير شاور**

---

(1) WILLERMI .TYRENSENS. Op . Cit ., pp 948 – 949

(2) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 5 ، ص 346 .

* ـ الملقب بالأسد المفترس : ابن الكثير : البداية و النهاية ، ج 6 ، ص 232 .

** ـ هو أبو الشجاع السعدي الملقب بأمير الجيوش كان وزير الديار المصرية أيام حكم العاضد انتزع الوزارة من يد رزيك و التجأ إلى نور الدين محمود عندما ثار عليه ضرغام بن سوار فأمده بجيشه تحت قيادة الأمير أسد الدين شيركوه فنصروه على عدوه و قد امتدحه الشعراء و منهم عمارة اليمني الذي قال :

ضجر الحديد من الحديد و شاور
من نصر دين محمد لم يضجر
حلف الزمان ليأتين بمثله
حنثت يمينك يا زمان فكفّر

انظر : ابن الكثير : البداية و النهاية ، المجلد السادس ، ص 232 .

الذي كان يساعده في قتال جيش أرسله له نور الدين محمود بقيادة أسد الدين شيركوه * النوري (1) .

لكن لم يلبث أن وقع نزاع بين السلطان نورالدين محمود و الوزير شاور بسبب إمتناع هذا الأخير على الوفاء بتعهداته التي كان قد قطعها على نفسه لنور الدين ثمنا لمساعدته ضد ضرغام .

و كان أن رجع أسد الدين شيركوه إلى مصر لتأديب شاور ، غير أن الوزير الفاطمي استنجد في هذه المرة بملك بيت المقدس عموري الذي لم يلبث أن وصل لنجدته في ربيع الأول من عام 562 هـ / 1167 م . (2)

و لعلّ السبب الذي جعل السيد الكبير للإسبتارية جلبيرت داسيلي أخلص النصحاء للملك عموري الأول في شأن جميع الحملات على مصر هو إغراء الملك له بإصداره مرسوم هام بتاريخ 11 أكتوبر 1168 م ، يقضي فيه بمنح هيئة الإسبتارية جزءا هائلا

---

* - أسد الدين الكردي الزرزاري و هو من أشرف شعوب الأكراد يعزي إلى قرية الهادريز من أعمال أذربيجان ، خدم مع أخيه نجم الدين أيوب نهروز الخادم نائب صاحب العراق ، فاستناب نجم الدين أيوب على قلعة تكريت التي دخلها عماد الدين زنكي هاربا من قراجا الساقي ، فأحسنا إليه و خدماه ، ثم قتلا رجلا من العامة فأخرجهما نهروز من القلعة ، فتوجها إلى زنكي بحلب، فأحسن إليهما حتى صارت لهما حظوة نورالدين ، و أضحى أسد الدين لدى نور الدين من أكبر أمرائه و أقطعه حمص ، انظر : ابن الكثير : البداية و النهاية ، ج 6 ، ص 233 .

(1) - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج 5 ، ص 346 – 348 ؛ ابن قاضي : الكواكب الذرية في السيرة النورية ، ص 164 ؛ عاشور(سعيد عبد الفتاح): الأيوبيون و المماليك ، ص 15

(2) - عاشور عبد الفتاح : نفسه ، ص 15 ؛ الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 699 ؛ قمعون (عاشوري) : ص 45 - 46 .

من إيرادات مصر و نصيبا وافرا من مداخل أهم المدن التجارية المصرية مثل الفسطاط، دمياط ، القاهرة ، الإسكندرية و الفيوم إلى جانب ذلك وعد الملك عموري بمنح هيئة الإسبتارية أفخم قصر مع السماح لها باستخلاص العشور في جميع الأراضي المصرية التي تقع تحت السيطرة الصليبية.

كما تم الاتفاق على أن تحتفظ الإسبتارية بالغنائم التي يفتكونها من المسلمين ، ولا يحق لأي طرف أن ينازعهم في غنائمهم ماعدا الملك . إلا أن هذه الإمتيازات كلها لم تتجسد بسبب تدخل جيوش نورالدين محمود . (1)

و قد انتهى الأمر في مصر بقتل شاور و ولده الكامل سنة 1159 م ، و شارك الخليفة الفاطمي نفسه في التخلص منه .

أما شيركوه فقد رحل على رأس قواته رفقة ابن أخيه صلاح الدين إلى القاهرة ودخولها ظافرين.

على أن شيركوه لم يلبث أن توفي في 22 جمادى الثانية من عام 564 هـ / 23 مارس 1169 م ، فخلفه في الوزارة ابن أخيه صلاح الدين . (2)

---

(1) عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الأيوبيون و المماليك في مصر و الشام ، ط 1996 ص 16 –17 .

(2) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص 32 ؛ البنداري : سنا البرق الشامي ، ص81 ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص 213 ؛ قمعون (عاشوري) : نشاط هيئة الداوية ، ص 48 .

دور هيئة الإسبتارية في الصراع بين الصليبيين و صلاح الدين :

لقد شهدت منطقة الشرق الأدنى في أواخر العصر الفاطمي تحولا خطيرا نتيجة لنجاح الصليبيين في الاستقرار في قلب تلك المنطقة ، و مما زاد الموقف سوءا بالنسبة للمسلمين في الشرق الأدنى في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) هو تفكك دولة السلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاة سنة 485 هـ / 1092 م .

و كان أكبر مظهر لانحلال سلطان السلاجقة و خاصة في بلاد الشام و العراق ظهور عدد كبير من الأسر الحاكمة التي شكلت وحدات سياسية أطلق عليها إسم أتابكيات مثل أتابكية دمشق* و أتابكية الموصل** ، و ترجع جذور البذور الأولى لمحاولة توحيد الجبهة الإسلامية المتحدة في الشرق الأدنى إلى عماد الدين زنكي الذي كان نفوذه يمتد من شمال العراق إلى شمال الشام ، و كان يطمح إلى ضم أتابكية دمشق و الإمارات المجاورة ، إلا أنه قتل ليلة الأحد 16 ربيع الثاني من عام 541 هـ/ أكتوبر 1146 م بعد أن تم له الاستيلاء على مدينة الرها مقر الإمارة الصليبية الرابعة بشمال العراق.(1)

و قد سار نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي على نهج أبيه و استولى على دمشق سنة 549 هـ / 1154 م ، ثم يمّم شطر مصر لتمتد بعدها الجبهة الإسلامية المتحدة من الفرات إلى النيل .

---

* - أتابكية دمشق : و مؤسسها ظهر الدين طغركين ، وقد استمر حكمها من سنة 498 هـ / 1104 م حتى سنة 549 هـ /1154 م .

** - أتابكية الموصل : فمؤسسها هو عماد الدين زنكي ، و دام حكمها من سنة 525-661 هـ / 1127 – 1262 هـ

(1) - ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 284 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 11 ، ص 98 ؛ ابن قاضي : الكواكب الذرية ، ص 115 .

و كان الخليفة الفاطمي عندما رأى الخطر يحدق ببلاده ، أرسل إلى نور الدين يعرض عليه ثلث بلاد مصر إذا هو أنقذه من الصليبيين (1) ؛ فأسرع نور الدين محمود بتجهيز العساكر خوفا على مصر ، و يروي أبو شامة أن نور الدين أخذ يتخوف من تردد الصليبيين على مصر بين الحين و الآخر (2)

و قد تمكن كل من شيركوه و صلاح الدين من القاهرة و دخلوها ظافرين سنة 1169 م ، ممّا جعل صلاح الدين يدعم مركزه و يجعل الخلافة الفاطمية * تفقد الأمل في التخلص من قبضته القوية ، و شائت الأقدار أن يتوفى السلطان نور الدين محمود في قلعة دمشق يوم الأربعاء 21 من شهر شوّال عام 559 هـ / 15 ماي 1174 م ، ثم يحكم صلاح الدين الأيوبي باسم ابن السلطان المتوفي اسماعيل بن نور الدين محمود .

---

(1) - ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص 36 ؛ ابن الكثير : البداية و النهاية ، المجلد السادس ، ص 281 – 283 .

(2) - أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج 1 ، ص 157 .

* - لقد واجهت الخلافة الفاطمية مشكلة كبيرة تمثلت في وقوعها تحت سيطرة دولة تدين با لمذهب الشيعي ، ففي الوقت الذي كان صلاح الدين يعمل على تدعيم المذهب السني في البلاد ، كان الخليفة الفاطمي في قصره عاجزا على مقاومة الوضع الجديد ، و يبدو أن صلاح الدين كان متخوفا على الإقدام من الخطوة الكبرى الخاصة بإسقاط الخلافة الفاطمية كما يبدو أن مخاوف صلاح الدين لم يكن مرجعها قوة الشيعة بمصر بقدر ما كان التخوف من نوايا نور الدين خاصة أنه بات يحسده على مكانته في مصر ، و لكن حدث أن طلب منه نور الدين القضاء على الخلافة الفاطمية تحقيقا للوحدة المذهبية في العالم الإسلامي .

و هكذا اضطر صلاح الدين إلى اتخاذ تلك الخطوة الخطيرة ، فتم الدعاء في أول جمعة من عام 567 هـ / 1171 م للخليفة المستضيئ بالله أمير للمؤمنين ، و حدث انقلاب في هدوء ، ولا شك أن سقوط الخلافة الفاطمية لم يكن مجرد انقلاب عادي و إنما كان حدثا خطيرا في تاريخ العالم الإسلامي بوجه عام و في تاريخ مصر بوجه خاص .

انظر : ابن الأثير : تاريخ الدولة الأتاتكية في Rec. Hist, t II, p 287 – 288

كمـا توفـى الملـك عمـوري الأول فـي نفـس السـنة و خلفـه ابنـه بلدويـن الرابـع 'Boudouin IV' 570 – 578 هـ / 1174 – 1182 م ، وقد تـمّ ذلك فـي عـهد جلبيرت السيد الكبير لهيئة الإسبتارية ، و عرفت الدولة الإسلامية بعد وفاة السلطان نـور الديـن محمود حروبـا وراثيـة مـا بيـن صـلاح الديـن حـاكم مصـر مـن جـانب و الصـالح إسماعيل وعمه سيف الدين غازي حاكم الموصل من جانب آخر. (1)

انتهت هذه الخلافات عـام 571 هـ / 1176 م بتوحيد مصـر وسـوريا و شـمال العـراق تحت زعامة صلاح الدين ، مع بقاء حلب في يد الصالح إسماعيل و هو مـا دفـع بـالملك بلدوين الرابع إلى التفكير في القضاء على مصر مركز قـوة صـلاح الديـن فـي 572 هـ / 1176 م ، غير أن مشروعه فشل.

و قامت هيئة الإسبتارية بالتحالف مـع الملك بلدويـن الرابـع فـي عـام 574 هـ / 1178 م بصد غزوة قـام بـها صـلاح الديـن * ، و تمكـنت مـن إنـزال الـهزيمة بصـلاح الدين قرب مدينة الرملة ، ولكنه ثأر لهزيمته تلـك بـالرد عـام 575 هـ / 1179 م عند مرج عيون بالقرب من مدينة بيسان** .

---

(1) - ابن شداد : النوادر السلطانيـة ، ص 37 ؛ ابـن واصـل مفـرج الكـروب ، ج2 ، ص 39 ؛ البـازي العرينـي : الأيوبيـون ، ط بـيروت ، ص 47 – 56 ؛ قمعـون (عاشـوري) نشـاط هيئة الداوية ، ص 50 .

* - بعد هزيمة السلطان صلاح الدين عام 573 هـ / 1177 م في معركة تل الصافية ، خرج في شهر شوال 574 هـ / أواخر ربيع 1178 للثأر من هزيمته و تمكن بمساعدة ابـن أختـه تقـي الدين عمر من أسر عدد كبير من الصليبيين و حاميـة بيت الأخـران مـن الداويـة ، لكـن القلعـة استعصت عليه بفضل استبسال حماتها و وصول نجدات من إمـارة طرابلس ، و فرسـان الإسبتارية إلى جانب جيوش الملك حيث قاموا بمهاجمة السلطان صلاح الدين .
انظر : ابن الأثير : الكامل ، ج 11 ، ص 443 – 444 .

** - بيسـان مدينة بالأردن بالغور الشامي و هي بين حوران و فلسطين .
انظر : ياقوت معجم البلدان ، ج 2 ، ص 331 .

والتقى الجيشان الإسلامي و الصليبي في ثاني محرم سنة 575 هـ / 9 جوان 1179م في معركة أسفرت عن انهزام الصليبيين و أسر مقدم الإسبتارية و عدد معتبر من بارونات بيت المقدس و عكا . (1)

أما الملك بلدوين و أمير طرابلس ريموند فقد تمكنا و بعض رجالهما من الهروب (2) و لم يكن أمام الملك بلدوين بعد ذلك إلا القبول بالهدنة مع السلطان صلاح الدين في 576 هـ /1180 م و التي لم تدم طويلا ، حيث نقضت بسبب اعتداء صاحب الكرد و الشوبك على قوافل المسلمين المارة بجوار إقليمه بين مصر و بلاد الشام .

و قد ردّ صلاح الدين على ذلك بشن هجوم على حصن كوكب ، وانتصر عليهم في عام 578 هـ / 1182 م و ضم بعدها مدينة حلب و ملحقاتها في شمال بلاد الشام ، ثم بدأت هجمات صلاح الدين تشتد على مملكة بيت المقدس ، و في جمادى الأولى من سنة 578 هـ /1183 م وجد جيشا قويا في انتظاره و بالرغم من الاستعدادات لم تجر المعركة إذ سرعان ما عاد كل فريق من حيث أتى. إلا أن الاشتباكات القليلة التي كانت بينهما أوضحت أن الحرب كانت شديدة بين صلاح الدين و الصليبيين، مثلما حدث ما بين سنتي 573 – 576 هـ / 1177 – 1180 م . إلا أنها لم تتخذ صورة الحرب الشاملة ثم أن الصليبيين أنفسهم كانوا يعانون اضطرابا كبيرا في أحوالهم الداخلية .

---

(1) - أبو شامة : كتاب الروضتين ، ص 198 – 199 في Rec . Hist. Orient . t . IV)
ابن الأثير : الكامل ، ج 11 ، ص 455 – 456 ؛ قمعون (عاشوري) نشاط هيئة الداوية ، ص 53 .

(2) - رنسمان ستيفن : تاريخ الحروب الصليبية ، ج 2 ، ص 676

أما الملك بلدوين الرابع ، فقد كان مريضا و هو ما دفعه في عام 578 هـ / 1183 م إلى تتويج ابن أخته سيبيل * - و عمره سبعة سنوات – ملكا على مملكة بيت المقدس باسم بلدوين الخامس .

كما أقبل في بداية عام 579 هـ / 1185 م على عقد مؤتمر كبير بمدينة عكا ، حضره أفصال مملكته و السيد الكبير لهيئة الإسبتارية ، و ذلك من أجل مناقشة الأخطار التي تهدد المملكة نتيجة تمرد جاي لوزجنان و تحرشات صلاح الدين (1) .

و قد اختلفت الأفصال فيما بينهم حول الموقف الذي ينبغي اتّخاذه تجاه صلاح الدين فقد رأى فريق الأفصال المولودين بالشام و على رأسهم ريموند الثالث أمير طرابلس و طبرية ، ضرورة انتهاج سياسة المهادنة و التعايش السلمي ، بينما أصر الأفصال المولودون في أوربا بزعامة جاي لوزجنان أمير يافا و عسقلان و أرناط أمير الكرك و الشوبك على ضرورة الاستمرار في الحرب ضد المسلمين . (2)

و لقد سويت المسألة بتعيين ريموند الثالث 'Raimond III' أمير طرابلس و طبرية و مؤيد سياسة التعايش السلمي، وصيا على عرش مملكة بيت المقدس ، بشروطه الخاصة و التي من بينها أن يشغل هذه الوظيفة بدون شريك، حتى يصل بلدوين الخامس إلى سن الرشد ، فإذا توفى الملك قبل بلوغ هذا السن ، يظل ريموند الثالث محتفظا بوظيفته

---

* - سيبيل 'SibYlle' أخت الملك بلدوين الرابع و زوجة جان لوزجنان الذي تمرّد على الملك و اعتصم مع زوجته بمدينة عسقلان ، أما الإبن الذي قام بتتويجه ملكا على بيت المقدس فلم يكن من جاي لوزجنان بل من زوج آخر لأخته من قبل و اسمه وليم طويل النيف ، انظر سامي سلطان ، الإسبتارية في رودس ، ص 48 .

(1) - أبو شامة : كتاب الروضتين في (Rec . Hist. Orient . t . IV) ، ص 242 ؛ ابن الأثير : نفسه .

(2) - للمزيد من التفاصيل أنظر: Histoire de Eracles dans R.H.C, Hist.occ, t.II pp 3-4

إلى أن تسوى مسألة وراثة العرش على يد البابا والإمبراطور وملكي فرنسا و إنجلترا هذا بالإضافة إلى تسليم جميع الحصون و القلاع في المملكة لفرسان الإسبتارية و الداوية لحمايتها .

كما قرّر المؤتمر إرسال بعثة إلى أوربا بقصد طلب المساعدة العاجلة من ملوكها في عام 579 هـ/1184 م ، و لكن النداء لم يصل ، هذا ما أكده السيد الكبير للإسبتارية و البطريك هرقل اللذان عادا من الغرب عام 580 هـ/1185 م بخفي حنين مما أدى برئيس الإسبتارية روجي دي مولان 'Roger des moulins' و رئيس هيئة الداوية جيرارد دي ريدفورت 'Gerard de redfort' إلى تقديم النصح للوصي ريموند الثالث بأن يعقد الصلح مع السلطان صلاح الدين (1) مدتها أربعة سنوات من عام 580 هـ / 1185 م (2) .

و لكن أحوال مملكة بيت المقدس عرفت تطورا خطيرا بعد وفاة الملك بلدوين الخامس في عام 581 هـ / 1185 م ، فبالرغم من محاولات الأمير ريموند الثالث بالاحتفاظ بقرار مؤتمر عكا ، إلا أن جاي لوز جنان اغتصب عرش المملكة باعتباره الوريث لسيبيل أم بلدوين الخامس.

و قد سارع بطريك بيت المقدس هرقل إلى وضع التاج فوق رأس كل من سيبيل و جاي برغم المعارضة الشديدة التي أبداها لهم السيد الكبير الإسبتاري روجيه دي مولان بحجة

---

(1) - المقريزي : السلوك ، ج1 ، ص 92

(2) - Histoire de Eracles in R.H.C , Hist.occ, t.II , pp 12-14

أن هذا الإجراء يتعارض مع قرارات مؤتمر عكا و يهدد بالحرب الأهلية بين أفصال المملكة (1) ، واعترف بقية الأفصال * من أنصار ريموند الثالث بالأمر الواقع ، أما روجي دي مولان فقد عارض هذا الإجراء لأنه يتنافى مع قرارات مؤتمر عكا ، كما سبق أن ذكرت .

و الواقع أن هجمات صلاح الدين على مملكة بيت المقدس أخذت تشتد فعلا بعد استيلائه على حلب عام 579 هـ/1183 م ، و بعد أن ساءت أحوال مملكة بيت المقدس التي بلغت درجة كبيرة من الضعف (2) ، استولى صلاح الدين على بعض المعاقل الصليبية في تلك السنة ، ثم حاول أن يستدرج خصومه للدخول معهم في معركة فاصلة في فلسطين و لكن الصليبيين لم يخرجوا إليه خوفا من شدة بأسه على أن صلاح الدين لم يلبث أن فكر في اتخاذ خطوة حاسمة ضد الصليبيين نتيجة لاستفزازات الأمير أرناط الصليبي صاحب الكرك * الذي اشتهر بحبه للنهب (3) ، و لم يكتف بقطع طرق القوافل بين مصر و الشام و الحجاز و إنما لجأ إلى تهديد الحرمين ، هذا ما جعل العادل أخو صلاح الدين يسرع في إرسال أسطول قوي في البحر الأحمر نجح في تدمير السفن الصليبية و أسر كثيرا من رجالها، في حين صعب على أرناط نفسه بالفرار إلا بصعوبة .

---

(1) - Histoire de Eracles in R.H.C , Hist.op, Cit., t.II , pp 25 – 30 .

* - مفردها فصل أي تابع ، و يعد أحد أسس النظام الإقطاعي في أوربا

انظر : قمعون (عاشوري) الداوية ، ص 37 .

(2) - المقريزي : السلوك ، ج1 ، ص 92 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 11 ، ص 528

و ارجع أيضا إلى :

Guillaume de Tyr : Op. Cit . , t .II p 34 .

(3) - أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج 2 ، ص 56 ؛ ابن الأثير : الكامل، ج 11 ، ص 528 .

أما صلاح الدين فقد رد على عدوان أرناط بحصار الكرك في أواخر عام 579 - 580 هـ / 1183 - 1184 م ، و لم يتمكن من الاستيلاء عليه لقوة تحصينه (1) .

و قد ذكر القاضي ابن شداد مدى اهتمام صلاح الدين بقلعة الكرك ، لأنها كانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية ، " و كان لا يمكن أن تصل قافلة حتى يخرج هو بنفسه لترقبها" (2) ، و يبدو أن صلاح الدين كان مشغول حينئذ بتنظيم الأوضاع الداخلية في بلاطة و إحلال أبنائه محل إخوانه في حكم أجزاء دولته الكبيرة ، و بذلك أبرم هدنة مع الصليبيين - كما سبق أن ذكرنا- أتاحت لصلاح الدين فرصة لتنظيم دولته ، و في الوقت نفسه وفرت للصليبيين فرصة لتصفية الكثير من مشاكلها الداخلية التي نشبت في دولتهم بعد بلدوين الرابع في عام 1185 م (3). لكن أرناط لم يشأ بحماقته أن يترك الصليبيين ينعمون بتلك الفرصة .

و قد وصفه المؤرخ الأوربي كينج بأنه نموذج للفارس اللص ، في عصره اتصف بالجشع و عدم الوفاء و الغدر و الوحشية و التعصب الأعمى، و لم تفلح الخمس عشرة سنة التي قضاها أسيرا في حلب في تعديل سلوكه أو تهذيبه ، و لهذا كله أعلن الحرب على صلاح الدين ، و هي التي قضت على آمال الصليبيين جميعا (4) .

و قد وصف أبو شامة أرناط بأنه " أغدر الفرنجة و أخبثها و أفحصها عن الردة و الرداءة و أنقضها للمواثيق " (5) ، و ربما كانت حركة التنظيم الداخلي التي قام بها صلاح الدين من الترتيبات الواسعة التي شرع في إجرائها قبل أن يقوم بهجومه الكبير

Grousset : Op . Cit. , t II , p 732 ; The Knights Hospitallors , p.3 . - (1)

(2) - ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص 75 .

L' Histoire de Eracles , t .II , pp 12-14 - (3)

King : Op . Cit. , p 125 – 130 . - (4)

(5) - أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج 2 ، ص 75 .

على الصليبيين ، من ذلك أنه نقل أخاه العادل من حكم مصر إلى حلب و أحلّ محله في مصر المظفر تقي الدين عمر ابـن أخ صـلاح الديـن و الأفضـل علـي بـن صـلاح الديـن و لما دب النزاع بين هذين الاثنين ، تخوف صلاح الدين من أطماع ابن أخيه ، فأرسل إلى مصر ابنه الثاني العزيز عثمان، و استدعى تقي الدين إليه في سنة 1186 م.

و قد رفض تقي الدين عمر ذلك فاحتال عليه صلاح الدين حتى أحضره إلى الشام و عندئذ منعه من العودة إلى مصر .

أما العادل أخو صلاح الدين فقد حرمه من حلب نظرا لأهميتها ، وأعطاها لابنه الملك الظاهر غياث الدين غازي ، و أعطى العادل سنة 1190 م إقطاعا ثانويا في بلاد النهرين يشمل الرها و يافا و ذلك ليخرجه من الشام .(1).

و قد قام الأمير أرناط بإشعال الحرب في أوائل عام 583 هـ / 1187 م و الاستيلاء على قافلة مصرية متجهة من القاهرة نحو دمشق ، و قد صمم السلطان صلاح الدين على الانتقام من أرناط و الصليبيين، فأرسل إلى سائر الأطراف و طلب العساكر فجاءته من كل جهة و تمكن من القضاء على أمال الصليبيين في البقاء بالشام (2) .

و كان أن وصل السلطان صلاح الدين إلى رأس الماء الواقعة إلى الشمال الغربي من حوران و أمر ولده الأفضل نور الدين بالإقامة هناك في بعض العساكر حتى تجتمع لديه الإمدادات ، فسار هو إلى البصرى مرتقبا الحجاج خوفا عليهم من الأمير أرناط و لما وصلوا سار إلى الكرك و الشوبك ، فقام بإفساد زرعهما و كرومهما

(1) - المقريزي : السلوك ، ط1 ، ص 91 - 92 ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج 6 ، ص 31 .

(2) - الأصفهاني (العماد الكاتب) : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ط 1965 ، ص 58 – 59.
و ارجع إلى : Histoire de Eracles : Op. Cit. , t II , p 34 .

و لما وصلت العساكر المصرية أمرها بالبقاء في الكرك و الشوبك لمدة شهرين ، في حين كان الملك الأفضل مقيما برأس الماء (1) .

هيئة الإسبتارية و موقعة حطين عام 583 هـ / 1187 م :

انتهى الصراع الداخلي الذي نشب بين الصليبيين في عهد بلدوين الرابع باختيار جاي لوزجنان ملكا على بيت المقدس ، و قد جاء هذا الإختيار مخيبا لأمال ريموند أمير طرابلس و مطامعه، فلم يجد هذا الأخير مفرا إلا التقرب من صلاح الدين. (2) في تلك الظروف الصعبة التي كان يمر بها الصليبيون ، اختار أرناط أن يخرق الهدنة مع صلاح الدين ، دون أن يعتبر بما جرته عليه إغارته على جزيرة قبرص سنة 1156 م من مصائب ؛ و قد استغل في ذلك موقع حصنه الكرك بين مصر و الشام و الحجاز (3) و تجدر الإشارة إلى أن أرناط استعمل في أعماله العدوانية طائفة من البدو و كان هو نفسه قد طلب الأمان من صلاح الدين عقب إغارته الفاشلة في البحر الأحمر ، و استفاد من الهدنة المعقودة بينهما .

و لكن صلاح الدين كان كثير الحذر من أرناط الذي كان لا يستطيع أن يحيا هادئا دون أن ينهب و يسرق (4)

---

(1) - ابن الأثير : الكامل ، ج 11 ، ص 529 – 530 ؛ المقريزي : السلوك ، ج1 ، ص 93 .

(2) - المقريزي : السلوك ، ج1 ، ص 92 ؛ أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج 2 ، ص 74–75
ابن واصل : مفرج الكروب ، ج 2 ، ص 185 .

(3) - ابن الأثير : الكامل ، ج 11 ، ص 337 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج 2 ، ص 185 .

(4) - Grousset : Histoire des Croisades , t II , p 1116.

و لذلك لم يلبث أن انقض فجأة على قافلة كبيرة للمسلمين كانت متجهة من القاهرة إلى دمشق في أواخر عام 1186 و أوائل 1187 م ، و قد وصف ابن الأثير تلك القافلة بأنها عظيمة و غزيرة الأموال و كثيرة الرجال ، فقد نصب لها أرناط كمينا و استولى على ما تحمله من ثروة و بضائع .

و كل ما فعله صلاح الدين أنه أرسل إلى أرناط مهددا طالبا منه رد الأسرى و البضائع و الغنائم ، و لكن أرناط أبى ذلك ، و جاء جاي لوزجنان نفسه عندما أمره برد الأسرى و الغنائم إلى صلاح الدين .

و يبدو أن أرناط كان يشعر بأنه صاحب فضل على جاي لوزجنان لمساعدته في الوصول إلى العرش و مساندته ضد خصومه ، مما جعله يستخف بملك بيت المقدس و أوامره في الوقت الذي لم يستطع جاي لوزجنان أن يفرض رأيه عليه (1) .

و هكذا لم يبقى أمام صلاح الدين إلا القصاص و الحرب ، وهي الحرب التي جاءت قاضية على الصليبيين و آمالهم في البقاء في الشام ، بعد أن اختار أرناط أسوأ الأوقات والظروف بالنسبة للصليبيين لاستثارة صلاح الدين (2) .

و حدث أن أرسل صلاح الدين قوة استطلاعية من بضعة آلاف جندي لتقوم بالإغارة على إقليم عكا، على أنه لكي تصل تلك القوى من بانياس إلى عكا، كان لابد لها من اختراق إقليم الجليل ، فاستأذن صلاح الدين أمير الجليل ريموند الثالث الذي كان عندئذ عند طبرية ؛ و هنا وجد ريموند نفسه في موقف لا يحسد عليه ، لأنه بحكم تحالفه مع

---

(1) - رنسمان ستيفن : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 430 .

King : The Knights Hospitallers , pp. 118 – 119 - (2)

صلاح الدين ، كان مضطرا إلى خيانة الصليبيين و السماح لقوات المسلمين بالمرور لكنه أعطى تعليمات لكافة المدن الصليبية الواقعة في إقليم الجليل مثل مدينة طبرية و الناصرة بإغلاق أبوابها حتى لا تعطى للمسلمين فرصة الاستيلاء عليها . (1)

أما أفصال المملكة الصليبية فإنه بمجرد إحساسهم بخطورة الموقف ، تجمعوا بمدينة بيت المقدس في 15 محرم من عام 583 هـ / 27 مارس 1187 م، و اتفقوا على إرسال بعثة إلى الأمير ريموند الثالث صاحب طبرية، لإقناعه بالعدول عن موقفه و التصالح مع الملك جاي لوزجنان، و بالخروج مع بقية الأفصال لصد صلاح الدين (2).

و تشكلت البعثة من مقدم هيئة الإسبتارية روجير دي مولان ، مقدم هيئة الداوية جيرار دي ريدفورت ، رئيس أساقفة صور جوسياس 'Jossias' ، أمير الرملة باليان الثاني 'Ballian II' ، و أمير صيدا رينو 'Renaud' ، و غادر السيدان الكبيران لكل من هيئتي الإسبتارية و الداوية مدينة بيت المقدس في 18 صفر 583 هـ / 29 أفريل 1187 م، على رأس قوة تتألف من عشرة فرسان إسبتاريين و تسعين من فرسان الداوية و هذا للشروع في تنفيذ المهمة الموكلة إليهما ريثما يلتحق بهما بقية الأعضاء (3) و قد وصل السيدان الكبيران في مساء اليوم الثاني إلى حصن الفولة التابع للداوية

---

(1) - ابن الأثير : الكامل ، ج 11 ، ص 239 ؛ عاشور (عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ص 802 – 803 .

(2) - انظر : Histoire de Eracles , t.II , pp 36-37 .

(3) - انظر : Histoire de Eracles , t.II , pp 39 .

و ارجع أيضا إلى : قمعون (عاشوري) نشاط هيئة الداوية ، ص 63 .

و القريب من طبرية ، و قبل مواصلة سيرهما في صباح 20 صفر / أول ماي من نفس السنة (1) ، انتشر بين الناس خبر مفاده أن المنطقة امتلأت بجيش الملك الأفضل (2) .

و لهذا خرج مقدما هيئتي الإسبتارية و الداوية للمواجهة و هما يقودان فرسانهما المائة زيادة عن أربعين فارسا ، أمدتهما بهم حامية مدينة الناصرة ، و عدد يتراوح بين ثلاثمائة و أربعمائة من المشاة استعانا بهم من حامية مدينة الناصرة عند قدومهما إلى هذه المدينة، و بينما كانت هذه القوة الصليبية تشق التل الواقع خلف الناصرة (3) ، في صبيحة يوم 29 صفر من عام 583 هـ/ العاشر من ماي سنة 1187 م، شاهد أفرادها المسلمين يسقون خيولهم من عيون كريسون القريبة من هذا التل(4) ، و قد أفزعهم كثرة أعداد هؤلاء المسلمين، مما جعل كل من روجير دي مولان مقدم الإسبتارية و يعقوب ميلي 'Jacques Mailly' مارشال هيئة الداوية يترددان في الإقدام على الهجوم ، غير أنّ مقدم الداوية جيرار دي ريدفورت قرر الإقتحام و طلب من فرسانه التسعين الوثب على المسلمين، مما أجبر زملائه الآخرين إلى الدخول في المعركة التي أسفرت على مصرع جميع فرسان الداوية باستثناء ثلاثة، من بينهم مقدم الداوية جيرار دي ريدفورت

---

(1) - انظر : Chronique de terre sainte ; dans les gestes des chiprois , p . 12.

(2) - ابن واصل : مفرج الكروب ، ج 2 ، ص 187 .

(3)- سامي سلطان ، الإسبتارية في رودس ، ص 52

و ارجع أيضا إلى :

Delaville(le roulx) : op.cit ., pp.95-96.

(4)- Grousset (R) : Hist des Croisades , t II , p 783 .

أما فرسان مدينة النـاصرة الأربعون فقد أسـروا(1)، شـأنهم شـأن النجدة الصليبيـة التـي جاءت لمساعدة إخوانهم عقب انتهاء المعركة، كما قتل مقدم الإسبتارية نفسه (2) .

لقد تمكنـت هيئـة الإسبتارية بعد وفاة مقدمـها – برئاسـة نائبـه و اسـمه وليـم بوريـل 'William Bourel' في شهر ربيع الثاني من عـام 583 هـ / جويليـة 1187 م ، مـن جمع شمل الصليبيين و على رأسهم الملك جـاي لوزجنـان و كـل أتباعـه ، بالإضافة إلـى ريموند الثالث أمير طرابلس، وهذا للثأر من هزيمتهم الشنعاء التـي تلقوهـا عنـد عيـون كريسون ، وخيموا في صفورية ترقبا لقـدوم صـلاح الديـن ، ولمـا علمـوا بـأن السلطان هاجم طبرية ، زحفوا إليه من صفورية و اشتبكوا معه فـي معركـة دامـت رحاهـا فـي يوم السبت 25 ربيع الثاني / 04 جويلية بجوار جبل حطين * (3) ، اسفرت عن هزيمـة

---

(1) - رنسيمان ستيفن : تـاريخ الحـروب الصليبيـة ، ج 2 ، ص 731 – 732 ؛ و قـد أوضـح أبـو شامة هذه الحادثة بقوله : "و قتلوا و أسروا و هلك مقدم الإسبتارية و حصـل جماعـة مـن فرسانهم في قبضة الأسارى ، و أفلت مقدم الداوية و له خصـاص و وقـع البـاقون و لـم يكـن لـهم مـن الـهلاك خـلاص " ، أبـو شـامة : كتـاب الروضتيـن، ج 2، ص 85 – 86

(2) - ابن واصل : مفرج الكروب ، ج 2 ، ص 785

و ارجع إلى : Grousset : (R) Op . Cit. , t II , p 782

* - قرية كثيرة المراعي تتوفر على ماء غزير ، تقع بين طبرية و عكـا بفلسطين، و إلى جوارها توجد قرية تدعى جبارة قيـل أن النبـي شـعيب عليـه السـلام مدفـون فيـها ، يـاقوت الحمـوي : معجم البلدان ، ج 8 ، ص 264 – 273 ؛ عاشور (عبد الفتاح) : نفسه ، ص 806 .

(3) - أبو شامة : كتـاب الروضتيـن، ج 2، ص 26 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 11 ، ص 535 – 537 أبـو الفـداء : المختصـر ، ج 3 ، ص 271 ؛ ابـن شـداد : النـوادر السـلطانية ، ص 663 رنسمان ستيفن : تاريخ الحروب الصليبية ، ج 2 ، ص 734 .

الصليبيين هزيمة نكراء ، و وقع الملك جاي و معظم أفصاله في الأسر ، كما أسرت جماعة من الإسبتارية (1) بيد أن صلاح الدين عامل أسراه معاملة حسنة ماعدا الأمير أرناط الذي قتله بيده ، كما ضرب أعناق مائتين من هيئتي الإسبتارية و الداوية (2) . أما نائب مقدم الإسبتارية وليم بوريل فقد نجا من الوقوع في الأسر و التحق بمدينة صور (3) .

و بذلك يتضح لنا أن السلطان صلاح الدين لم يعامل الأسرى الصليبيين معاملة سيئة باستثناء بعض العناصر التي اشتهرت بعِدائِها الشديد للمسلمين، كما تعد معركة حطين من المعارك الفاصلة في الصراع بين المسلمين و الصليبيين، خاصة و أنّ من أهم نتائجها استرجاع بيت المقدس (4).

انعكاسات معركة حطين على هيئة الإسبتارية :

تعتبر موقعة حطين نقطة تحول في تاريخ الحروب الصليبية ، لأن الصليبيين لم يستفيقوا مطلقا من تلك الضربة التي أدّت إلى فناء جيشهم و أسر ملكهم، الأمر الذي مكّن صلاح الدين من تحقيق مكاسب ضخمة عاجلة على حسابهم .

---

(1) - ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص 63 ؛ العماد الأصفهاني : الفتح القسي ص 80 .
(2)- العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 88 .
(3)- أبو شامة : نفسه ، ص 77 ، و ارجع أيضا إلى :
Guillaume (de Tyr) : Op . Cit ; t1, pp 64 – 65 .
(4) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 810 .

و لعلّ أهم ما يستدعى الانتباه في ذلك الدور من أدوار الحروب التي قام بها صلاح الدين ، أنه كان بعيدا عن التطرف، متمسكا بالأخلاق السامية و التسامح، الأمر الذي شهد له به كافة المؤرخين الغربيين و الشرقيين على حد سواء (1) .

لقد استولى صلاح الدين خلال الشهور الثلاثة التي أعقبت معركة حطين، على معظم مدن و حصون مملكة بيت المقدس، و منها حصن جبرين التابع للإسبتارية (2)، كما استلم مدينة بيت المقدس في 27 رجب عام 583 هـ / 12 أكتوبر 1187 م ، و ساق سكانها إلى حدود إمارة طرابلس .

أما الإسبتارية فقد حملوا معهم كل وثائقهم وكنوزهم، واستقرت رئاسة هيئتهم و مجلس إدارتها بعد انتقالها إلى إمارة طرابلس في حصن المرقب ، ولم يبق للصليبيين سوى مدينة صور وستة حصون، هي شقيف أرنون ، حصن صفد ،الكراء ، الشوبك(3)، هونين و كوكب(4) .

وكان أن قام صلاح الدين بنفسه بحصار مدينة صور من ناحية البر بعد أن إستتب له الوضع في بيت المقدس، على حين قام أسطول مصري استدعاء صلاح الدين من ميناء عكا بحصارها من ناحية البحر وبعد ذلك دارت معركة في مساء 28 رمضان / 29 و30 ديسمبر ، شاركت فيها الإسبتارية بنحو مائتي فارس جاء بعضهم من مدينة عسقلان وحصن جبرين، على حين جاء البعض الآخر من حصون الهيئة في إمارتي طرابلس

Grousset : Op . Cit. , t II , p 800 ; Ernoul : Op . Cit. , p 171 . - (1)

(2) - أبو شامة : كتاب الروضتين ، ص 313 .

(3) - العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص 116.

King : Op. Cit. , pp 131 – 132 . : انظر - (4)

و أنطاكية أو من بيوتها في أوربا و بالخصوص من فرنسا و إسبانيا(1)، وقد فقدت بلاد مصر في هذه المعركة الكثير من البحرية (2) .

مما د فع بصلاح الدين إلى توجيه بقية سفنه إلى ميناء بيروت ورفع الحصار البري عن المدينة في أواخر شوال 583هـ/ فاتح ديسمبر 1187م.

لقد فقدت هيئة الإسبتارية حصنيها هونين و كوكب رغم محاولتها فك الحصار عنهما و ذلك في شهر شوال 583 هـ / ديسمبر 1187م، كما فقدت مدينة بانياس(3) ، وهكذا تكون الهيئة قد خسرت جميع ممتلكاتها الموجودة داخل حدود مملكة بيت المقدس، كما فقدت معظم ما تملك من الممتلكات التابعة للمملكة، ماعدا الشوبك الذي لم يتمكن صلاح الدين من الاستيلاء عليه إلا في عام 585هـ / 1189 م ، و حصن شقيف أرنون الذي استولى عليه في عام 586هـ / 1190م .

هيئة الإسبتارية و الحملة الصليبية الثالثة عام 586هـ /1190م

استطاع صلاح الدين أن يحقق انتصارات عظيمة خلال الأعوام الواقعة بين سنتي 583-586هـ / 1187م - 1190م، ففي مستهل سنة 1190م لم يبق للصليبيين من مملكة بيت المقدس إلا مدينة صور، ومن إمارة طرابلس سوى عاصمتها طرابلس و قلعة أنطرطوس و حصن الأكراد و بعض المراكز الثانوية الأخرى، ومن إمارة أنطاكية سوى عاصمتها و ميناء السويدية وحصن المرقب، إلى جانب بعض المواقع غير الهامة(4).

(1) - انظر : King : Op. Cit. , pp 132 – 133 .

(2) - انظر : Delaville le roulx : op. cit ., p.99

(3) - أبو شامة : كتاب الروضتين ، ص 381 – 382 .

(4) - عاشور(سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية، ج 2 ، ص 837 ؛ قمعون (عاشوري) نشاط هيئة الداوية ، ص 79 ، و ارجع إلى :
Grousset : Op . Cit. , pp 206-207 .

ولا شك أنّ المصائب التي حلت بالصليبيين في المشرق على يد صلاح الدين كان لها صداها ورد فعل عنيف في الغرب الأوربي، و الواقع أن استرجاع بيت المقدس من طرف المسلمين(1) قد بعث من جديد فكرة الحروب الصليبية في أوروبا على أن صيحات الصليبيين لم تلبث أن أثمرت، حيث قرر كل من فيليب الأول المعروف بأغسطس ملك فرنسا 'P.H.I August' (1188-1223م) ، وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا 'Richard coeur de lion' (1189-1199م) ، بالمشاركة في حملة صليبية ضد مسلمي الشرق(2) .

و قد وصل فيليب أوغسطس على رأس الحملة الفرنسية إلى الشام في أفريل 1191 م ليشجع الصليبيين و يبث فيهم روحا جديدة و يحي فيهم الأمل، و لكي يكسب فيليب أوغسطس الوقت تزعم على الفور معركة عكا ، ووصل ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا إلى الشام ، فازداد الصليبيون قوة ، في حين ساء موقف الحامية الإسلامية المحصورة داخل عكا .

و لم تفلح الهجمات القوية التي شنّها صلاح الدين على جيوش الصليبيين لإنقاذ عكا فاضطرت حاميتها إلى التسليم في سنة 587هـ / 1191م(3) ، وأصبحت منذ ذلك الحين عاصمة المملكة الصليبية(4).

---

(2)- أبو الفداء : المختصر، ج 3 ، ص 79 ؛ الباز العريني : الأيوبيون، ص99 – 101

(2) - أبو الفداء : نفسه ، ج 3 ، ص 79 .

و ارجع أيضا إلى : Grousset (R) : Histoire des Croisades , t II , pp 834-835

(3) - ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة المسماة كفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه صلاح حرب، بيروت– لبنان، ص 40 ؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص161 الأصفهاني: الفتح القسي ، ص 513 ؛ المقريزي : السلوك ، ج1 ، ص 105 .

(4) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 871 .

فكان أن قرر فيليب أوغسطس العودة إلى الغرب في أوائل سنة 1191م ، أما ريتشارد قلب الأسد ، فقد اختار البقاء بالشام محاولا ترجيح كفة الصليبيين في مواجهة صلاح الدين، وتزعم القوى الصليبية بالشام للقيام بمعركة كبرى يسترد بها بيت المقدس و يعيدها إلى سابق عهدها، وكان أن بدأ ريتشارد بمحاولة لاسترداد شاطئ فلسطين من عكا إلى عسقلان، فاستولى الصليبيون على حيفا ثم قيسارية في نهاية سنة 587هـ/1191م، ومنها اتجهوا صوب أرسوف و تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالسلطان صلاح الدين(1) في شمال أرسوف* و ذلك في 14 شعبان 587هـ / سبتمبر 1191م ؛ و قد عانى فرسان الإسبتارية في هذه المعركة معاناة كبيرة لأنهم كانوا يشكلون مؤخرة الجيش الصليبي، حيث ركز صلاح الدين ضغطه عليهم قصد عزلهم و إبادتهم.

و قد تمكن كل من رئيس الإسبتارية الجديد و هو جارنييه النابلسي'Garnier de Naplous' الذي عين خلفا للسيد أرمنجو داسب في 1189م، وكان جارنييه يشغل منصب مقدم شعبة الإسبتارية في إنجلترا، و اختاره الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد رئيسا للجماعة التي أعدها لاصطحابه إلى فلسطين في الحملة الصليبية المعروفة بالثالثة(2) ، و استطاع أمراء بيت المقدس أن يقنعوا ريتشارد بأن الجيش ينقصه التجهيز الكافي لفرض حصار ناجح على بيت المقدس، كما أبدوا له تخوفهم في حالة عودة رجال جيشه بعد السيطرة على المدينة المقدسة إلى أوطانهم (3).

---

(1) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 871 .

* - أرسوف : مدينة على ساحل الشام بين قيسارية و يافا ، انظر :
ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ، ص 152 .

(2) - King : Op. Cit. , p. , pp 139 – 140 .

(3) - سامي سلطان : الإسبتارية في رودس ، ص 66 .

وتمكن فرسان الإسبتارية بالتحالف مع ريتشارد من استرجاع حصن الداروم القريب من مدينة عسقلان، في 08 جمادى الأول عام 588هـ / 22 ماي 1192م (1).

وعاد ريتشارد ليتحرك من يافا قاصدا بيت المقدس، والتقى بمقدمة الجيش الأيوبي وتمكن من قتل بعض رجالهم .

وقد قضى في تلك المنطقة نحوا من أسبوعين قام خلالها بإصلاح بعض القلاع و الحصون و صد إغارات البدو المسلمين الذين تجمعوا للهجوم على الداوية، وهم الذين عهد إليهم ريتشارد بحماية تلك الحصون، و بعد ذلك اتجه ريتشارد على رأس الجيش الصليبي إلى اللد و الرملة، وهما أولى مدينتين هامتين على الطريق بين يافا وبيت المقدس، وهو الطريق الذي أصبح مفتوحا أمام الصليبيين عقب انتصارهم في أرسوف(2) وقد أصيب هؤلاء بخيبة أمل عندما وجدوا أنّ صلاح الدين قد حرب الرملة، ثم اتّجه نحو النطروف الأخير ليقطع الطريق أمام ريتشارد، ثم أسرع إلى هدمها و توجّه في سرعة نحو بيت المقدس لتقوية استحكاماتها و إعدادها للدفاع(3) .

وقد أيقن الصليبيون أن نجاح مثل هذا المشروع أي استرجاع بيت المقدس مرهون بالسيطرة على مصر، وهي النافذة التي يمكن لهم أن ينفذوا منها بنجاح إلى هدفهم (4) .

و الواقع أن الصراع بين ريتشارد و المسلمين لم يدم طويلا، حيث توصل الطرفان

---

(1) - المقريزي : السلوك ، ج1 ، ص 101 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ص 60 .

(2) - Grousset (R) : Op . Cit. , t II , p 76 .

(3) - ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص 310 .

(4) - عاشور(سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ،ص 917 .

إلى إبرام معاهدة* في 20 شعبان 588هـ / 1 سبتمبر 1192 م مدتها ثلاث سنوات و ثلاثة أشهر و ثلاثة أسابيع، غير أنّ صلاح الدين أدركته المنية بعد عقد المعاهدة ببضعة أشهر وكان ذلك في يوم الأربعاء 27 صفر 589 هـ / 03 مارس 1193 م .

وقد بقي أولاده وأخوه العادل يتنازعون الحكم من بعده، حتى آل الأمر في الدولة الأيوبية للسلطان العادل 591 - 613 هـ / 1196 - 1216 م(1)، ولما توالت أخبار وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي وانقسام بيته في الغرب الأوربي، أخذ الصليبيون ينادون بوجوب القيام بحملة صليبية أخرى لاسترجاع بيت المقدس، وقد استجاب لهذا النداء الإمبراطور الألماني هنري السادس** 'Henri VI' 1190-1197م (2).

---

*- أدرك ريتشارد أن مشاكل الصليبيين الداخلية كثيرة ومعقدة وأنّ الأحوال في غرب أوربا تستدعي الإسراع بعودته إلى بلاده ، كما خاف ريتشارد أن يموت في بلاد الشام، فأراد الرحيل خاصة بعد وصول أخبار سيئة عن الغرب تؤكد ثورة أخيه يوحنا الأول ضده، والذي أراد أن ينتزع عرش إنجلترا منه، وللمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى: Grande Encyclopedie T.16, p 633
ومن نتائج المعاهدة أن يحتفظ الصليبيون بساحل الشام من مدينة عكا إلى مدينة يافا وتبقى مدينة بيت المقدس تحت حكم صلاح الدين، على أن يسمح للمسيحيين بالزيارة و الحج، و قد اشترط السلطان صلاح الدين دخول بلاد الإسماعيلية في عقد هذه المعاهدة، انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج2 ص 403 ؛ أبا الفداء : المختصر ، ج3 ، ص 82 ، و عن التقييم يمكن العودة إلى ولديورانت : قصة الحضارة ، ج 4 ، المجلد 4 ، ص 44 ؛ بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 358.

(1) - ابن واصل : مفرج الكروب ، ج 3 ، ص 66 ؛ تاج الدين شاهشاه : منتخبات من كتاب التاريخ ، ط مصر 1317 هـ ، ص 308 .

** - وُلد هنري السادس عام 1165 م بمدينة نيماج 'Nimegue' بالأراضي المنخفضة قريبا من حدود ألمانيا ، و هو ابن فردريك بربروسيا، توج في ايكس لاشابيل و عمره لا يتجاوز الخامسة و العشرين ؛ كان من المتحمسين لقتال المسلمين ، توفيَ في سبتمبر 1197 م بصقلية .
ارجع إلى : Michaud : Biographie Universelle , Txtx, p 138 ; Grande encyclopidie , t 19 , p 1084

(2) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 917
ارجع أيضا إلى : Michaud : Op. Cit. , t. VII , pp 307-310

وعند وصول الحملة إلى مدينة عكا، قام رئيس هيئة الإسبتارية جودفري دون نجون باستغلال الفرصة، فراح ينقل مركز هيئته من حصن المرقب إلى ممتلكات الهيئة في الركن الشمالي الغربي من مدينة عكا(1) .

و شهد قائد الحملة النائب الإمبراطوري الأسقف كونراد فون فور تسبورج C. Van Wurzburg' ورجاله قبل عودتهم إلى ألمانيا في عام 594هـ/1198م الإحتفال الذي أقيم بمدينة صور في ربيع الثاني عام 594هـ/1198م بمناسبة إعلان تأسيس هيئة التيوتون وهي هيئة جديدة أقامها بتشجيع من الإسبتارية الألمان لخدمة المصالح الألمانية في الأراضي المقدسة بالشرق، وحضر الإحتفال كل من مقدمي الإسبتارية جوفري دونجون'Geoffrey de Donjon' والداوية جيبرت هورال'G.Hotal'(2).

ونلمس بجلاء الدور العسكري الذي لعبه فرسان الإسبتارية في سياسة المواجهة بين المسلمين والصليبيين في الشرق، و قد شكل هؤلاء الفرسان السند الأقوى لكل أمير و ملك صليبي يواجه المسلمين في هذا المضمار، إذ سجلت مشاركتهم في الإغارة على إقليم الجليل، كما زحفوا على كفركنا على الطريق بين طبرية وعكا عام 600هـ/1204م وحدث أن عرض الملك العادل تجديد الصلح الذي انتهى في صفر عام 607هـ/1210م والذي كان معقودا بينه وبين صليبيي عكا، وعبّر عن رغبته في التنازل لهم عن عسقلان

وقد طلب السيد الكبير للإسبتارية جارين دي مونتين 'Garin de Montaigne' - الذي انتُخب(3) في صيف 1207 م خلفا للسيد الكبير جوفري ليرات 'Geoffroy lerot'

---

(1) - ابن الأثير : كامل التواريخ ، ص 85 – 86 ؛ عاشور (سعيد عبد الفتاح) : نفسه، ص 918

(2) - ابن الأثير : الكامل ، ج 12 ، ص 194 –195 ؛ قمعون: نشاط هيئة الداوية ، ص 90

(3) - انظر : . Delaville le roulx : op. cit ., p.130 – 131

والسيد الكبير لهيئة التيوتون هرمان فون زالسا 'Herman Von Salze' - بضرورة قبول عرض العادل، إلا أن السيد الكبير لهيئة الداوية فيليب دي بليسي 'Philipe de plessis' نادى بضرورة استئناف الحرب أو على الأقل عدم تجديد الهدنة، وهو ما أدى بالملك الجديد لبيت المقدس حنا برين* إلى شن عدة غارات خارج عكا و لكن فشل فقام بإبرام الصلح مع الملك العادل و وقعت معاهدة لستة سنوات 608-614هـ/ 1211-1217 م. أما هيئة الإسبتارية فقد استغلت تلك الهدنة لتقدم مساعدتها للأرمن الذين كانوا يحاربون سلاجقة الروم، و تمكن ليو الثاني ملك أرمينيا الصغرى من إلحاق الهزيمة بالسلطان عزالدين كيكاوس السلجوقي عام1211، وبذلك أضفى على الإسبتارية كثيرا من المنح و الامتيازات(1) .

مساهمة هيئة الإسبتارية في الحملة على دمياط عام 615-618هـ / 1218-1221م :

لقد استفاق الغرب الأوربي في أوائل القرن الثالث عشر أمام حقيقة كبرى، وهي أن مفتاح بيت المقدس موجود في مصر ، و أنه إذا رغب الصليبيون في أن ينعموا بحياة آمنة في بلاد الشام فعليهم أن يسيطروا على مصر أولا ، كما أيقنت هيئة الإسبتارية أن احتلالها لمصر حتمية استراتيجية في سياستها التوسعية، فبدون مصر لن يستقر لها و للصليبيين قرار في بلاد الشام، وكان أن نادى في هذه الأثناء حنا دي برين ملك بيت المقدس دون تردد لهذا النداء، و قد خرجت في ربيع الأول من عام 615 هـ/ 1218 م جموع من الصليبيين من بلاد الشام قاصدة مدينة دمياط بمصر(2) .

* - حنا برين : حكم من 607 إلى 622 هـ / 1210 – 1225 م .

(1) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 953.

(2) - انظر : Delaville le roulx : op. cit ., pp.144-145 ; Brehier : l'église et l'orient : pp: 191-192:

ولم يتأخر الصليبيون عندئذ من أن يتصلوا بنجاشي الحبشة المسيحي ليتعاون معهم على حرب الإسلام و المسلمين.

على أنه يلاحظ أن الصليبيين ارتكبوا خطأ كبيرا سنة 1218 م بغزوهم مصر عن طريق دمياط و النيل، وكان من المفروض أن يستفيد الصليبيون عندئذ من تجارب عموري الأول التي أثبتت أنّ الوصول إلى القاهرة أمر سهل عن طريق الصحراء الشرقية، ولكن ربما كان عذر حنا برين هو أن عموري كانت له قاعدة حربية كبرى في جنوب فلسطين هي مدينة عسقلان، استطاع أن يعتمد عليها في غزو مصر عن طريق الشرق . أما حنا برين فلم يجد للصليبيين أية قاعدة على الحدود يمكنهم الارتكاز عليها في محاولتهم وهكذا اختار الصليبيون النزول بدمياط(1(، ليس لأنها أقرب الموانئ المصرية للصليبيين بالشام فحسب، بل لأن فرعها يمثل أيضا طريقا مناسبا ووسيلة سهلة للمواصلات، تربط الصليبيين بقواعدهم في الشام(2(، وقد أبدى مارشال الهيئة إيمار دي ليرون الإسبتاري بسالة فائقة في الهجوم الكبير الذي شنّه الصليبيون على المدينة(3) ولما علم الملك الكامل – الذي كان ينوب عن أبيه السلطان العادل في حكم مصر- بنزول الصليبيين في مواجهة دمياط، أسرع على رأس جنده ونصب معسكره جنوبي دمياط ليكون على اتصال بالمدينة من ناحية ويمنع الصليبيين من العبور إليها من ناحية أخرى هذا في الوقت الذي استدعى السلطان العادل ابنه الملك الأشرف، فسار في عسكره إلى حمص ليشغلهم عن محاصرة دمياط .

---

(1) - انظر : King : Op. Cit. , p. , 190 .

(2) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 964 – 965 .

(3) - أبو الفداء : المختصر ، ج 3 ، ص 117 – 118 ؛ عاشور (سعيد عبد الفتاح) : نفسه ج 2 ، ص 956 .

وكان أن عرض السلطان الكامل* على الصليبيين مشروع إحياء مملكة بيت المقدس الصليبية القديمة بإنشاء حصن الكرك بالأردن ووادي العربة وذلك مقابل جلاء الصليبيين من مصر(1) وكانت هذه المبادرة مغرية جدا لأن الصليبيين لم يكونوا في وضع يسمح لهم بالمقاومة بسبب تفشي مرض الطاعون من جراء الحصار وفي الأخير تم ترجيح فكرة العدوان وشرع عندئذ في شهر جمادي الثانية من عام 616هـ/أوت 1219م في مهاجمة جيوش الكامل، لكنهم سرعان ما ارتدوا على أدبارهم.

و بالرغم من هذا كله فقد عرض الكامل من جديد الصلح عليهم ، ويمكن تفسير هذا اللين والاعتدال من قبل الكامل بما كانت تعيشه مصر من سوء الأحوال الداخلية(2)**

وكان هذا العرض يتضمن تنازل الكامل للصليبيين عن القدس وعسقلان و الطبرية و اللاذيقيةو سائر ما فتحه السلطان صلاح الدين من المناطق الساحلية ما عدا الكرك والشوبك ويقابله انسحاب الصليبيين عن الشواطئ المصرية، ويبدو أن الكامل قد توسع كثيرا في تنازلاته ومع ذلك فقد رفضت هيئة الاسبتارية وهيئة الداوية ومندوب البابا في حملة المصالحة ، كما اتهم الملك حنادي بريان وأمراؤه بالتساهل واللين مع الكامل(3) ولعل هذا الشقاق بين الأطراف الصليبية المذكورة والذي تمادى كثيرا هو السبب الذي أدى إلى فشل الحملة.

---

(1) عاشور: نفسه، ج2 ، ص914 وأنظر: DELAVILLE (LEROULX) OP .CIT, P 145

(2) المقريزي: السلوك، ج 2 ، ص 221

(3) L'ESTOIRE DE ERACLES: OP:CIT P342

- *وهو أبن السلطان العادل خلف أباه عام 615هـ/1218م وقد أوكلت أليه مهمة الدفاع عن مصر وطرد الصليبيين منها.
- ** لأن النيل جاء فيضانه منخفضا في تلك السنة فكانت سنة قاسية على البلد خاصة بارتفاع الأسعار فيها
- ارجع إلى : المقريزي: السلوك، ج 2، ص 221

وقد استمر هذا الخلاف الذي كانت تشكل فيه هيئة الاسبتارية طرفا هاما بعد سقوط دمياط مما أدى إلى تدهور أحوال الصليبيين في دلتا النيل ، وحينئذ اضطر الصليبيون إلى طلب الصلح من السلطان الكامل في عام 618هـ/1221م(1) وبموجبه عقدت الهدنة بين الطرفين مدتها ثماني سنوات كما انسحب الصليبيون من مدينة دمياط في نفس العام ثم دخلها الكامل ظافرا.

وهكذا خابت جهود الصليبيين في تأكيد ذاتهم من خلال إحياء مملكة بيت المقدس ويبدو أن لفرسان الاسبتارية مسؤولية واضحة في هذا المضمار، لأنهم كانوا من أشد المعارضين لأية مصالحة مع المسلمين و التي كانت ربما قد تكسبهم أشياء عجزوا عن نيلها بالقوة والعدوان.

مساهمة هيئة الاسبتارية منذ الحملة الصليبية السادسة 625هـ/1228م حتى معركة غزة الثانية 642هـ/1244م.

لقد انطلقت الحملة الصليبية السادسة عام 625هـ/1228م وكان من زعمائها الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني FREDERICII 622هـ-648هـ/1225م-1250م.

حل الإمبراطور بمدينة عكا في شهر ذي القعدة من عام 625هـ/1228م على رأس حملة صليبية قوامها خمسمائة فارس من الألمان ويبدو أن هذه الحملة تختلف كثيرا عن سابقاتها، ونلمس ذلك من خلال استعدادات فريدريك الثاني غير الجدية والعدد الضئيل لمرافقيه وكذا طبيعة العلاقة التي تربطه بالبابوية والحملة العدائية التي تشنها هذه الأخيرة ضده وهذا كله يجعلنا نشك في الطابع العدواني لهذه الحملة على الشرق وربما كانت نية المصالحة مع الكامل واردة في ذهنه قبل انطلاقه من أوربا.

---

(1) MICHAUD: HISTOIRE DES CROISADES:TIII : p 172-177

وفي هذه الأثناء كان الصراع بينه وبين البابوية* على أشده مما جعل هذا الأخير يصدر في حقه قرار الحرمان في شهر شوال 625هـ/سبتمبر 1228م (1).

ولم يجد فريدريك الثاني عند وصوله إلى عكا صعوبة في إقناع السلطان الكامل على إبرام معاهدة صلح ** وقد نال فريدريك الثاني بموجبها من المكاسب الإقليمية ما عجز عنه الصليبيون .

وقد استقبل بعدها الصليبيون نبأ هذا الصلح بمرارة شديدة بالرغم من المكاسب التي احتوتها لصالحهم، وكان فرسان الاسبتارية من أشد المعارضين له ومن ذلك لم تكد هذه المعاهدة تبرم حتى هاجمت عساكر الاسبتارية و الداوية في خريف عام 627 هـ/1229م مدينة بعرين ونهبتها,

---

(1) DELAVILLE (LE ROUX) :OP.CIT ;p 158-161

- *بدأت بوادر التوتر بين الإمبراطور فريدريك الثاني و البابوية تتبلور لما أخذ الإمبراطور يماطل في الرحيل إلى الشرق لاسيما في عهد البابا هونوريوس HONORIUS انظر: HOMO(leon):ROME MEDIEVAL.PARIS 1934 .P116
- HALPHEN(louis) : PEUPLES ET CIVILISATIONS L'ESSOR DE L'EUROPE
- ** وقد تم الصلح في شهر شوال عام 626هـ/فيفري 1229م على أساس أن يتسلم فريدريك الثاني مدينة القدس الإسلامية مثل قبة الصخرة و المسجد الأقصى وأن يكون للصليبيين ممر يصل بين عكا و القدس، وقد عارض رئيس الاسبتارية و الداوية و بطريق بيت المقدس هذه الاتفاقية لأن فريدريك كان محروما من الكنيسة، أنظر: العيني: عقد الجمان، ص 188،
- أبو الفدا: المختصر، ج 3، ص 141
- و ارجع إلى: DE LAVILLE LE ROULX . OP , CIT , P 164

وفي العام التالي أي في شهر رمضان عام 627هـ/أوت 1230م خرجت حامية الاسبتارية المرابطة في حصن الأكراد للإغارة على مدينة حماة إلا أن أمير حماة المظفر تقي الدين محمود الثاني 627هـ-642هـ/1229م-1244م تصدى لها وانتصر عليهم في منطقة أفيون الواقعة بين حماة و بعرين.

وكانت نتيجة هذا الصراع أن عقدت بين الطرفين أي الصليبي و الإسلامي هدنة في ربيع 629هـ/1231م مدتها سنتان(1) على أن هذه الهدنة لم تلبث أن انفرط عقدها بسبب الهجوم الذي دبره فرسان الاسبتارية ضد إمارة حلب بحجة امتناع الملك المظفر عن دفع الجزية لهم ، وهي جزية سنوية كان قد تعهد أخوه وسلفه الناصر قلج بدفعها لهم مقابل تقديم مساعدات حربية (2).

ولم يتوقف فرسان الاسبتارية عند هذا الحد بل واصلت هجومها فأغارت في عام 631 هـ/1233م على بعرين فاستولوا عليها عدا قلعتها التي استعصت عليهم كما قاموا بأعمال تخريبية ثم رجعوا إلى حصن الأكراد(3)ولم يلبث أن تدخل كل من الملك الكامل سلطان مصر وأخوه الملك الأشرف سلطان دمشق لدى قريبهما أمير حماة فنصحاه بدفع الجزية المقررة للاسبتارية ، و وافق أمير حماة على ذلك وقد يعود السبب في هذا التحرك الديبلوماسي إلى خوف الأخوين من تحالف الصليبيين مع السلطان قونيه بآسيا الصغرى ـ علاء الدين كيقياد الأول ابن كيخسور الأول 616 -636 هـ/1219-1239م اللذان يستعدان لقتاله (4) وقد انتهت في عام 638هـ/1239م أجل المعاهدة المبرمة بين الإمبراطور فريدريك الثاني والسلطان الكامل

---

(1) العيني عقد الجمان، ص 96.

(2) DE LAVILLE(LE ROUX) ; OP:CIT, P171

(3) GROUSSET; OP . CIT. TIII. P392

(4) L'ESTOIRE DE ERACLES; dansR H C; HIST. OC. ;TII;P403-405

وخشيت البابوية من محاولة سلطان مصر العادل الثاني(1) 636-639هـ/1238-1240م لاسترجاع مدينة بيت المقدس ولهذا دعت البابوية إلى حملة صليبية جديدة نحو الشرق. وقد استجاب لهذه الدعوة أمراء فرنسا من بينهم ثيبوت الرابع4THIBUT DE CHAMPAGNE

وفي شهر صفر عام 637هـ/1239م وصل ثيبوت إلى ميناء عكا على رأس حملة صليبية قوامها تقريبا ألف فارس فرنسي ولم تلبث أن أخذت هذه القوات في الزحف على مدينة غزة لاحتلالها لكن حدث أن عارض رؤساء الهيئات الثلاث ، الاسبتارية الداوية و التيتون ومع ذلك ربما يكون فرسان هذه الهيئات قد شاركوا في هذه الغزوة التي أحبطها المسلمون في ربيع الثاني/ نوفمبر من نفس السنة قرب غزة واضطر الصليبيون إلى الانسحاب إلى يافا ثم إلى عكا(2) .

وفي سنة 638هـ/1240م أتيحت الفرصة للصليبيين للتدخل في شؤون المسلمين و النيل منهم ، ذلك أنه في هذا العام عزل السلطان العادل الثاني من حكم مصر و خلفه الصالح نجم الدين أيوب 638-647هـ/1240-1249م ولما خشي صاحب دمشق الصالح إسماعيل 637-643هـ/1239-1245م من خطر * الصالح نجم الدين أيوب واستغاث بثيبوت الرابع مقابل تنازلات إقليمية هامة** لهم.

---

(1) الباز العريني: نفسه، ص 131-133

(2) عاشور (عبد الفتاح) : الحركة الصليبية، ج 2، ص 1036

- *حيث وعد الناصر داود صاحب الأردن بمساعدته على دمشق من صاحبها إسماعيل، انظر: أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، ج 6، ص 322
- ** من بين التنازلات : حصن صفد و شقيق أنون و ضواحي بيت المقدس

و بالفعل فقد تحققت هذه الوعود حيث منحهم ضواحي القدس و طبرية وعسقلان (1) غير أن هذه الصفقة قوبلت بمفاوضة السيد الكبير للاسبتارية ورفض المشاركة بفرسانه لتأييد صاحب دمشق ضد خصومه(2).

و بعد محاولة فاشلة مع صاحب دمشق الصالح إسماعيل لاحتلال غزة انسحب تيبوت إلى عسقلان حيث عقد هدنة بموافقة السيد الكبير مع الصالح أيوب(3).

و في شهر ربيع الثاني من عام 638هـ/1241م عاد ثيبوت إلى بلاده بعد أن حقق مزيدا من المكاسب وضمن بقاء بيت المقدس في حوزة الصليبيين ، ولا شك أن أحوال المسلمين قد ساعدته إلى حد كبير في هذا النجاح ، وهذا الوضع في الحقيقة كثير الوقوع في تاريخ الحروب الصليبية بل هو من مميزاتها البارزة.

و لم يلبث أن تجدد الصراع بين الصالح أيوب و عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق وقد توسع الخلاف حتى تحالف هذا الأخير مع الناصر داود صاحب الكرك و مع ذلك اظطر الصالح إسماعيل والناصر أيوب إلى طلب المساعدة من الصليبيين مقابل التنازل عن بيت المقدس و طبرية و عسقلان(4) و كان أن وافقت هيئة الاسبتارية هذه المرة وانضمت إلى التحالف الصليبي الدمشقي أما من جانب السلطان صالح أيوب فقد أرسل إلى الخوارزمية و طلب منهم الإجهاز على دمشق والبيت المقدس(5) و جاء الرد سريعا حيث تحركت من مواطنها بين الرها وحوران في شهر محرم من عام 642هـ/جوان 1244م.

---

(1) أبو الفداء: المختصر، ج 3، ص 172

(2) L'ESTOIRE DE ERACLES ;OP .CIT. PP 419-420

(3) (4)L'ESTOIRE DE ERACLES. OP . CIT PP 419-420

(4)المقريزي: السلوك، ج 1، ص 135

(5)زيادة (محمد مصطفى): حملة لويس التاسع على مصر، ص 73-74

و تمكن الجيش الخوارزمي من احتلال طبرية ونابلس في الطريق ثم توجه جنوبا واخضع بيت المقدس بالرغم من استبسال فرسان الاسبتارية و الداوية و كذا التحصينات التي أحيطت بها المدينة و تسببت هذه الهزيمة النكراء في هجرة حوالي ستة آلاف من المسيحيين قاصدين مدينة يافا، لكنهم تعرضوا لكمين نصبه لهم الخوارزمية تحت أصوار المدينة فهلك منهم الكثير(1) .

كما تعتبر معركة غزة الثانية من المعارك الهامة بالنسبة للمسلمين لما سجلوه من انتصار باهر على حساب الصليبيين عامة والاسبتارية على وجه الخصوص.

وقد حدثت هذه المعركة في السهل الرملي إلى الشمال الشرقي من غزة في جمادي الأول عام 642هـ/أكتوبر 1244م و كان أن ألقت الاسبتارية بكل ثقلها فيها .

وقد انتهت هذه المعركة بانتصار ساحق لصالح قوات السلطان صالح أيوب ، وقتل من الاسبتارية ما يزيد عن ثلاثمائة فارس و لم ينجو منهم سوى ستة عشر فارسا كما قتل فيها مقدم الداوية و وقع في الأسر وليم شاتونيف GUILLAUME DE CHATEANEUF مقدم هيئة الاسبتارية و اقتيد إلى القاهرة مع بقية الأسرى(2).

وتمكن الصالح أيوب بعد هذه المعركة من احتلال مدينة طبرية و عسقلان في عام 645هـ/1247م و هما تابعتان لسلطة دمشق و لا شك أن هيئة الاسبتارية هي الطرف الذي دفع الثمن الغالي في هذه المعركة، هذا ما يبرز مكانتها الكبيرة في الصراع الإسلامي الصليبي في الشرق.

---

(1) المقريزي: السلوك ، ج 1، ص 316

(2) DE LA VILLE(LE ROULX) ; OP.CIT.P 19;
CONTINUATION DE ROTHELIN. OP.CIT. P 564

الفصل الثالث

الفصل الثالث :

دور الإسبتارية الصليبي منذ 658 – 709 هـ / 1260 – 1310 م :

- دورها في الصراع بين الصليبيين مع :

1 - السلطان الظاهر بيبرس من 658 – 676 هـ / 1260 – 1277 م .

2 - السلطان المنصور سيف الدين قلاوون 678 – 689 هـ / 1279 – 1290 م

3 - جهودها في الدفاع عن مدينة عكا أيام الأشرف صلاح الدين خليل 689 – 690 هـ / 1290 – 1291 م .

- تحول هيئة الإسبتارية إلى قبرص 690 هـ / 1291 م ، و أهم نشاطاتها .

- انتقال هيئة الإسبتارية إلى رودس 709 هـ / 1310 م

- دور هيئة الإسبتارية في الصراع بين الصليبيين و السلطان الظاهر بيبرس 658 – 676 هـ / 1260 – 1277 م :

شهدت السنوات الأخيرة من القرن السادس و النصف الأول من القرن السابع الهجريين، أي القرنين الثاني و الثالث عشر الميلاديين، ازدياد نفوذ المماليك في مختلف الإمارات و الدول الإسلامية في الشرق الأدنى و منها مصر، و سرعان ما غدا لأولئك المماليك كلمة في الأحداث و الخلافات التي تعرضت لها المنطقة، مما يدل على قوة شوكتهم ، مما مكنهم من الإنفراد بحكم مصر ، و لم يلبث المماليك البحرية أن توصلوا إلى السلطة و ظلوا يحكمون مصر منذ عام 638 – 785 هـ/1250 – 1381 م، محاولين مواجهة المشاكل سواء من الناحية الخارجية من جانب الصليبيين و المغول، أو من الناحية الداخلية في شكل مؤامرات و أزمات اقتصادية.

و بزوال المماليك البحرية، حلت محلها دولة أخرى تدعى الجراكسة أو البرجية * (1) 784 – 922 هـ / 1382 – 1517 م، و استمرت مصر تحت حكم سلاطين المماليك أكثر من قرنين أي حتى غزا السلطان سليم العثماني البلاد عام 1517 م .

---

(1) - المقريزي : السلوك ، ج1 ، ص 339 ؛ العيني : عقد الجمان ، ص 217 – 218 ؛ عاشور(سعيد عبد الفتاح) : مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك ، ص 152-153 الباز العريني : الأيوبيون ، ص 148 .

* - قام السلطان الصالح أيوب بإنشاء المماليك البحرية الترك بديار مصر، و جعلهم معظم عسكره و من أهم عناصر جيشه، و هكذا استطاع المماليك أن يتبوّءوا مكانة حربية معتبرة، و ازداد نفوذهم السياسي و أضحى الأمير عز الدين أيبك التركماني أوّل سلطان مملوكي .

انظر : المقريزي : نفسه، ج1 ، ص 339 ؛ الباز العريني : نفسه ، ص 148 .

ويعتبر المماليك الجهاز العربي الذي استأثر بحكم البلاد والدفاع عنها، وتجمع المصادر على أن انتقال الحكم من آل أيوب إلى المماليك يعد حدثا له أهميته الخاصة في تاريخ المنطقة، و كما له تأثير فعال على موازين القوى في ساحة الشرق، و كذلك للدور البارز الذي أدّاه المماليك في الصراع بينهم و بين القوى الصليبية ، و قد تجلى هذا الدور العسكري الهام في تلك المناوشات التي كان يقوم بها السلطان الظاهر بيبرس على إقليم عسقلان عام 661 هـ / 1263 م ، و من جهة أخرى تحالف كل من الإسبتارية و الداوية مع فرسان مدينة عكا، و أغاروا جميعا على هذا الإقليم .

غير أنّ المماليك ردوا عليهم بالهجوم على قيسارية و عثليت و حصن الداوية ؛ كما قام الإسبتارية (1) بالإشتراك مع الداوية أيضا بشن هجوم مفاجئ و ناجح على قلعة اللجون بالقرب من جنين ، و نهبوا مدينة بيسان في شهر صفر من عام 663 هـ / 1264 م .

كما تمكنت قلعة عثليت الداوية في شهر جمادى الأول عام 663 هـ / مارس 1265 م من الصمود في وجه هجمات بيبرس (2) ، الذي توجه بعدئذ إلى مدينة أرسوف، فاعترضته قوات مشتركة مؤلفة من فرسان هيئتي الإسبتارية و الداوية للدفاع عنها، غير أن المدينة السفلى سقطت في يده(3)، و تمكن من أسر أهلها و إرسالهم إلى الكرك ، كما سيطر على هونين و تبنين و مدينة الرملة (4) .

---

(1) - Eracles : Op. Cit . , t II, p. 449

و ارجع أيضا إلى : قمعون (عاشوري) نفسه ، ص 130 .

(2) - المقريزي : السلوك ، ج1 ، ص 544 – 546 ؛ العيني : عقد الجمان ، ص 289 .

(3) - ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 5 ، ص 312 .

(4) - المقريزي : نفسه ، ص 558 .

و ارجع إلى : . Michaud : Op. Cit . , p 252

ثم اتّجه في العام الموالي أي في 665 هـ / أوت 1266 م ، انطلاقا من حصن صفد الذي كان قد استولى عليه بيبرس منذ ثلاثة أشهر فقط ، و ذلك نحو سهل عكا و طبرية، و تمكن من دحر القوات الصليبية، حيث أسفرت المعركة عن مقتل أكثر من خمسمائة صليبي من ضمنهم حوالي خمسة و أربعين فارسا إسبتاريا، بالإضافة إلى نائب مقدم هيئتهم الآمر الكبير إتيان دي ميس ‘Etienne de Messe’ (1) .

أما من جانب هيئة الإسبتارية في حصن الأكراد، فقد كانت تتلقى الضرائب و الأموال من طائفة الشيعة الإسماعيلية، و هو ما دفع السلطان بيبرس إلى مهادنتها عام 666 هـ / 1267 م ، و هذا من أجل الامتناع عن أخذ الإتاوات من الطائفة الشيعية و أصحاب حماة و شيزر و فامية (2) .

و نتيجة ذلك صارت الأموال تدفع للسلطان الظاهر بيبرس بدلا من دفعها للإسبتارية (3) الذين كانوا يخشون بأسه، كما حصل على موارد مالية دعمت من مركزه ، و هو ما جعلنا نرى أن الظاهر بيبرس تمكن من الاستيلاء على مدينة أنطاكية في الرابع من شهر رمضان عام 666 هـ / 18 ماي 1268 م ، و هي ثاني إمارة صليبية بعد الرها و لم تستطع الداوية الاحتفاظ بقلاعها فيها (4) .

---

(1) - Delaville(le roulx) : op. cit. , p. 232 ; King : Op. Cit. , p.261 .

(2) - انظر : King : Op. Cit. , p.260 ; Stevenson : Op. Cit. , p. 340

(3) - المقريزي : نفسه، ج1 ، ص 557 .

(4) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 1149 – 1150 .

و قد تجددت المعارك بين الإسبتارية و قوات السلطان بيبرس عندما هاجم هذا الأخير حصن الأكراد الإسبتاري ، الذي سقط في يده في شهر شعبان من عام 669 هـ / أفريل 1271 م (1) ؛ و أمام هذه الهجمات المتكررة، هرع فرسان الإسبتارية بحصن المرقب القريب من أنطرطوس إلى السلطان يطلبون الصلح، و تقررت الهدنة بين الطرفين لمدة عشر سنوات و عشرة أشهر (2) .

و مما تجدر الإشارة إليه أنّ هذا الاتفاق لم يكن عاما بين الفريقين ببلاد الشام، و إنما كان يعني فقط إسبتارية حصن المرقب الموجود بإمارة طرابلس الصليبية، و لذا فلا عجب أن نرى الإسبتارية في مملكة بيت المقدس يتحالفون في شهر ذي الحجة / جويلية من نفس العام مع فرقة إنجليزية وفدت حديثا إلى عكا بقيادة الأمير أدوارد 'Edouard' ولي عهد الملك الإنجليزي هنري الثالث 'Henri III' 613 – 671 هـ / 1216 – 1272 م و يغيرون على اللد و الرملة (3) .

كما أغاروا على بستان قريب من عكا يسميه الصليبيون " ضيعة القديس جورج " (4).

و اشترك أيضا مع نفس القوى الصليبية علاوة على فرقة من فرسان قبرص بقيادة هيوم الثالث 'Hugne III' - ملك قبرص (668 – 683 هـ / 1269 – 1284 م) - في شهر ربيع الأول من عام 670 هـ / نوفمبر 1271 م في مهاجمة حصن قاقون بإقليم قيسارية ، دون التوصل إلى السيطرة عليه (5) .

---

(1) - ابن العماد : شذرات الذهب ، ج5 ، ص 328 ؛ رنسيمان ستيفن : تاريخ الحروب الصليبية ج3 ، ص 571 ؛ ارجع أيضا إلى : Cahen : Op. Cit. , p 719 .

(2) - العيني : نفسه ، ص 230 – 231 ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 14 ، ص 42- 51

(3) - سامي سلطان ، نفسه ، ص 91 .

(4) - انظر : Chroniques des Templiers : Op. Cit. , p 200 .

(5) - المقريزي : نفسه ، ج1 ، ص 600 . ارجع أيضا إلى

Chroniques des Templiers : Op. Cit. , p 200

و الظاهر أن هذا العمل الأخير كان آخر لقاء عسكري عرف بين هيئتي الإسبتارية و الداوية من جهة و السلطان الظاهر بيبرس من جهة أخرى ، حيث أن السلطان وافق على إبرام اتفاق سلام مع هيو الثالث بناءا على طلب هذا الأخير (1)، و لم تنقض الهدنة إلا بعد وفاته .

نشاط هيئة الإسبتارية في عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون :

و بعد أن تولى الحكم بركة خان و العادل سلامش اللذين لم يكونا في مستوى أبيهما بيبرس من حيث قوة الشخصية و الإدارة و المهارة في تسيير شؤون المماليك (2).

برز الأمير قلاوون* الألفي الذي تمكن من الاستيلاء على الحكم في 21 من شهر رجب عام 678 هـ/ ديسمبر 1279م (3) . و قد حصل على عقد هدنة أخرى مدتها عشر سنوات مع هيئتي الإسبتارية و الداوية و بوهيموند السابع أمير طرابلس(4) 1276-1287 م ‘Bohemond VII’ .

و هكذا نرى أن السلطان المنصور سيف الدين قلاوون لم يكن أقل شجاعة و مهارة من سلفه الظاهر بيبرس و لا اقل منه عزما على محاربة الصليبيين، و يعتقد أن سبب موافقة

---

(1) - العيني : نفسه ، ص 247 ؛ قمعون (عاشوري) : نفسه ، ص 133

(2) - المقريزي : نفسه ، ج1 ، ص 642 .

* - تولى حكم مصر بعد خلع الملك السعيد بركة خان عام 676 هـ/1277 م ، ثم عهدت إليه إدارة شؤون السلطنة في أيام حكم بدر الدين سلامش. انظر :
أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص 292 ؛ سرورمحمد : دولة بني قلاوون في مصر، ص 31 ؛ قمعون (عاشوري) : نشاط هيئة الداوية ، ص 134 .

(3) - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص 294 ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص 288 .

(4) - المقريزي : السلوك ، ج1 ، ص 976 – 977 ؛ أبو المحاسن ، نفسه ، ص 380
و ارجع أيضا إلى : . Stevenson (W) : Op. Cit. , p. 347

السلطان المنصور سيف الدين قلاوون على إبرام هذه الهدنة هو الرغبة في فصل الصليبيين بالشام عن المغول في إيران و العراق، و ضمان عدم تحالفهم ضده.

وما أن انتصر قلاوون على المغول في عام 680 هـ / 1281 م، بالقرب من حمص حتى أعلن عن عزمه على مقاومة جميع الصليبيين .

و يمكن اعتبار ذلك العمل من قبل قلاوون إنتصارا ديبلوماسيا هاما (1).

أما عن هيئة الإسبتارية، فقد تأثرت تأثرا كبيرا من جراء الهجمات المتوالية التي تعرضت لها سواء في أيام قلاوون أو أسلافه، و يتضح ذلك جليا في فحوى الرسالة التي بعث بها مقدم الهيئة نيقولا لون عام 681 هـ / 1282 م إلى الملك الإنجليزي إدوارد الأول يطلعه فيها على الحالة المأسوية التي يعانيها فرسان الإسبتارية، كما طلب منه إمداد الهيئة بما يحتاجونه من مُؤن وسلاح .

غير أنّ إدوارد اكتفى في رده بأن وعد بحماية أملاك هيئة الإسبتارية بإنجلترا(2) .

و أمام هذه الخيبة لم يجد فرسان الإسبتارية خاصة و الصليبيين عامة بدا من الاتصال بالسلطان قلاوون(3) عارضين عليه الهدنة التي قبلها، و تدخل حيز التنفيذ ابتداء من يوم الخميس 5 ربيع الأول عام 682 هـ/ جوان1283 م، و قد أقرت للصليبيين امتلاك المنطقة الممتدة من صور شمالي عكا إلى جبل الكرمل و عثليت فضلا عن صيدا .

---

(1) - قمعون (عاشوري) : نفسه ، ص 134 .

(2) - انظر : Delaville le roulx : Op. Cit . , p.233 - 234

(3) - المقريزي: نفسه،ج1 قسم3، ص757؛ أبو الفداء: المختصر،ج 4، ص 83

غير أنه اتفق علي استبعاد صور و بيروت من شروط الهدنة(1) ، وهكذا تفرغ السلطان قلاوون إلى القضاء على الأخطار الداخلية التي واجهته و المتمثلة في خروج الأمير شمس الدين شنقر- نائب الشام – عليه، ويبدو أنه كان طموحا إلى أن يتولى منصب السلطنة عوضا عن قلاوون (2) الذي ا نصرف إلي مهاجمة الصليبيين و المغول الذين ما فتئوا يهددون بلاد الشام ؛ و الواقع أن السلطان قلاوون كان على دراية جيدة بأوضاع الصليبيين الداخلية و أنّ مبادرات السلاطين ماهي إلا وسيلة لربح الوقت و لعلى قبوله للهدنة المقترحة(3) يدخل في الإستراتيجية الحربية التي يهدف من خلالها إلى طمأنة الصليبيين حتى يجهز عليهم و هم في غفلة من ذلك.

و فعلا فإن السلطان قلاوون لم يلبث أن نقض الهدنة و أغار بجيشه في عام 684 هـ / 1285 م ، على حصن المرقب التابع للإسبتارية ، و سمح حينئذ لحاميتها بالانتقال إلى مدينتي أنطرسوس و طرابلس القريبتين ، كما أعاد الكرة في شهر صفر عام 688هـ / فيفري 1289 م على رأس جيش مصر بكامله تجاه بلاد الشام للدخول مع الصليبيين في جولة حربية جديدة ، و عندما علم مقدم الداوية غييم دي بوجيه 'G. de beaujeu' بتحركه عن طريق الأمير بدر الدين بكتاش الذي كان تقاضى أجرا من الداوية ، أرسل إنذارا إلى مدينة طرابلس يخبره بتوجه العساكر المصرية نحوها ، و طلب حاميتها أن تتحد و تلتفت إلى تقوية أسباب دفاعها.

---

(1) - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 14 ، ص 51 – 63 ؛ قمعون (عاشوري) : نشاط هيئة الداوية ، ص 135 .

(2) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 1178 – 1182 .

(3) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : نفسه ، ص 1178 – 1182 .

و ارجع أيضا إلى : Grousset : Op . Cit. , t II , pp 747 – 752 .

و لكن الصليبيين لم يعيروا إهتماما لإنذار مقدم الداوية ، إلى أن اجتاز جيش السلطان الضخم البقيعة في شهر ربيع الأول688هـ/ مارس 1289م، و احتشد أمام أسوار طرابلس (1) .

و قد أرسل الإسبتارية فرقة برئاسة المارشال متى كليرمونت 'M. de Clerment' مع سفن جنوة و البندقية ، كما بعث الداوية قوة من عكا بقيادة المارشال جفري وقتذاك للاشتراك في الدفاع عنها.

و قد أعطى السلطان قلاوون أوامره في ربيع الأول / 20 أفريل من نفس العام بشن الهجوم الكاسح ، فتدفقت جموع المماليك إلى داخل المدينة بعد أن اجتازت السور الذي يقع إلى الجنوب الشرقي بعد انهياره، و سيطرت على المدينة سيطرة تامة في الثالث من شهر ربيع الثاني 26 أفريل 1289 م (2).

و قد أسفرت المعركة عن مقتل عدد كبير من المدافعين الصليبيين، أما مارشالا الإسبتارية و الداوية فقد تمكنا من الإبحار سالمين إلى قبرص مع الملك عموري 'Amaury' أخي الملك القبرصي هنري الثاني 'Henri II' 684هـ-725هـ / 1285-1324 م (3).

---

(1) - أبو الفداء : المختصر، ج 7 ، ص 29 ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، ج 7 ، ص 320 و ارجع أيضا إلى :

Gestes des Chiprois , pp 34-35 ; Delaville le roulx : op.cit ., p.245

Stevenson : Op. Cit. , p. 350 .

(2) - أبو الفداء : المختصر ، ج 7 ، ص 29 ؛ المقريزي : السلوك ، ج1 ، القسم الثاني ص 47 ؛ قمعون (عاشوري) : نفسه ، ص 136 .

(3) - أبو الفداء : المختصر ، ج 7 ، ص 30 و ارجع إلى :

Chroniques des Templiers : Op. Cit. , p 237 .

و بعد الإنتهاء من القتل و السلب، أمر السلطان قلاوون بتدمير المدينة، حتى لا يحاول الصليبيون الإستيلاء عليها من جديد (1) .

و هكذا أصبح الطريق ممهدا أمام السلطان قلاوون للسيطرة على معاقل الصليبيين في عكا و صور و عثليث (2)، ولكنه توفِيَ في 5 ذي القعدة 689هـ/ 10 نوفمبر 1290 م .

دور هيئة الإسبتارية في الدفاع عن مدينة عكا في عهد السلطان الأشرف صلاح الدين خليل 689-690هـ / 1290-1291 م :

خلف السلطان قلاوون إبنه الأشرف صلاح الدين خليل (689-693هـ/1290-1293م) الذي استعد استعدادا كاملا للسير في ركب أبيه عند مواجهة القوات الصليبية المعادية و لهذا أرسل إليه الإسبتارية فارسا منهم و كاتب إسمه جورج 'George' ، و فارسا من الداوية يدعى برثو لوميو بيزان 'Berthe lome pizani' مصحوبين بأحد أعيان مدينة عكا و إسمه فيليب مانبيف 'Phillippe maine beuf' ، و هذا من أجل تجديد المعاهدة السلمية، غير أنّ السلطان الأشرف صدمهم بالرفض القاطع و زجّ بالمبعوثين في السجن حتى ماتوا فيه ؛ و هذا دليل على تصميمه على العمل على قطع دابر المستعمر الصليبي نهائيا من بلاد الشام (3).

---

(1) - انظر: . Gestes des Chiprois , pp 237 – 238

(2) - انظر: Grousset : Op . Cit. , t II , p 745

(3) - المقريزي : السلوك ، ج1 ، ص 62 – 76 ؛ و ارجع أيضا إلى :

Gestes des Chiprois . Op. Cit. , p 241

و هكذا فقد قرر السلطان الأشرف بعث المشروع الذي لم يقدر لأبيه قلاوون تحقيقه و هو فتح مدينة عكا * ، و في الحقيقة فإنّ هذا المشروع كان يراود الأشرف لأهميتها الإستراتيجية ، و كان بقاؤها بحوزة الصليبيين يشكل خطرا على المسلمين ، و بالتالي كان لازما عليه توجيه حملة عنيدة و في مستوى القوة لاحتلالها، و بذلك غادر القاهرة على رأس جيش غفير قوامه مائتان و عشرون ألف محارب، و يبدو أن العدد مبالغ فيه لأن مثل هذا الجيش يحتاج إلى إمكانيات كبرى و رعاية خاصة، و هو ما لم يكن يتوفر عليه المسلمون آنذاك .

و بذلك قام الأشرف بضرب حصار محكم على مدينة عكا ، كما استعمل المجانيق لقذف أسوارها (1) .

و استبسل فرسان الإسبتارية استبسالا كبيرا إلى جوانب القوات الصليبية الأخرى وأحبطوا جميع محاولات الجيش المملوكي لاقتحام المدينة، كما أنّ مقدم هيئة الداوية غليام يوجيه حاول مباغتة جيش المماليك بشن هجوم بعد عشرة أيام من بدء الحصار بشق طريقه خارج المدينة، و لكنه أخفق في محاولاته بسبب يقظة الجيش المصري و كثرة عدده(2) ؛ و من بعد أعاد الكرّة صحبة ثلاثمائة فارس من الداوية بمساعدة أوتو جراندسن قائد الجيش الإنجليزي ، و قام بشن هجوم ليلي على معسكر جيش حماة و كان ضمن جيش الحصار المملوكي ، و أخذوا المسلمين على غرة

* - تقع مدينة عكا شمال غرب فلسطين بالقرب من حدود لبنان الجنوبية ، وتقع بين مدينتي صور شمالا و حيفا جنوبا ، ارجع إلى : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص 272 .

(1) - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج 8 ، ص 5 – 6 ؛ و ارجع أيضا إلى :

Grousset : Op . Cit., t III , p 751 ; Delaville le roulx : op.cit., p.242

(2) - أبو المحاسن ، نفسه، ص 66 ؛ رنسمان ستيفن : تاريخ الحروب الصليبية ،ج 3 ، ص 702

غير أن عددا كبيرا منهم وقعوا في الأسر، في حين ارتد الآخرون على أعقابهم إلى داخل المدينة(1) ، كما كرر جيش الحصار المملوكي المحاولة لاقتحام أسوار المدينة في 15 جمادى الأولى / 16 ماي من نفس العام، بيد أن المدافعين من هيئتي الإسبتارية و الداوية صمدوا ومنعوه من التوغل داخلها، وحينما أيقن الصليبيون أن وضعهم و إمكاناتهم لن يسمحا لهم بالصمود أكثر ، أرسلوا إلى السلطان يطلبون منه الهدنة(2) لكن الأشرف رفض كل مقاومة و أصر على احتلال المدينة دون شرط أو قيد و من ذلك شن في 17 جمادى الأولى 690 هـ/18 ماي1291 م هجوما كاسحا على عكا، و أظهر فرسان الإسبتارية على وجه الخصوص شجاعة وضراوة عظيمتين في مقاومة المسلمين، ومع ذلك تمكنت قوات الأشرف من احتلالها عدا برج كان فرسان الداوية قد اعتصموا به، و هو يقع على الجهة الجنوبية الغربية من المدينة، وبعد مناوشات أخرى سقط البرج في 17 جمادى الثانية 690 هـ/1291 م، ودمر على آخره(3).

وقد لحق بفرسان الإسبتارية أضرار كبيرة في الأرواح ، فكان من بين القتلى مارشال الهيئة متى كليرمونت الذي أظهر شجاعة أثارت إعجاب الجميع (4) .

---

(1) - أبو الفداء : المختصر، ص 164 في مجموعة المؤرخين الشرقيين، الجزء الأول و ارجع أيضا إلى :
Grousset : Op . Cit. , t II , p 76

(2) - عاشور (السعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية، ج 2 ، ص 1182 ؛ عاشوري : نشاط هيئة الداوية ، ص 140 - 142 .

(3) - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج 8 ، ص 16 ؛ قمعون (عاشوري) : نشاط هيئة الداوية ص 140 – 142 .

(4) - انظر : Delaville le roulx : Op.Cit ., pp. 243–244 ; Grousset : Op . Cit. , t III , p 757 .

أما السيد الكبير حنا قليير فقد جرح في المعركة ونقل إلى إحدى السفن الراسية في الميناء، ثم سيق هو وحلفاؤه إلى جزيرة قبرص*، حيث سمح لهم ملكها هنري الثاني لوزجنان بالإقامة في مدينة ليماسول الواقعة على ساحلها الجنوبي، وبعد هذه النكسة أخذت المدن الصليبية ببلاد الشام تسقط الواحدة تلوى الأخرى تحت ضربات الجيش المملوكي، إذ فتحت في شهر شعبان وحده سنة 690 هـ / 1291 م ثلاث مدن هي مدينة صيدا، بيروت و مدينة حيفا(1).

و بذلك فقد الصليبيون عامة وهيئة الإسبتارية خاصة كل مكاسبهم في بلاد الشام، و حينئذ لحق فرسان الإسبتارية بالسيد الكبير لهيئتهم المقيمة بجزيرة قبرص، بعد أن سمح لهم بذلك ملكها هنري الثاني .

---

* - قبرص: جزيرة في البحر المتوسط عاصمتها نيقوسيا، لها قيمة تاريخية واقتصادية، لعبت دورا في التاريخ شبيها بدور صقلية، وهي واقعة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط .
يدين أهلها بالإسلام و المسيحية، امتلك قبرص ريتشارد الإنجليزي الملقب بالأسد منذ الحملة الصليبية الثالثة 1191 م ، و لكنه لم يستطع الإحتفاظ بها، فباعها لفرسان الداوية بمائة ألف بيزنت ، غير أنّ هؤلاء لم يستطيعوا أن يدفعوا سوى أربعين ألف بيزنت ، و اتفق معه جي لوزجنان ملك بيت المقدس المعزول على أن يحل محل أولئك الفرسان، فيدفع له بقية المبلغ وهو ستين ألف بيزنت ، ويعيد لهم الأربعين ألف، وتم ذلك عام 1192 م، وأضحت قبرص منذ ذلك الحين مملكة و استمرت حتى عام 1489 م في ظل حكم أسرة لوزجنان، حكمها ثمانية عشر أمير .
للمزيد من التفاصيل ارجع إلى :
محمد فريد وجدي : المجلد السابع ، دائرة المعارف ، القرن الرابع عشر هجري ، ط 2 ص 606 - 608

(1) - المقريزي : السلوك ، ج1 ، ص 765 ؛ أبو الفداء : المختصر، ج 1 ، ص 164 – 165 .

تحول هيئة الإسبتارية إلى قبرص 690هـ / 1291 م وأهم نشاطاتها :

إن استيلاء المسلمين على عكا عام 1291 م ترتب عليه نتائج بالغة الأهمية بالنسبة لجزيرة قبرص، و الدور الذي لعبته في الحروب الصليبية، ذلك أن قبرص كانت معقلا من معاقل الصليبيين بالشرق ، وغدت بعد سنة 1291 م أهم هذه المعاقل و أقواها(1) .

فقد حدث أن صار الصليبيون ينزحون إلى الجزيرة زرافات و وحدات مرفوقين بنسائهم وأولادهم وما أمكن نقله من ثرواتهم (2).

وكان أن تحول إهتمام أعضاء هيئة الإسبتارية في فترة تواجدهم بقبرص إلى النشاط البحري، حيث اضطروا أحيانا إلى المكوث وقتا طويلا في البحر بعيدا عن أي مراقبة خاصة وأن الملك القبرصي كان قد بالغ في سن القوانين المجحفة في حق الإسبتارية بالرغم من الدور الذي لعبته الهيئة في فترة تواجدها بالأراضي المقدسة، في حماية ومساعدة آل لوزجنان .

فالمعروف أن البابا إنوسنت الثالث (1198-1216 م)، قد أوصى هيئة الإسبتارية في 20 نوفمبر 1198 م أي عندما كان مقر رئاساتهم في فلسطين، بأن يساعدوا ملك قبرص عموري لوزجنان 'Amaury de lusignan' (1198 – 1205 م) في الدفاع عن جزيرته ضد هجمات المسلمين(3)، وما أن تلقى الإسبتارية هذه التوصية حتى أرسلوا بعض قواتهم إلى جزيرة قبرص .

---

(1) - عاشور(سعيد عبد الفتاح) : قبرص و الحروب الصليبية ، ص 53

البغدادي : تحقيق الدكتور محمد مخزوم ، ط1 1988 ، ص 50 – 75 .

(2) - Schlumberger : Prise de saint jean d'acre , p 53

(3)- عاشور(سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص2331 و أنظر :

Hill : Op. Cit. , t II , p 30

حيث استقرت في بعض قلاعها التي وضعها الملك عموري تحت تصرفهم، و كان ذلك على الأرجح نقطة البداية في العلاقات بين الإسبتارية و آل لوزجنان بقبرص، و في سبتمبر عام 1210 م منح الملك القبرصي هيو الأول (1205-1218) خليفة عموري هيئة الإسبتارية، امتيازات خاصة منها حق اقتناء الأراضي و الإعفاء من دفع الرسوم الجمركية على الصادرات و الواردات فضلا عن منحها أراضي ومنازل في مدينة ليماسول، إلى جانب عدة ضياع أهمها ضيعة كولوس التي أقام فيها الإسبتارية قلعة وجعلوا منها مركزا لها عرف باسم الأمرية (1).

إلا أن العلاقات بين الإسبتارية و أسرة آل لوزجنان سرعان ماعرفت التغيير ، فكان أن اتجه تفكير هيئة الإسبتارية نتيجة الضغوطات التي فرضها هنري الثاني لوزجنان إلى التخلص من مضايقاته بالإنتقال من جزيرة قبرص إلى مكان آخر ، يتمتعون فيه بحرية العمل، وقد وقع اختيار الهيئة على جزيرة رودس لأنها لا تبعد كثيرا عن بلاد الشام(2) .

و قد كان لزاما على السيد الكبير للهيئة وهو حنا قليير ، أمام هذا الوضع، فراح يعقد في مدينة ليماسول مؤتمرين(3) عامين لأعضاء هيئته ، الأول في أوائل أكتوبر 1293 م و الثاني في 20 أكتوبر من نفس السنة ، و اتخذت خلال المؤتمرين قرارات حاسمة لمعالجة مشاكل الهيئة، و استمرت من بعده الحركة الإصلاحية في عهد السيد الكبير أودي بنز 'Eudes pind' الذي خلف قليير عام 1294 م .

---

(1) - انظر : Delaville (le roulx) : op.cit . , pp 140 –180

(2)- سامي سلطان : الإسبتارية في رودس ، ص107 ؛ و أرجع أيضا إلى :
Delaville(le roulx) : op.cit ., p 274-276

(3)- Delaville(le roulx) : op.cit ., p 244

ولكن الهيئة اتجهت إتجاها آخر إذ سعت إلى الحد من السلطات الواسعة التي كان يتمتع بها السيد الكبير، لما رأته من إهمال في السيد أودي بنز في حل مشاكلها العاجلة، مثل إعادة النظام وفرض القانون داخل الهيئة، وكذا السعي لدى ملك قبرص كي يرفع عن أعضائها ضريبة الرأس، ويسمح لهم بتسليم البيوت اللازمة لإقامة زملائهم الوافدين باستمرار من أروبا (1).

وقد بلغت هذه المشاكل ذروتها في عهد أودي بنز، ولحسن حظ هيئة الإسبتارية أن انتخب على رأسها سيد كبير في مارس عام1296 م، اسمه وليم دي فيلارية 'Guillaume de villaret'، وعرفت الهيئة في عهده نشاطا ملحوظا، أما عن الداوية فيذكر المؤرخ أبو الفداء أنهم دأبو منذ أن استقروا في جزيرة أرواد على اعتراض سفن المسلمين(2) التي تجوب سواحل البحر المتوسط في حوضه الشرقي .

وقد اشتركت هيئة الإسبتارية مع الداوية مع الملك القبرصي هنري الثاني لوزجنان المعروف بنشاطه الصليبي* في توجيه حملة مشتركة على مصر وبلاد الشام، وكان ذلك في مارس من عام 1300 م (3) .

---

(1) - سامي سلطان : الإسبتارية في رودس، ص 99.

(2) - أبو الفداء : المختصر، ص 165، في مجموعة المؤرخين الشرقيين، الجزء الأول ؛ قمعون عاشوري : هيئة الداوية، ص 144.

* - لقد تقدم هنري الثاني لوزجنان ملك قبرص بمشروعه الصليبي إلى البابا كليمنت الخامس ونادي فيه بضرورة فرض حصار إقتصادي على مصر لإضعاف دولة المماليك و شن من بعده ملوك قبرص حربا اقتصادية على سلطنة المماليك في مصر من جهة ثم التربص للسفن الإسلامية أو الإيطالية في عرض البحر، و قطع الطريق عليها إلى شواطئ مصر والشام من جهة آخرى ارجع إلى : عاشور(سعيد عبد الفتاح) : قبرص و الحروب الصليبية، ص 93 .

(3) – انظر : Delaville le roulx : Op.Cit ., pp 258 - 259

وقد سارت الحملة المشتركة من ميناء ليماسول في شهر شوال من عام 699 هـ / جويلية 1300 م ، وتتألف من ست عشرة سفينة كبيرة وبضعة سفن صغيرة(1) ، لكن المؤرخ ديلافيل لروكس حددها بثلاث عشرة سفينة فقط، ولم يشر إلى السفن الصغيرة ، فكان أن اتجهت نحو مصر وتمكنت من نهب مدينة الرشيد و المواقع الساحلية الأخرى حتى مدينة الإسكندرية ، وأسرت سفينة مغربية، ثم اتجه الجيش الصليبي إلى الشام، فقام بغزوات فاشلة في عكا ثم إنطرطوس، وعندما صار أمام ميناء مرقية 'Maraclea' بشمال غرب سوريا، نزل فيه الإسبتارية، ولم يلبثوا أن طردوا منه، فرجعوا صحبة أسطولهم مع الداوية و القبارصة إلى جزيرة قبرص عن طريق ساحل أرمينيا بقيليقية(2) .

وساهم أعضاء هيئة الإسبتارية في شهر ربيع الأول عام 700هـ/نوفمبر 1300م إلى جانب القبارصة و الداوية في حملة جديدة على بلاد الشام، وتمكنوا من الاستيلاء على مدينة أنطرسوس، وكانت الحملة بقيادة عموري لوزجنان أخي الملك القبرصي هنري الثاني .

ولما طال إنتظارهم بالجزيرة ولم يستجب ملكها هنري لثاني لمطالبهم اشتد بهم القلق فقرروا عندئذ التوجه إلى جزيرة أرواد ، لكن لم يلبث أن عادوا مجددا إلى جزيرة قبرص(3) ، وحتى يتخلصوا من مضايقات الملك القبرصي، أخذت قيادة الهيئة تفكر في الهجرة إلى مكان آخر أكثر أمنا و استقرار، وكان أن وقع اختيارها على جزيرة رودس .

---

(1) - أنظر : Chroniques des Templiers de tyr : Op. Cit. , p 303 ; Delaville le roulx : Op.Cit ., p 259 .

(2) - قمعون (عاشوري) : نفسه ، ص 143 - 144 و

ارجع إلى : Delaville(le roulx) : Op.Cit ., p 259

(3) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 1232 ؛ قمعون (عاشوري) : نفسه ، ص 144 .

إنتقال هيئة الإسبتارية إلى رودس *:

إذا كان المماليك قد نجحوا في طرد الصليبيين نهائيا من بلاد الشام عام 1290 م، فإن بقايا كبرى ظلت قائمة للصليبيين بالشرق الأدنى طوال القرن الرابع عشر وشطر من القرن الخامس عشر الميلاديين، ومن بين هذه البقايا، فرسان الإسبتارية أو دولة الإسبتارية في رودس (1) .

وفي الحقيقية أن هذه البقايا كانت وليدة الحركة الصليبية ونشأت بفعل تيار تلك الحركة و من ثم أخذت على عاتقها مهمة استئناف محاربة المسلمين سياسيا و اقتصاديا و حربيا.

أما عن قيام دولة الإسبتارية في رودس ، فيلاحظ أنه نتج عن سقوط عكا و زوال دولة الصليبيين بالشام ، أن وجدت هيئات الفرسان نفسها في مأزق خطير بعد أن فقدت ميدان نشاطها و حرمت من أسباب و جودها وصار عليها أن تبحث لنفسها عن ميادين جديدة تستنفد فيها إمكانياتها المادية وحماسها الديني (2).

---

* - رودس : جزيرة من جزر البحر المتوسط في الجنوب الغربي من بلاد الأناضول وهي أراضي جبلية، يبلغ ارتفاع أعلى جبالها (طوروس) 1240 متر.
كانت تابعة للنفوذ الإسلامي، ومن الناحية الشكلية تابعة لحكم الدولة البيزنطية، وهي دولة مسيحية أرتوذكسية ؛ ورودس من الجزر التي فتحها الأتراك (929 هـ / 1522 م) .
للمزيد من التفاصيل، ارجع إلى : محمد شفيق غربال : المجلد1 ، ص 890 ؛ محمد بن عبد المنعم الحميدي : الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تحقيق حسان عباس مكتبة لبنان، ط1 ، 1975 ، ص 278 ؛ محمد فريد وجدي : دائرة المعارف ف 20 المجلد 4 ، ص 402-404 .

(1)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) : أوربا العصور الوسطى، ج1 ، ص 283 ؛ الحركة الصليبية ، ج2 ، ص 1232.

Atiya : The crusade in the later middle age , p 290 -(2)

لهذا و قع اختيار دي ڤيلارية ومساعديه على جزيرة رودس لأنها لا تبعد كثيرا عـن بـلاد الشام ، و لأن وقوعها بين أوروبا والشرق يسهل للإسبتارية مهاجمـة السفن التـي تحمـل السلـع الحربيـة مثـل الخشب ، و تقـدم المسـاعدات الماليـة العاجلـة إلـى مملكتـي قــبرص و أرمينيا المسيحيتين(1)، في حالة هجـوم إسـلامي أو رغبـة مسيحية فـي تدبـير عـدوان صليبي على هؤلاء الجيران ، كما سمح لها هـذا الموقـع الإسـتراتيجي بحمايـة و حراسـة سفن الحجاج المسيحيين الوافدين إلى فلسطين.

لقد قـام السيد الكبير لهيئـة الإسبتارية بزيـارة خاطفـة لسواحل الجزيـرة فتعـرف علـــى أحوالها و تحصيناتها ، ثم عـزم علـى السفر إلـى أوربـا لطلب المسـاعدة اللازمـة لتنفيـذ مشروعه باحتلال رودس من حكامها وخاصـة البابـا وملـك فرنسـا، لكنـه توفـي قبـل تنفيـذ المشروع عام 1305 م.

فخلف على رأس الهيئة فولـك دي ڤيلاريـه 'Foulques de Villaret' ، و نلاحـظ أن هيئة الإسبتارية التي كانت تنتظر الفرصـة السـانحة من أجـل مواصلـة نشـاطها الصليبـي و غير الصليبـي، قد وجدت الفرصـة فـي عـهد فولـك دي ڤيلاريــه، إذ قصـد هيئـة الإسبتارية سنة 1306 م أحد كبار القراصنة الجنويين و اسمه فيجنولـو 'Vignolo'(2) الذي استولى من الإمبراطور البيزنطي أندونيق على جزيرتـي كوس و لـيروس ، و كـان أن عرض القرصان الجنوبي على فولك دي ڤيلاريه - مقدم الإسبتارية – مشروعـا ضخما

(1) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 1233

و انظر : Delaville(le roulx) : Op.Cit ., p 276.

(2) – انظر : Delaville(le roulx) : Op.Cit ., p 276

خلاصته أن يتعاون الطرفان في غزو العديد من الجزر، على أن يكون للإسبتارية ثلثا الغنيمة و للقرصان الثلث الآخر(1).

كما كانت لهذا القرصان أيضا مغامرات ضد الأتراك في البحر المتوسط لحسابه الخاص و مهما يكن من أمر، فقد اجتمع السيد الكبير و القرصان فجينولو بتاريخ 28 مايو عام 1306 م في كنيسة صغيرة اسمها كنيسة القديس الإغريقي، تقع على الساحل بعيد عن ميناء نيكومليس، وكان سبب اختيار هذا المكان بعيدا عن الجزيرة هو أن حكومة هذه الأخيرة وقتذاك كانت تطارد الجنوبيين بتهمة القيام بأعمال تخريبية ضد قبرص فضلا عن أن الجزيرة كانت تنتقم على خال فيجنولو و اسمه أندريا موريسكو 'Andrea Moresco' و هو جنوي مثله بسبب قيامه بعمل من أعمال القرصنة ضد الجزيرة (2).

و قد اتفق كل من فولك و فيجنولو على أن يؤول إلى هيئة الإسبتارية – كما سبقت الإشارة - ثلثا دخل الجزر التي يتم الاستيلاء عليها بمساعدة فيجنولو في البحر المتوسط و على أن يعود الباقي إلى فيجنولو، و قد استثنى من ذلك جزيرة رودس التي تقرر أن تعود ملكيتها كاملة للإسبتارية، بشرط أن يسمح لفيجنولو بالاحتفاظ فيها بضيعة كانت قد آلت إليه بمقتضى منحة من الإمبراطور البيزنطي أندونيق الثاني، و بأن يختار ضيعة أخرى في الجزيرة بعد أن يتم فتحها (3)

---

(1) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 1233 .

(2) - سامي سلطان : الإسبتارية في رودس ، ص 103 و ارجع أيضا إلى :

Delaville(le roulx) : op.cit ., p.273 .

(3) – انظر : Delaville (le roulx): Op.Cit ., p 273

و قد اتفقا كذلك على أن تكون جزيرتا كوس و ليروس من نصيب الإسبتارية، بالرغم من ملكيتها السابقة لفيجنولو، مع احتفاظ هذا الأخير بحق تعيين الحكام والموظفين، وإقامة العدالة في هاتين الجزيرتين و الجزر المجاورة لهما، و لن يتحقق ذلك إلا بعد موافقة السيد الكبير لهيئة الإسبتارية التي تحتفظ لنفسها في هذه الجزر بحق إصدار الأحكام الخطيرة منها عقوبة الإعدام(1).

و قد كتب المؤرخ الإيطالي أمادي عن كيفية غزو رودس ، وركز على أساس أن واقعة الغزو كلها تمت في عام 1308 م، أما عن بدء العمليات للغزو فكان عام 1306 م(2).

هذا ما قاله سائر المؤرخين المعاصرين على حد قول المؤرخ الداوي عند مدينة صور (3).

و من المؤكد أن غزو رودس بدأ في عام 1306م لأن البابا بندكت الحادي عشر أصدر منشورا في 5 سبتمبر 1307 م ، صادق فيه على امتلاك الإسبتارية لجزيرة رودس(4) .

---

(1) - سامي سلطان : نفسه ، ص 103 .

(2) - Chroniques des Templiers de Tyr : Op. Cit. , p 322

Amadi : Op. Cit. , p 257 .

(3) - Chroniques des Templiers de Tyr : Op. Cit. , p 322

(4) - سامي سلطان : نفسه ، ص 106 . و ارجع إلى :

Atiya : Op. Cit. , pp 288 – 289 .

فحدث أن أبحر أسطول إسبتاري بسيط، يتألف من ستة سفن حربية عليها خمسة و ثلاثون فارسا إسبتاريا و ستة من الخيالة الخفيفة المعروفين بالتركوبلية و خمسمائة من الجند المشاة .

و ما كاد يحل اليوم السابع عشر من شهر سبتمبر 1306 م، حتى ظهر أسطول الغزو أمام مدينة رود س، و في 20 سبتمبر استولت هيئة الإسبتارية على حصن فيراكلوس 'Pheraclos' ، وهو حصن قديم على الساحل الشرقي للجزيرة و حدث أن استمر بعدها الإسبتارية في تضييق الحصار على سكان المدينة، حتى قبلوا الاستسلام مرغمين(1) ، و ذلك في 15 أغسطس من عام 1308 م أو من عام 1310 م.

و قد قال المؤرخ ديلا فيل لروكس في كتابه الإسبتارية في الأراضي المقدسة و قبرص نقلا عما فهمه من رواية أمادي، و على أساس أن عملية الغزو بدأت في عام 1306 م و أنّ سائر المعاصرين أجمعوا على أنّ حصن رودس استسلم بعد عامين من حصاره الذي بدأ بمجرد النزول على يابس الجزيرة.

و نرى من خلال كتابات أمادي ، أنّه يتفق مع المؤرخين الذين يؤكدون أنّ سقوط حصن رودس تمّ في عام 1310 م (2)، ما دام عملية النزول على بر الجزيرة كان قبل ذلك بعامين (3) .

---

(1) - سامي سلطان : نفسه ، ص 107 . و ارجع أيضا إلى :
Delaville(le roulx) : Op. Cit. , p 278

(2) - سامي سلطان ، نفسه الإس ، ص 110

(3) - D'Anglure : le saint voyage de Jerusalem , Paris 1858 , pp 205-206 ; Golubovich : Biblioteca Bio – Bibliografica della terra santa E DEV oriente fransescano nuova serie documenti , tIII, p144. نقلا عن سامي سلطان: نفسه ص107-110

و نرى أن موجة التشكيك في صحة الرواية القائلة بعام 1310 م مصدرها أن بعض المؤرخين يستكثرون مدة أربع سنوات لإخضاع مدينة رودس.

في حين نجد الدكتور سامي سلطان في كتابه الإسبتارية في رودس استنادا إلى قول أحد الرحالة الألمان وإسمه 'Ludolph von suchem' الذي زار رودس في عام 1336م أكد أن الإسبتارية حاصروا العاصمة عدة سنوات، و لم تخضع لهم إلا بعد تقديم الرشوة للأهالي (1) .

و للإشارة أن معظم عمليات استيلاء الإسبتارية على جزيرة رودس تم أثناء غياب السيد الكبير لهيئتهم، فولك دي فيلاريه في أوروبا، و الذي كان مستدع مع زميله يعقوب دي مولي 'Jacque de Molay' السيد الكبير لفرقة الداوية من قبل البابا كليمنت الخامس لاستطلاع رأيهما في إمكانية إرسال حملة صليبية عامة إلى فلسطين (2).

و قد حدث أيضا أن اجتمع السيد الكبير لهيئة الإسبتارية مع البابا كليمنت الخامس و الملك الفرنسي فيليب الرابع و كان أن حصل على تأييدهما له في مشروع إحتلال جزيرة رودس ، و قد أعطى البابا للسيد الكبير موافقته الرسمية في منشور بابوي الذي صدر بتاريخ 5 سبتمبر 1307 م .

(1) Ludolph von sucheur in Palestine piligrinus text society vol XII p34
نقلا عن سامي سلطان : نفسه ص115

(2) - Delaville(le roulx) :Op. Cit, p 279; Hill : A.History of Cyprus t II , p 202

و قد قدم السيد الكبير فولك مبلغ تسعين ألف فلورنتي من أمواله الخاصة، كما أمر بتحويل دخل كاتدرائية نيقوسيا بقبرص، كما أن البابا أمر بتسليم الهيئة مبلغ ستين ألف بيزانت أبيض، كان قد أودعها الداوية أمانة عند أسقف ليماسول المدعو بطرس ديرلانت 'Piero d'Erlante' عام 1308 م (1) .

و حدث أن استخدم السيد الكبير فولك (1307-1315 م) أموال البابا بالإضافة إلى ما قدم له من تبرعات أثناء تجوله في فرنسا و إيطاليا، و ما استطاع جمعه من دخول بيوت الإسبتارية في أوروبا في حملته على رودس، فحدث أن قام بعد توليته حاكما على رودس بالاستحواذ على ثمان جزر كانت تتبع قديما جزيرة رودس، وهي جزر لانجو "Lango" ، نسيروس "Nissyros" ، كالكي "Calk" ، سيمى "Symi" ، كاليمنوس "Calyminos" ، ليروس و بسكوبي "Piscopi" إلى جانب قستيل الروج "Castelloriz" (2) ، كما كسبت الهيئة إرث هيئة الداوية الذي انتقل إليها بموافقة مجمع كنسي عام عقد في مدينة فينا عام 1312، ثم أصدر البابا كليمنت الخامس منشورا بابويا في 2 ماي 1312 م، يقضي بتحويل أملاك الهيئة الملغاة و أموالها إلى هيئة الإسبتارية لتدعيم جهودها في استعادة الأراضي المقدسة ونقل حراسة الحجاج المسيحيين إلى الأماكن المقدسة و العودة إليها (3)

---

(1) - سامي سلطان : نفسه ، ص 115 ؛ و ارجع إلى :
Delaville(le roulx) : Op. Cit. , p 279 .

(2) - سامي سلطان : نفسه ، ص 115 .
و انظر : Mor an ville : Un pelerinage en terre sainte , dans R.H.C. LXVL , 1905 , p 75

(3) - Levis Merepois Phillipe le Bel , pp 226 – 227

و استخدم الإسبتارية ما إستطاعوجمعه من مداخيل بيوث الهيئة في أوروبا فضلا عن القروض التي عقدوها مع جمهورتي فلورنسا و جنوة في شراء كميات وافرة من الدخائر و الخيول و الأسلحة، و تسليح و بناء سبع وخمسين سفينة مختلفة الأنواع و الأحجام(1) كما قام فولك بإصدار أمر لتجهيز خمسمائة فارس إستباري من الفرسان الملتحقين ببيوتهم إستعدادا للسفر معه إلى الشرق من أجل حملة صليبية أذن بها البابا، بقيادة السيد الكبير الهيئة أي فولك دي فيلاريه نفسه ، و سعى من أجل إنجاح الحملة التي أقلعت بالفعل من ميناء برندزي في ربيع عام 1310 م ، فوصلت إلى رودس يوم 20 جويلية 1310 م وعندما أدرك الصليبيون أن حملتهم التي قصد بها أن تكون عامة ، تحولت إلي حملة خاصة(2) بالسيطرة على جزيرة رود س، أسرعوا عائدين إلي بلادهم، على حين استمر فرسان الإسبتارية وحدهم برئاسة فو لك، في حصار حصن مدينة رودس العاصمة إلى أن تسلموها بالأمان في 15 أغسطس عام 1310م كما سبق ذكره (3) .

و بذلك فقدت الدولة البيزنطية جزيرة كبرى من جزرها في البحر المتوسط وعدت رودس حصنا حصينا للإسبتارية(4) .

و الواقع أن الغرب الأوروبي الكاثوليكي هلل لاستيلاء الإسبتارية على رودس و اعتبر ذلك نصرا صليبيا كبيرا في الشرق على حساب البيزنطيين الأرتوذكس.

---

(1) - Amadi , chronique publiée par M. René Maslatrie , p 283

(2) - Flandin (E) : Histoire de Chevaliers de Rhodes , p 90

(3) - سامي سلطان : الإسبتارية في رودس ، ص 110 .

(4) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 1233

و ارجع أيضا إلى : . D.e la ville(le roulx) : Op. Cit , pp 273 – 279

أما الإسبتارية فقد أثبتوا أنهم عند حسن ظن البابوية و الغرب الأوروبي، و المعروف عن النشاط العسكري الذي كانت تقوم به هيئة الإسبتارية، أنه كان يكلف أموالا طائلة ، إلا أن هذا لم يؤثر على قدراتها المالية بسبب الإمكانات المالية المتوفرة لديها، سواء في الأراضي المقدسة سابقا أو في قبرص و رودس ، أو في غرب أوروبا ؛ و هذا بطبيعة الحال راجع إلى الهبات و المنح التي كان يقدمها لها ملوك أوروبا و بيت المقدس و الأساقفة و النبلاء لمساعدتها في تأدية و اجبها المتمثل في إسعاف الحجاج المسيحيين المتوافدين إلى بيت المقدس ، و قد أهلتها هذه المكانة لأن تلعب دورا بارزا في استراتيجية القروض المتداولة في ساحة الشرق الإسلامي.

كذ لك وقد كان دورها منحصرا في مهمتين أساسيتين، أولاهما تتجسد في عملية تقديم ضمانات تسديد القروض بواسطة خزائنها الموجودة بفرنسا ، هذا في حالة عجز المدين عن الدفع ، و ثانيهما تتمثل في إقبال الهيئة نفسها على اقتراض الأ موال من المدن الإيطالية(1) ثم إعادتها إلى أطراف أخرى، على أن تسدد هذه القروض الممنوحة للهيئة في مقرها بباريس.

وثمة ملاحظة هامة تتمثل أساسا في كون هيئة الإسبتارية تمكنت من وضع يدها على الجانب الأكبر من إرث الداوية في أوروبا(2) رغم الصعاب التي تلقتها، هذا ما أدى إلى ازدياد ثروتها ، وقد ترتب أيضا عن ضم أملاك الداوية إلى هيئة الإسبتارية إلى أن تكونت شعبا عن طريق التفرع (3) ، و أول هذه الشعب تولوز التي تأسست

---

(1) - Piquet (J) : Op. Cit. pp 76 – 77 .

(2) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 1233 ؛ أوربا العصور الوسطى ، ج 1 ، ص 283 .

(3) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : نفسه الحركة ، ج 2 ، ص 1234 .

عام 1315 م في الجزء الغربي من الشعبة القديمة سان جيل، كما تأسست في عام 1317م شعبة بزوفانس ، وقد اشتملت هذه الأخرى على الجزء الشرقي من شعبة سان جيل الواقع إلى الشرق من نهر الرون بفرنسا (1) .

فقد استغلت هيئة الإسبتارية قاعدتها في رودس في مواصلة الحرب ضد المسلمين برا و بحرا، لعلى الفرصة تتاح للصليبيين للعودة مرة أحرى إلى الأراضي المقدسة.

وهكذا فقد وجدت هيئة الإسبتارية - برودس في آل لوزجنان بقبرص - سندا قويا لها في سياستها الصليبية تجاه المسلمين، فإن وحدة الهدف الصليبي جعلت آل لوزجنان في قبرص و الإسبتارية في رو دس يعملون ويتعاونون في القرنين الرابع عشر و الخامس عشر ضد المسلمين، سواء كانوا أتراك في آسيا الصغرى أو عرب في مصر والشام(2).

---

(1) - سامي سلطان : نفسه ، ص 105 .

(2) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : نفسه ، ج 2 ، ص 1235 .

الفصل الرابع

الفصل الرابع:

صراع الاسبتارية مع القوى الاسلامية 709-928هـ/1310-1522م

1- علاقة الاسبتارية مع السلاطين المماليك في مصر و الشام

- دور الاسبتارية في الحملة على الاسكندارية 757هـ/1365م
- دور الاسبتارية في الصلح بين الصليبيين و المماليك1370م
- هيئة الاسبتارية وغزو مدن ساحل الشام 806هـ/1430م
- مساهمة هيئة الاسبتارية في مقاومة الحملات المملوكية على جزيرة رودس
- الصلح بين الاسبتارية و الدولة المملوكية1445-1477م

2- علاقة الاسبتارية مع الدولة العثمانية

- دور هيئة الاسبتارية في الاستلاء على مدينة أزمير 1344م
- دور هيئة الاسبتارية في عقد الصلح بين العثمانيين والصليبيين
- موقف هيئة الاسبتارية من تهديدات العثمانيين لأزمير و رودس
- مصير هيئة الاسبتارية بعد استيلاء الدولة العثمانية على القسطنطينية 857هـ/1453م حتى نهايتها برودس 928هـ/1522م

1- علاقة الاسبتارية مع السلاطين المماليك في مصر والشام :

إذا كان المماليك قد نجحوا في طرد الصليبيين نهائيا من الشام ومصر سنة 1291 م، فإن ثلاث بقاع كبرى* ظلت تابعة للصليبيين بالشرق الأدنى وذلك طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر[1] وقد أخذت هذه البقايا على عاتقها مهمة استئناف محاربة المسلمين في جميع المجالات.

فكان أن قامت هيئة الاسبتارية بهذه المهمة إلى جانب باقي الأطراف الصليبية[2].

وإذا كانت هيئة الاسبتارية أكثر تعقلا وحكمة من الداوية** فإنها سرعان ما جعلت تعمل على البحث عن موطن آخر وهو جزيرة رودس، وجعلت المدينة بمينائها الواسع أمنع حصن في شرق البحر المتوسط[3]، آملة في العودة إلى الأراضي المقدسة مستغلة في ذلك اضطراب الأحوال الداخلية لدولة المماليك

---

* - يقصد بالبقاع الكبرى : دولة أرمينيا الصغرى في قليقية ودولة لوزجنان في قبرص ودولة الفرسان الاسبتارية في رودس، وقد تمكن المماليك من مملكة أرمينيا الصغرى عام 1384 كما أخضعوا دولة لوزجنان سنة 1426 م.

(1) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) : نفسه ،ج2، ص 1232 ؛ قبرص والحروب الصليبية ، ص 58.

(2) - Cambridge Medival History, Vol VII, pp 248

** - لقد نقل الداوية نشاطهم إلى أوربا حتى استثار سلوكهم غضب البابا كليمنت الخامس وملك فرنسا فيليب الرابع، فحلت هيئتهم وصودرت أملاكهم سنة 1312

أنظر : MARTIN : THE TRIAL OF THE TEMPLARS, pp 18-24

(3) - Delaville (le roulx) : OP,Cit., pp 273 - 290

في عصر أبناء الناصر محمد وأحفاده[1]، هذا ما جعل تلك الدولة تفقد مكانتها وهيبتها التي كانت قد بلغت أوجها في عهد السلطان ناصر محمد 693 – 748 / 1293 – 1349، ولم يلبث أن استخف الأعداء بدولة المماليك وطمع الطامعون في أراضيها بل تجرأ الصليبيون على غزو مصر ذاتها سنة 767 هـ / 1365 م.

لقد أثبتت هيئة الاسبتارية في كثير من المواقف أنها عند حسن ظن البابوية والغرب الأوربي، كما استغلت قاعدتها الجديدة في رودس في مواصلة الحرب ضد المسلمين برا وبحرا كما رأينا[2]، فقد طالب السيد الكبير للهيئة فولك دي فيلاريه منذ تواجده بالجزيرة، بوجوب توجيه حملة صليبية عامة إلى سواحل مصر والشام، وكان يرى أن سر نجاحها أنه يجب أن تكون مسبوقة بالحرب الاقتصادية[3]

إلا أن العمل الصليبي من أجل إخضاع دولة المماليك واستعادة الأراضي المقدسة قد تعطل إلى أن تولى عرش قبرص في عام 1359 الملك بطرس الأول لوزجنان[4] فقرر أن يستأنف المشروع تحت قيادته حتى اعتبرت سنة ارتقائه إلى العرش أي سنة 1359 بداية لمرحلة جديدة في تاريخ

---

(1) - ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ص 127؛ أبو المحاسن النجوم الزاهرة، ج8، ص 41

(2) - عاشور سعيد عبد الفتاح : قبرص والحركة الصليبية، ص 58، الحركة الصليبية، ج2، ص 1232-1233؛ محمد مصطفى زيادة : المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة رودس ، ص 198

(3) - Cay Jules: Le pape clément VI et ses affaires d'orient(1342-1353) - Paris 1904,P 25

(4) - سامي سلطان : الاسبتارية في رودس، ص 370.

الحروب الصليبية المتأخرة[1].

و قد حدث أن انتقل الملك بطرس الأول لوزجنان إلى رودس بتاريخ 24 فيفري 1362م. للتفاهم مع السيد الكبير لهيئة الاسبتارية وهوروجرديبز (1355-1365) م. في قضية تحضير لحملة صليبية يكون منطلقها جزيرة رودس.

وأخبره بنواياه في السفر إلى أوروبا حتى يطلب الدعم اللازم من البابوية وملوك أوروبا. وسرعان ما انطلقت هيئة الاسبتارية برودس في القيام بالاستعدادات اللازمة من أجل الحملة الصليبية[2]هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد تمكن الملك بطرس الأول لوزجنان من الحصول على المساعدة اللازمة من البابا أربا ن الخامس – خلف البابا إنوسنت السادس 1362 م- بمدينة أفيون و ذلك في 29 مارس 1363 م، استعدادا للقيام بحملة صليبية وما نلاحظه هنا أن هيئة الاسبتارية كانت الأساس في كل عمل صليبي يوجه ضد المسلمين في الشرق .

فمنذ انتقالها الي جزيرة رودس ،دأبت في العمل علي أمل العودة الي الأراضي المقدسة ، فلم تنس تلك المرحلة التي كانت تنعم فيها بالمنطقة بامتيازات و ممتلكات جد واسعة.

فنلاحظ هنا أن هيئة الإسبتارية ركزت علي أن يكون أي عمل يهدف إلى تكوين حملة صليبية لابد أن يكون منطلقها جزيرة رودس ، وبالرغم أن الملك بطرس الأول لوزجنان تمكن من تحضير كل ما يلزم من أجل القيام بحملة الصليبية خاصة

---

[1] - عاشور (عبد الفتاح): قبرص والحروب الصليبية، ص 56 ؛ الحركة الصليبية ج2 ، ص 1232 -1234 ؛ سامي سلطان : نفسه ، ص 370

[2] - أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج 4 ، ص 119 ؛ سامي سلطان: نفسه ، ص 370

وأنـه وجد كل الدعم مـن البابويـة إلا أنـه أدرك أنـه لا يمكـن أن يسـتغني عـن دور الإسبتارية ، فراح الملك يحضر نفسه ويحشد الصليبيين استعدادا للحملة.

فخلاصة القول أن العلاقات بين الاسبتارية في رودس مع المماليك في مصـر والشـام كـانت تتـأرج بيـن التفـاهم قصـد كسـب الوقـت أحيانـا وبيـن العـداوة غالبـا، فلـم تنـس الاسبتارية أبدا الدور العسكري المنوط بها بعد خروج الصلبيين من الشام وانتقالهم إلـى قبرص.

دور هيئة الاسبتارية في الحملة على الإسكندرية 767هـ/1365 م :

توجـه الملـك بطـرس بعـد رحلتـه فـي أوروبـا مباشـرة إلـى رودس فـي شـهر جويليـة 1365 م، على رأس خمس عشرة سفينة بالإضافة إلى ست عشرة سفينة أخرى سبقته إلى مدينة رودس عن طريق جنوة وقبرص(1).

أما البابا أربان، فقد دأب في حث أمراء أوربا على الاشتراك في حملة ولقيت جهوده مساندة قوية مـن المنـدوب البـابوي الجديـد فـي الشـرق – بطـرس سـاليناك دي تومـا البطريرك الأسمى للقسطنطينيـة، فهو رجل قوي الشخصية شديد المعارضـة للمنشـقين والمسلمين، وما اتصف به من التفاني والإخلاص جعله موضع الإحترام، وقد اشترك معه في نشاطه تلميذه فيليب مزيير صديق الملك بطرس الحميم والذي سـبق أن عينـه رئيسـا لديوان الإنشاء في قبرص، غير أن ما بذلاه مـن جـهد لـم يسـتطيع إعـداد القـوة المرجوة(2).

(1) - ستيفن رنسيمان : نفسه ، ص 743 – 744

(2)- Atiya : op. Cit. , pp 341 – 344 .

أما عن هيئة الاسبتارية فقد قدم ريموند بيرنجر - تولى رئاسة الهيئة (1365-1372) م- أربعة أغربة وهي سفن محاربة، ومائة فارس اسبتاري تحت قيادة أمير البحر الاسبتاري فرلينو ديراكسا « Ferlino D. Airascak » واشترك معه من كبار أعضاء هيئة الاسبتارية رئيس شعبة لمبارديا، فضلا عن عدد آخر من كبار شخصيات هيئة الاسبتارية في رودس[1].

وقد كانت المشكلة أمام بطرس لوزجنان بعد أن أجمع قواته في رودس هي اختيار المكان الملائم لطعن المسلمين على حد قولهم وقد أشار عليه بعض خاصته والمقربين منهم بأن يهاجم الإسكندرية في يوم الجمعة والمسلمون في المساجد، وقد صادف هذا الرأي استحسانا من الملك بطرس.

وحدث أن أبحر بطرس على رأس حملته من رودس في 28 سبتمبر 1365 ليصل إلى شاطئ الإسكندرية في 19 أكتوبر من نفس السنة، واعتقد سكان الإسكندرية آنذاك أنه أسطول تجاري كبير وضخم، فخرجوا لعقد الصفقات التجارية ولم يظهر بطرس نواياه إلا في اليوم التالي، حينما دخل الميناء الغربي أي القديم[2] وبدأت عملية إنزال الجند إلى البر عن طريق بحر السلسلة، و نزلت قوات الاسبتارية بقيادة فرلينو ديراسكا إلى البر وقصدت الميناء الجديد الذي لم يكن يؤذن للسفن المسيحية أن تنزل به و كان أن شقت القوات الصليبية طريقها ناحية الميناء القديم

---

(1) ـ سامي سلطان: نفسه ، ص 373 ؛ عاشور عبد الفتاح: الحركة الصليبية ج 2، ص 1232-1234

(2) ـ ابن اياس: بدائع الزهور ، ج1 ، ص 127-128 ؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ، ج 2 ص 41

وباغتت[1] القوات المدافعة، وقد كانت دولة المماليك عندئذ تعاني من عدم الاستقرار بسبب صغر سن السلطان الأشرف زين الدين أبو المعالي شعبان حفيد الناصر محمد وهو طفل في الحادية عشرة من عمره، في حين استبد بأمور البلاد الأمر يلبغا الخاصكي الذي اشتهر بتعسفه وجوره وكبريائه حتى أنه عندما سمع بنية ملك قبرص في مهاجمة الإسكندرية قال "إن القبرصي أقل وأذل من أن يأتي إلى الإسكندرية"[2] إلا أنه حدث ما لم يكن يتوقعه الأمر يلبغا الخاصكي.

فكان أن دخلت القوات الصليبية الإسكندرية صباح الجمعة 767 هـ / 10 أكتوبر 1365 وهاجموها بالرغم مما أظهرته بعض العساكر من البسالة والإقدام في عرقلة تقدم بقية جند الحملة وهكذا سقطت الإسكندرية في قبضة الصليبيين، فقضوا فيها ستة أيام تعتبر من أحلك الأيام في تاريخ الثغر.

ولم يلبث أن انتشر الصليبيون في أنحاء الاسكندرية، فاستولى الذعر أهلها وفروا تاركين "المدينة بما فيها للفرنج[3].

كما قام فرسان هيئة الاسبتارية بمساعدة الملك بطرس لوزجنان في هجومه على الميناء الغربي للمدينة، واستولى عليه، ثم شنوا هجوما آخر على الصور ناحية الميناء

---

(1) - سامي سلطان : نفسه ، ص 372 ، وانظر : Strambaldi OP, cit.,p 66
(2) - النويري: الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية، ج1 ص 515 (مخطوط)، نقلا عن عاشور سعيد عبد الفتاح: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص 221
(3) - المقريزي : السلوك ، ج4 ، ص347 ، مخطوط نقلا عن عاشور (سعيد عبد الفتاح) : نفسه ص 221.

الشرقي[1] فأحرقوا باب الديوان ونفذوا فيه، وقد استطاع بطرس السيطرة على مدينة الإسكندرية بأكملها يوم 11 أكتوبر 1365 م.[2]

وعقدبطرس اجتماع في صباح اليوم الموالي لاستطلاع آراء جيشه بعد النصر خاصة وأن الآراء انقسمت أثناء الغزو واتضح من خلال الاجتماع أن أنصار الانسحاب ما زالوا مصرين على ذلك و على رأسهم الفيكونت دي تورن " Le Viconte de Turenne " قريب البابا كليمنت السادس وناصره الأوربيون أما أمير البحر الإسبتاري فرلينو ديراسكا فقد هدد قائلا : أنه في جميع الأحوال سينسحب مع فرقته[3].

ويرى المؤرخ سامي سلطان في كتابه الاسبتارية في رودس أن أمير البحر الاسبتاري بصفته اسبتاريا رودسيا ، كان لا يحب أن يرى هذا الانتصار على الإسكندرية هدف الحركة الصليبية محقق من طرف آل لوزجنان، وذلك بسبب عامل الحقد و لاعتبار آل لوزجنان المنافسون وحدهم للإسبتارية في رودس بين القوى المسيحية الحاكمة شرق البحر المتوسط في ميدان العمل الصليبي ضد المسلمين، كما كان فرلينو ديراسكا يشك في أن يسمح حكام قبرص للإسبتارية بوضع يدهم على ما يطمعون فيه من أملاك دولة المماليك و خاصة في الشام، واضعا في اعتباره ما لاقاه الاسبتارية من مضايقات

---

(1) - ستيفن رنسيمان : نفسه ، ج3 ، ص 746-748

(2) - D. Le Roulx : Les Hospitaliers à Rhodes, p153

(3) - سامي سلطان : نفسه ، وراجع أيضا: HILL: op.cit, tII, pp331-334

على يد الملك هنري الثاني لوزجنان عندما لجأوا إلى جزيرتهم قبرص بعد سقوط عكا عام 1291 م، وحتى رحيلهم من هذه الجزيرة إلى رودس ابتداء من 1306م[1] .

في حين نر ى أن المؤرخ ديلافيل لرو يتعجب ويستفسر على السبب الذي جعل الآمر الاسبتاري يقرر الانسحاب[2].

وكان أن تلاشت بعدها احتجاجات بطرس والمندوب البابوي في البقاء بمدينة الإسكندرية، ولم يحل يوم الخميس 16 أكتوبر سنة 1365 م، حتى لم يبق بالمدينة سوى عدد قليل من جنود القبارصة، بينما عادت بقية الحملة إلى السفن استعداد للرحيل.

ولما اقتربت جيوش السلطان شعبان إلى ضواحي الإسكندرية بقيادة الأتابك يلبغا العمري الخاصكي، انتقل بطرس إلى سفينته وأصدر الأمر بإخلاء المدينة[3] .

وكان أن بلغت حمولة السفن من الثقل بسبب ما نهبته القوات الصليبية من المدينة، أنه كان لابد من إلقاء مقادير كبيرة من القطع الضخمة من الغنيمة في البحر، وقد ظل الغطاسون المصريون شهورا وهم يستخلصون التحف الثمينة من مياه خليج أبي قبير الضحلة[4] .

(1)- ستيفن رنسيمان : نفسه ، ج3 ، ص 648 ؛ عاشور عبد الفتاح : الحركة الصليبية ، ج 2 ص 223.

(2) - Machaut : OP, cit., PP 100-103, Hill : op, cit, tII, PP 331-334

(3) - عاشور عبد الفتاح : مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص 72

(4) - عاشور عبد الفتاح : نفسه ، ج2، ص1226

ومن الإسكندرية عاد بطرس الأول لوزجنان إلى جزيرة قبرص وفي قبضته خمسة آلاف أسير عدا الأسلاب والغنائم[1].

ويتساءل سعيد عبد الفتاح عاشور في كتابه الحركة الصليبية الجزء الثاني إذا كانت هذه الحملة في صالح العالم المسيحي حتى وإن كان جميع الصليبيين تعلقوا بها مثلما تعلق بها الملك بطرس لأن مصر وقتذاك كانت في سلام مع القوات المسيحية لما يزيد عن نصف قرن، إذ أخذ المماليك يفقدون ما اتصفوا به في وقت سابق من التعصب وتحسنت معاملتهم لرعاياهم المسيحيين.

وقد أضحى الحجاج المسيحيين أحرارا في التوجه إلى الأماكن المقدسة وراجت التجارة بين الشرق والغرب[2]، وأما ما حدث بعد موقعة الإسكندرية فإن كل ما لدى المسلمين من مرارة انبعثت من جديد فلم يستطع المماليك أن يسمحوا لملك قبرص ما حل بالإسكندرية وأخذوا يترقبون الفرصة للانتقام، والواقع أن التفكير في غزو قبرص أصبح جليا بعد موقعة الإسكندرية، فقد قام آمر يلبغا الخاصكي ببناء المراكب والسفن كما أرسل إلى الشام يأمر بتشغيل كل من يعرف مسك المنشار "برسم غزو قبرص" وهذا دليل علي الحقد الدفين الذي أصبح يكنه المسلمون للصليبيين عامة و للإسبتارية علي الخصوص .

كما يمكن إعتبار موقعة الإسكندرية السبب الذي جعل المماليك فيما بعد يفكرون جديا في تأديب الإسبتارية وفي غزو جزيرة رودس.

---

(1) ـ عاشور عبد الفتاح : نفسه، ج2 ، ص 1226

(2) ـ النويري : الإلمام ، ج1 ، ص98-99 ، نقلا عن عاشور عبد الفتاح : نفسه، ج2 ، ص1226

أما من جانب هيئة الاسبتارية، فقد كانت الحملة على الإسكندرية أول معركة يتقابل فيها الاسبتارية بعد سيطرتهم على رودس وجها لوجه مع المماليك[1].

رغم أن الهيئة قد واجهت المماليك ثلاثة مواجهات حربية منذ سقوط عكا عام 1291 فكانت المرة الأولى حين اشتركوا مع القبارصة والداوية في شهر جويلية من عام 1308 م في الإغارة على ساحل مصر الشمالي من الرشيد إلى الإسكندرية، ومدن عكا وأنطرسوس ومرقيه على ساحل الشام، والمرة الثانية حين اشتركوا مع حلفائهم القبارصة والداوية في شهر نوفمبر من نفس العام وكذا في غزو جزيرة أرواد القريبة من ساحل الشام[2].

- دور الاسبتارية في الصلح بين الصليبيين والمماليك عام 1370 م:

وعندما خرج بطرس الأول في عام 1368 إلى أوربا ليقوم بجولة أخرى يدعوا فيها لحرب صليبية جديدة ضد دولة المماليك، لحق به في مدينة نابلي مبعوث دولة البندقية* وأخبره أنه عازم على إرسال سفراء للتشاور مع السلطان المصري شعبان حفيد محمد لناصر في أمر الصلح وإطلاق سراح الأسرى الأوربيين[3]، ولما علم الملك بطرس بأمر توسط جمهورية البندقية و نجاحها في إقناع البابا أربان الخامس، وجد بطرس نفسه مضطرا إلى قبول وساطة سفراء البندقية وجنوة لدى السلطان في7 ماي 1368 م

---

(1) - أنظر : Strambaldi : OP. Cit., p66

(2) - سامي سلطان : نفسه ، ص 373.

* - من أقوى الجمهوريات الإيطالية التجارية، فلقد اهتزت لنبأ إغارة بطرس لوزجنان ملك قبرص على الإسكندرية سنة 1365، وقد أرسلت رسلها إلى السلطان شعبان في أفريل 1366 م، وتؤكد له أن السفن التي أغارت على الإسكندرية لا تمت بالبندقية بصلة، ارجع إلى : عاشور عبد الفتاح: قبرص والحروب الصليبية ، ص71 ، وانظر : HILL: OP, cit, tII, pp355-356

(3) - Heyd : Histoire du commerce du levant, tII, pp 52-55 ; Hill: OP,cit., tII, pp 345-365

وحدث أن تقابل كل من بطرس لوزجنان ودوق البندقية وسفراء جنوة في رودس التي غدت مركز للاتصالات بين الجانبين الصليبي والمملوكي وأخذوا بنصائح الاسبتاري الكبير ريموند بيرنجر فاتجهوا إلى القاهرة[1] وتفاوضوا طويلا مع المماليك هناك وقد كلف السلطان شعبان سفير جنوة بالعودة إلى قبرص لإحضار أسرى الإسكندرية كما أخذ وعدا صريحا من الملك بطرس بترك فكرة الحروب الصليبية، كما طلب منه تصريح بعدم استعداده لحملة جديدة على بلاده، وقد تم ذلك فعلا إضافة إلى أن الملك بطرس قد سلم السفير نحو عشرين أسيرا مسلما، كانوا في قبرص حتى يسلمهم إلى السلطان إلا أن السفير احتفظ لنفسه بالقرار المتمثل في عدم تسليم هؤلاء إلا بعد تسلم التجار الأوربيين المحتجزين، إلا أنّ السلطان شعبان رفض هذا الصلح[2].

و حدث أن اتفقت جمهوريتا جنوه و البندقية على وقف التجارة بينهما و بين مصر، و عقدتا في 28 جويلية عام 1369 م تحالف ضد السلطان شعبان و انضم إليهما كل من قبرص ورودس .

ولما علم السلطان بأمر التحالف خشي من توسيع التحالف ضده، فأطلق من السجن تاجرين أحدهما جنوي والثاني بندقي وبعث بهما إلى ملك قبرص ليعلن له رغبته في الصلح. ففرحت كل من جنوة والبندقية بمبادرة السلطان في الصلح وأرسلتا إلى البابا أربان الخامس ليطلب من قبرص ورودس أن توفدا برسلهما إليه.

و لما استجاب البابا لطلبهما، أعدت كل من جنوة والبندقية و قبرص و رودس سفنها

---

(1) - Heyd: Op. Cit, t. II, p. 56.
Macheras (Leonce) : chronique de chypre, trad. Française par E.Miller C.Sathas, paris 1882 , pp 124-126

(2) - Heyd : op. cit, T II , pp. 56-58

كما عين سفيرا لها ترسله إلى السلطان المملوكي، وقد وصلت السفن الثمانية إلى الإسكندرية يوم 8 أغسطس 1370. وقد رفض سفراء الدول النزول إلى البر قبل إقرار السلم فكان أن تمت الموافقة من الجميع على توقيع شروط الصلح(1).

في حين رحل سفير رودس رفقة سفينة للاسبتارية إلى فاماجوستا ووصل إليها يوم 29 سبتمبر 1370 م. وقام بإعلان نبأ الصلح الذي قام به الملك بطرس الثاني(2)

كما حدث أن أرسل السلطان شعبان صحبة السفراء الباقين سفيرين إلى قبرص، حيث حصلا على تصديق كل من الملك بطرس الثاني والوصي على العرش حنا لوزجنان على شروط الصلح(3)

فالبرغم من أن ملك قبرص الوحيد من بين حكام أوروبا الذين صادقوا على هذا الصلح، إلا أنه شمل جميع الدول المسيحية بما فيها دولة الاسبتارية(4) في رودس وهو أمر نص عليه صراحة في ديباجة معاهدة أخرى عقدت فيما بعد عام 1403 م بين هيئة الاسبتارية في رودس ومصر، وتعتبر تجديدا لمعاهدة عام 1370 بالنسبة للاسبتارية واتسمت العلاقات بين الاسبتارية والممالك حتى عام 1421م بالصلح خاصة وأن المماليك كانوا أيضا يعانون من تهديدات تيمورلينك* التتري الذي كان

---

(1) - أنظر: AMADI : op. Cit., pp 429-430

(2) - سامي سلطان: الاسبتارية في رودس، ص 394

(3) - وارجع إلى: Strambaldi: op.cit., pp 121-122 ; Delaville (le Roulx) : les hospitaliers a Rhodes, pp 162 - 164

(4) - Delaville (le Roulx): op. cit, pp. 164-166

* - ولد تيمور الأعوج في سنة 1336 وهو من أسرة تركية مغولية قرب سمرقند، أضحى سنة 1369م سيدا على جميع البلاد التي كان يحكمها فرع جغتاي من المغول، اشتدت حركته في التوسع في الفترة الواقعة ما بين 1381-1386 م، فقد أغار على بلاد الإيلخانية المغولية في فارس، أنزل الهزيمة بالجيوش المملوكية في حلب ثم في دمشق عام 1401م، عاد بعدها إلى الأناضول عام 1402 م، فقام بالانتصار على السلطان العثماني في أنقرة 1402م، فحدث أن وقع السلطان بايزيد العثماني أسيرا ومات في أسر تيمورلنك بعد بضعة شهور، وفي تلك الأثناء توالت سقوط المدن العثمانية بالأناضول في يدي الغازي، كما طرد فرسان الاسبتارية من أزمير في ديسمبر 1402م ، ارجع إلى ستيفن رنسيمان: الحروب الصليبية، ج3، ص773.

قد استولى عام 1400م على شمال الشام كما وصل حتى مشارف دمشق[1]

هيئة الاسبتارية وغزو مدن ساحل الشام 1403/806م:

حاول السيد الكبير فليبيرت دي نيلاك 1396-1421 القيام بحملة صليبيــة أخرى في شهر جويلية 1403م وذلك بالاشتراك مع بوسيكو حاكم جنوة ، فحدث أن أقلع أسطول الحملة من جزيرة قبرص فــي عـام 1403 م ، و كـانت الحملـة آنـذاك تسـتهدف مدينـة الإسكندرية، إلا أنه نظرا لسوء الأحوال الجوية في ذلك اليوم ، قـرر كـل مـن بوسـيكو و السيد الكبير قليبيرت دينيلاك البدء بغزو مدن الشام الساحلية مـن الشـمال و الجنـوب قبل الوصول إلى الإسكندرية[2] .

وقد اختار الصليبيون مدينة طرابلس وقاموا بمهاجمتها إلا أنهم فشـلوا فكـان أن تقدمـوا إلى مدينـة المطرون ثم توجهوا إلى بيروت فقاموا بنهب هذه المدن. وبعدها تقدم الجيش الصليبي جنوبا حتى وصل مدينة صيدا في 12 أغسطس 1403 وهناك دخلوا في قتال عنيف مع المسلمين المدافعين عليها.

فحدث أن ابتعدت السفن الصليبية بسبب الريـاح متجهـة شـمالا بينمـا القوات الصليبيـة كانت تقصد في اتجاهها الجنوب، هذا ما أدى ببوسيكو إلى العودة إلى فاماجوستا، بينما

---

(1) - ابراهيم على طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسية، ص. 71-88
وأنظر Bocovat : L'Empire Mongol, pp. 58-63

(2) - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص 113 – 114

قرر دي نيلاك العودة إلى رودس وكان ذلك في 17 سبتمبر 1403[1].

وما يلاحظ أن محاولات الاستبتارية بالإشتراك مع بوسيكو لم تحقق مبلغاها على ساحل الشام ضد المماليك الجراكسة مع أنها وقعت في وقت كان فيه سلطان هذه الدولة فرج بن برقوق 803 ه /815 هـ/ 1400م / 1417م يعاني من الفتنة والإقتسام بين أمرائه ومن سوء الأحوال الاقتصادية وارتفاع الأسعار وانخفاض قيمة العملة ومن غزوات التتار على بلاده[2].

كل هذا جعل من السلطان فرج بن برقوق يبادر بمواصلة ما انقطع من مفاوضات للصلح بينه وبين الاسبتارية[3]، وتوصل إلى عقد معاهدة صلح و تجارة مع السيد الكبير دي نيلاك في 27 أكتوبر عام 1403م بدأت شروطها بالنص على دوام السلم المنصوص عليه في معاهدة عام 1370م.

وقد نصت المعاهدة كذلك على أحقية الصليبيين في التنقل بالأراضي الإسلامية وفي السفر إليها شريطة أن يكون هؤلاء حاملين لشهادات تدل على شخصياتهم من السيد الكبير للهيئة أو من نائبه[4].

---

(1) - De la Roncière : Histoire de la marine franc, vol. II, p. 132 ; Delaville le Roulx : les hospitaliers à Rhodes, p. 297

(2) - ابن إياس: بدائع الزهور، ج 1، ص. 353-355

(3) - أنظر : Depping : Histoire du commerce, t. II, pp. 128-130 ; Weit : L'Egypte *musulmane dans précis de l'histoire de l'Egypte, t* II pp. 260- 261

(4) - Golubovich op. cit IV; p. 17 n°3 نقلا عن سامي سلطان .

ونصت المعاهدة أيضا عن أن يكون من حق الاسبتارية الإشراف على مستشفى بيت المقدس لغرض إيواء وخدمة الحجاج المسيحيين إلى المدينة المقدسة بحيث لا يدفع الاسبتارية عن هذا المستشفى إيجارا أو رسوما، ويكون لمديره الحق في إقامة ما يراه ضروريا من أجل إعطاء الحجاج ضيافة كاملة وخدمة أفضل[1]، كما أضافة المعاهدة حق الاسبتارية في صيانة كنيسة القيامة بمدينة بيت المقدس وكنائس بيت لحم والناصرة وجميع الكنائس الأخرى التي يزورها الحجاج وذلك منعا لها من السقوط والدمار مع العلم أن الفارس الاسبتاري ريموند دي لسكير مقدم شعبة تولوز هو الذي لعب دور في إقناع السلطان فرج بالتصديق على شروط المعاهدة.

مساهمة هيئة الاسبتارية في رد الحملات المملوكية على جزيرة رودس أعوام 1440-1443-1444م:

قام السيد الكبير لهيئة الاسبتارية في رودس - و هو حنا لاستيك- عام 1439 م بإرسال ابن أخيه، وليم لاستيك ومعه سفينتان إلى مصر للوقوف على ما يجري فيها من استعدادات من أجل غزو رودس، ولم يلبث المبعوث أن رجع إلى رودس، وأخبر بأنه رأى هذه الاستعدادات[2] ، و كان أن أخذ حنا لاستيك على الفور يحصن جزيرته ويستعد بالقوات البحرية والبرية اللازمة لحمايتها ، وإلى هذه الاستعدادات يرجع السبب في فشل جقمق – كان أتابك العساكر في الدولة المملوكية بمصر ووصي ابن الملك برسباي وهو يوسف وقد اغتصب منه عام 1438 م كرسي السلطنة وأصبح يعرف باسم الظاهر أي سعيد جقمق 842-857هـ / 1438-1453 م في إخضاع

---

(1) - D. le Roulx : op.cit., pp 290-292 ; Depping: op.cit., t. II, pp. 128-130

(2) - Delaville (le roulx) : op.cit., pp 290 – 296 .

وانظر: Pauli : op. cit., t II, pp. 126-127 ، نقلا عن سامي سلطان : نفسه ، ص 398 .

رودس وجعلها تابعة لسلطنة المماليك في مصر تبعية كاملة مثلما حدث بجزيرة قبرص 829هـ / 1426 م ؛ وكانت الحملات التي أرسلها جقمق ضد رودس ثلاث سنوات 844-847-848 هـ/ 1440-1443-1444 م، و بعد أن فشلت الحملتان الأولى والثانية في تحقيق هدف واضح تحرك جقمق بحملة ثالثة[1] إلى رودس من ميناء الإسكندرية، وقد وقعت معارك عنيفة بين جيوش الممالك والاسبتارية وانتهت برفع الجيش المملوكي الحصار عنهم بعد أن يئس من إحراز النصر فيها، ونتج عن هذه الحملة خسائر جمّة، حيث قدرت ب أكثر من ثلاثمائة قتيل وما يزيد عن خمسمائة جريح من الطرفين[2].

وأصدر البابا يوجين الرابع في 28 ديسمبر عام 1444م منشورا بابويا أشاد فيه ببسالة الاسبتارية في الدفاع عن جزيرة رودس، كما حث ملوك أوروبا على مساعدة الاسبتارية لأن سقوط رودس في رأيه بيد المسلمين، قد يمكنهم غزو مراكز المسيحية في إيطاليا.

وقد ختم منشوره بأن أعلن عزمه على إرسال أسطول إلى جزيرة رودس يتم إعداده على حساب البابوية.

وتجدر الإشارة هنا أيضا أن ملوك وأمراء أوروبا كانوا منشغلين بمنازعاتهم الداخلية إلى جانب ضعف الروح الصليبية فيهم وهوما أدى إلى عدم استجاباتهم لطلبات البابا

---

(1) ـ السخاوي: التبر المسبوك، ص 88 ؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج 7، ص 132-133 ؛ عاشور(سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج2، ص 1236.

(2) – السخاوي : نفسه ، ص 89 .

وقد اقتنع هذا الأخير بذلك مما أدى به إلى نصح الاسبتارية حيث أكد عليها أنه يجب أن تعتمد على نفسها في حروبها مع مصر[1]

كما إقتنعت هيئة الإسبتارية بأنها ملزمة علي الإعتماد على نفسها في محاربة المسلمين عامة و المماليك علي الخصوص، خاصة إذا أرادت أن تحافظ علي وجودها وبقائها في رودس وقد إقتنعت الإسبتارية كذلك باستحالة وصول الإمدادات لها من خارج بيوتها في أوربا ،خاصة بعدما عرفته هذه الدول في هذه الفترة من تناحر وصراع فيما بينها ، ما جعلها تفكر في طرق أخري تضمن وضع حد لتحرشات المماليك ، فنري ذلك الصلح الذي ساد بين الإسبتارية و المماليك، قد أصبح يميز طابع العلاقات بين الإسبتارية و المماليك لهذه الفترة.

الصلح بين الاسبتارية في رودس والدولة المملوكية عام 1445 و1477م

إذا كانت الحملتان الأولتان لم تحرزا سوى نجاحا جزئيا، فإن الحملة الأخيرة نجحت في تحقيق انتصارات هامة[2]، وقد اقتنع السيد الكبير حنا لاستيك بأن الحل من أجل إيقاف محاولات الممالك، يكمن في طلب المفاوضة مع السلطان جقمق ولجأ في ذلك إلى وساطة التاجر الفرنسي باك كير « JacquesCœur » وتم له ذلك فعلا وعقد الصلح معه، في عام 1445م كما أن السلطان المملوكي الأشرف قايتباي (1468-1496) قد استجاب لخلفه دوسيون "1476-1563" فقام بإرسال قاصد مملوكي في عام 1477 م من أجل عقد معاهدة معه و تم ذلك فعلا و تقرر فيها حرية التنقل للتجار بين الطرفين، كما سمح

---

(1) - Vertot: op. Cit., tII, p 425-426 ; Flandin, op.cit., pp 199-200
(2) - عاشور(سعيد عبد الفتاح): الحركة الصليبية ، ج 2، ص 1236

للاسبتارية بالاحتفاظ بقنصلها في مصر، ووافق السلطان على ألا يؤخذ على بضائع الاسبتارية في موانئ دولته سوى الرسوم الجمركية المعتادة[1]، ولعل السبب الذي جعل الاسبتارية يقتنعون بوجوب تحسين علاقاتهم مع مصر، هم تهديد السلطان العثماني محمد الثاني (1451-1481م) بفتح جزيرتهم[2].

ولم تكتف الاسبتارية بالإغارة على سفن المسلمين كما حدث سنة 1505 و1510 م[3] وقد كانت دولة المماليك آنذاك لا تستطيع أن تدافع عن نفسها بسبب فقدانها مكانتها التجارية باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، وكذا بسبب الخطر العثماني عليها فلم يلبث أن انشغل كل من الطرفين الاسبتاري و المملوكي بالتهديد العثماني لبلاده إلى أن دخل السلطان العثماني سليم الأول القاهرة عام 1517 م، و بعدها جزيرة رودس كما سنرى ذلك عام 1522 م[4]

ب) العلاقات بين الاسبتارية والأتراك السلاجقة*:

أولى ما وقع من أحداث في الصراع الذي دار بين الاسبتارية في رودس والأتراك السلاجقة في آسيا الصغرى أن حاكم إمارة منتيشه Menteché (1300-1426) ومؤسسها منتيشه بك بن بها الدين الكردي، قام بأسر مائتين وخمسين تاجر رودسيا عام 1311م، كان قد وجدهم في موانئ إمارته وكان آنذاك يسعى إلى توسيع إمارته

---

(1) - سامي سلطان: الاسبتارية في رودس 425

(2) - ابراهيم على طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص 126-134 ؛ سامي سلطان: نفسه، ص 439-443
وانظر : Flaudin : op. cit., p. 237

(3) - ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 4 ، ص 191-209

(4) - سامي سلطان: الاسبتارية في رودس، ص 451 ؛ إبراهيم طرخان: مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص 107-114 ؛ عاشور عبد الفتاح: الحركة الصليبية، ج2، ص 1236

* - قامت إمارات الأتراك السلاجقة على إنقاض سلطنة قونية على الساحل الغربي لآسيا الصغرى وهي إمارة منتيشه (1300- 1426)، وإمارة أيدين « Aidin »(1302 —1390) وإمارة صاروخان (1302-1390) .

واستيلائه على جزيرة رودس، وقد تمكن بفضل مساعدة السفن الجنوبية له من أن يسيطر على مياه بحر إيجه.

وفي سنة 1312 م وصل إلى جزيرة رودس أسطول تركي مؤلف من عشرين سفينة لغزوها، وقد انتهت المعركة بمصرع وأسر جميع أفراد القوة التركية البالغ عددها ثمانمائة جندي في حين خسر الاسبتارية سبعة وخمسين فارسا وثلاثمائة من الجند المشاة[1].

وليس من شك أن السبب الرئيسي الذي شجع الاسبتارية على غزو أكبر جزيرة في بحر إيجه وهي جزيرة لانجو سنة 1314 م، وضمها إلى دولتهم هو الانتصار على القوة البحرية للأتراك السلاجقة، وما تجدر الإشارة إليه أيضا أن الغرب لم يكف عن مساندة الاسبتارية في كل عمل صليبي موجه ضد المسلمين، فسرعان ما تكون تحالف من الدول المسيحية سنة 1332 وهو مكون من البندقية وبيزنطة ورودس[2]، واتفق المتحالفون على أن يتولى بندقي قيادة أسطول هذا التحالف للقيام بحملة صليبية ضد العثمانيين إلا أن هذا الاتفاق لم يوضع موضع التنفيذ، بحيث عقدت اتفاقية أخرى في 8 مارس 1334 بمدينة أفنيون الفرنسية بين ممثلي الدول المتحالفة سابقا إلى جانب فرنسا والبابا حنا الثاني والعشرين نتيجة مسعى جديد يهدف إلى تدمير القوات التركية فحدث أن اشتبك في شهر سبتمبر 1334 أسطول الحملة مع مائتي سفينة تركية في الشمال الغربي من آسيا الصغرى[3].

---

(1) - سامي سلطان : نفسه ، ص456

(2) - سامي سلطان : نفسه ، ص 458 ، و انظر :

Gay : Le pape clément VI et les affaires d'orient (1342-1352), pp 22-23

(3) – سامي سلطان : نفسه ، ص 558 .

بينما كان أسطول الحملة متواجدا في جزيرة نجريونب البندقية الواقعة بقرب جزيرة رودس، وكان أن انتهت الحملة بتدمير نصف سفن الأسطول التركي(1).

فسرعان ما بدأت فكرة الملك الفرنسي فيليب الرابع الملقب بالوسيم (1285-1314) في قيامه بحملة ضد الدولة العثمانية تجد إقبالا من طرف الفرنسيين فانطلقوا في الاستعداد لشن الحملة بعدما رأوه من انتصار الصليبيين عام 1334. إلا أن البابا بندكت الثاني عشر (1334-1342م) حذر الملك الفرنسي آنذاك فيليب الرابع دي فالوا في 13 مارس 1336 من القيام بحملة صليبية لما رآه من تدهور الأوضاع في أوربا خاصة بعد تأهب بريطانيا لغزو فرنسا، كما طلب البابا بوقف الاستعدادات للحرب لأنه كان يرى أن الوقت غير مناسب (2).

مساهمة الاسبتارية في الاستيلاء على مدينة أزمير* :

بادر البنادقة وفرسان الاسبتارية في رودس باتخاذ إجراء مناهض ضد عمر أمير أيدين الذي كان يستحوذ على مدينة أزمير، فراحوا يؤلفون تحالف ممتثلين لأوامر البابا كليمنت السادس الذي أصدر في 8 أغسطس 1343 قرارا بتأليف تحالف دول مسيحية بحرية ضد العثمانيين فكان أن حث الاسبتارية على وجوب الاشتراك فيها بست سفن كما قدم كل من البابا و ملك قبرص أربع سفن، وتولى قيادة

---

(1) - عاشور (عبد الفتاح) : قبرص و الحروب الصليبية، ص 136، و ارجع إلى :
Delaville (le roulx) : Les Hospitaliers a Rhoudes, pp 89-90 ;
Atiya: The crusade in the later midle ages; pp 112-113

(2) - سامي سلطان نفسه، ص 461، و انظر: Delaville (le roulx) : op.cit., pp 90-91 .

* - أهم مدن تركيا تشتهر بمنائها الواسع، و تعتبر طريق تجارة آسيا الصغرى كلها، ارجع إلى دائرة المعارف الإسلامية، محمد الأفندي المجلد الثاني، ص 46 .
و انظر : Petit Robert: t 2 , p

الأسطول هنري داستي Henri d'Asli بطريرك القسطنطينية و سلمه البابا أوامر شديدة كأن لا يسمح لقوات الحملة بأن تخرج عن أهدافها الأصيلة المقررة، وهي تدمير قوة أمير أيدين التركي عمر بك وطرد العثمانيين من اليونان والدفاع عن أرمينيا، و فعلا فقد تعرض أمير أيدين التركي للهزيمة فسقطت مدينة أزمير بأيدي القوات المتحالفة في 24 أكتوبر 1343 م[1].

دور هيئة الاسبتارية في عقد الصلح بين العثمانيين والصليبيين:

لقد دارت مفاوضات بين الصليبيين و العثمانيين، وقد مثل فيها الجانب الصليبي كل من الفارس الاسبتاري دار جونيت دي جاوييز « Darjonet de joyeuse » نائبا عن السيد الكبير دي جوزون (1346-1353) وباتريس دي تومارس[2] نائبا عن وكيل النائب البابوي على حين مثل الجانب العثماني كل من عمر بك أمير أيدين وابن أخيه خضر بك حاكم مدينة أياسلوق، ونتيجة للاتصالات التي أجراها البابا كليمنت السادس مع أعضاء التحالف، انتهت بعقد اتفاقية في 11 أغسطس 1350م نصت صراحة على أن التحالف لا يقدر على الالتزام بدفع ربع تكاليف مستعمرة أزمير وبالتالي فضلوا الصلح مع العثمانيين.

ومهما يكن من أمر فإنه في عام 1362 م انتهى أمد آخر اتفاقية عقدت بين الطرفين[3]. وكان بعدها أن صار العثمانيون القوة الإسلامية الكبرى في آسيا الصغرى وذلك في أواخر القرن الرابع عشر، فإن ذلك جعل حركتهم التوسعية على حساب الدولة البيزنطية وغيرها من القوى المسيحية في شرق أوربا تبدو في نظر الأوربيين

---

(1) - Atiya : op.cit., p 293 ; Cay (jules) : op.cit., p 39 .

(2) - سامي سلطان : الاسبتارية في رودس ، ص 474 .

(3) - سامي سلطان : نفسه ، ص 459-460 ؛ ستيفن رنيسمان : نفسه ، ص 744-753 .

المعاصرين ذات مسحة دينية خطيرة، فإن الرأي الغالب في التاريخ هو اعتبار الحملات التي أعدها الأوربيون في القرنين الرابع عشر والخامس عشر لوقف التوسع العثماني في شرق أوربا، حملات صليبية قام بها الأوربيون لحماية شرق أوربا من حركة التوسع الإسلامية التي قام بها العثمانيون على حساب الشعوب المسيحية[1].

- موقف هيئة الاسبتارية من تهديد السلطان العثماني مراد الأول لرودس وأزمير : (1390 – 1374)

لقد حدث أن توفي السيد الكبير ريموند بيرنجر الذي كان قائما بالحكم، وقد خلفه روبرت دي جويلي الذي كان في فرنسا بباريس فكان أن انتقل إلى أفنيون ليطلب من البابا إصدار له قرار الحق في السفر إلى مقر عمله برودس، فانتهز البابا جريجوري الحادي عشر الفرصة فطلب من الرئيس الاسبتاري أن تتولى هيئة الاسبتارية منذ تلك الآونة مسؤولية الدفاع عن حصن أزمير[2]

والحقيقة أن الإسبتارية لم تكن مرتاحة لهذا الطلب لكونها كانت ترى أن حماية حصن مثل حصن أزمير يتطلب منها الكثير، وذلك بسبب بعد أزمير عن رودس ، وكذلك لكثرةالمناوشات الإسلامية خاصة العثمانية لهذا الحصن،الا أنها في الآخير وجدت نفسهاملزمة علي حماية مدينة أزمير.

والصرف عليها من مواردها الخاصة، فكان أن أصدر البابا في ثهر سبتمبر 1374 م منشورا بابويا هدد فيه الاسبتارية بعقوبة الحرمان في حالة رفضها لحماية مدينة أزمير ، كما ذكر البابا في المنشور أنه سيساهم في نفقات المدينة لمدة خمس سنوات.

---

(1) - عاشور عبد الفتاح : الحركة الصليبية، ج2، ص 1252.

(2) - Delaville (Le roulx): op.cit., pp 76-133 et 183

كما قرر المؤتمر الاسبتاري المنعقد في مدينة أفنيون الفرنسية في 20 أكتوبر 1374 م الموافقة على أن تتحمل الهيئة مسؤولية القيام بحملة صليبية ضد العثمانيين[1]، وكانت الاستعدادات تتم في مدينة نابلي مركز تجمع الحملة، ورغم وصول القائد الاسبتاري هيريديا ليشرف على قيام الحملة وذلك عام 1375؛ إلا أنّ قلة الروح الصليبية في تلك الفترة وكذا انشغال الدول الأوربية بأوضاعها الداخلية حال دون القيام بالحملة ضد العثمانيين في بلاد اليونان[2].

وقد أدركت بعدها الاسبتارية بأن أي عمل ستقوم به من أجل محاربة العثمانيين لن يكون له أي نتيجة بسبب ما حدث في الغرب من حركة الانشقاق الديني*، وحدث أن استدعي هيريديا السيد الكبير للهيئة إلى رودس في 8 سبتمبر عام 1381 القائد العام لمستعمرة أزمير، يعقوب دي ليوني، وتفاهم معه فيما يجب اتخاذه من إجراءات عاجلة لمواجهة أي تحرك من الطرف العثماني وبالخصوص على أزمير ورودس[3].

وتجدر الإشارة هنا الي أن هيئة الإسبتارية كثيرا ما تتحرك وتقرر في المسائل المصيرية، فبعد أن شاهدت تأزم الكنيسة بانقسامها إقتنعت بضرورة تحملها مسؤولية الدفاع على المسيحيين خاصة في أزمير و رودس.

---

(1) - أنظر : Delaville (Le roulx): op.cit., pp 145-175

(2) - سامي سلطان : الاسبتارية في رودس، ص 479 ، وانظر :
Delaville (Le roulx): *op.cit., p 210.*

* - فجدير بالذكر أنه بعد وفاة البابا جريجوري الحادي عشر في 27 مارس 1378 ، عرف الغرب الأوربي ما يسمى بحركة الانشقاق العظيم في الكنيسة الكاثوليكية لخلافة جريجوري الحادي عشر، أحدهما إيطالي اسمه أوربا السادس انتخب في 7 أبريل 1378 م ، و الآخر كليمنت السابع الذي اتخذ من مدينة أفنيون مقرا له .

(3) - Delaville (Le roulx) : op.cit., pp 133 et 183

ولكن هيريديا لم يستطع الوصول إلى أية نتيجة ذلك أن الموالين للاسبتارية في الدول الموالية لبابا روما، وهو أوربان السادس وهي إيطاليا، ألمانيا إنجلترا والبرتغال كانت منشقة على رئاسة هيريديا وتدين بالولاء لسيد الكبير آخر اسمه ريتشارد كاراتشولو « Richard Caracciolo » أبت أن تقدم أية مساعدة لما كان يطمح إليها هيريديا، وحتى المؤيدين له فقد كانوا عاجزين على تلبية رغبات رئيسهم بسبب الفوضى الإدارية والمالية التي كانوا يعانون منها[1].

وحدث أن استولى السلطان العثماني بايزيد الأول عام 1390 م على إمارة أيدين التركية السلجوقية التي تقع فيها مدينة أزمير الخاضعة للاسبتارية في رودس[2]، أما عن موقف الاسبتارية فقد كانت يتمثل في طلب مساعدات لها من البابا وأساقفة الكنيسة الكاثوليكية الموالين له، فكان أن بدؤوا في جمع التبرعات من الناس في دوائرهم الدينية لغرض المساعدة في تقوية حصن أزمير، وكذا ممتلكات الاسبتارية في رودس.

- مصير الاسبتارية في رودس بعد فقدانها لأزمير واستيلاء الدولة العثمانية على القسطنطينية:

لقد تمكن تيمورلنك من انتزاع مدينة أزمير من الاسبتارية[3] في مطلع القرن الخامس عشر، كما نجح في إنزال ضربة قاضية بالعثمانيين في موقعة أنقرة 1402 م، ومن ثم غدت آسيا الصغرى كلها تحت سيطرة جيوشه ولم يستطع فرسان الاسبتارية رغم ما أبدوه من شجاعة في الصمود أمام التتار، وليس من شك أن ضياع مدينة أزمير

---

(1) - Delaville (Le roulx): op.cit, pp 226-227

(2) - Gibbons: The Foundation of the ottman empire, pp 185-283 ; Delaville (Le roulx): op.cit., pp 76-133-183

(3) - ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج3، ص773 ؛ عاشور عبد الفتاح : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص 366 – 367 ؛ عاشور عبد الفتاح: نفسه ، ج 2 ص 1252.

وحصنها من أيدي الاسبتارية قد هيأ لهم فرصة العيش بسلام مع جيرانهم العثمانيين، كما أزاح عنهم مهمة وعبء النفقات العسكرية والإدارية التي كانوا يتحملونها في سبيل الاحتفاظ بها[1].

ويشير الدكتور سامي سلطان في كتابه الاسبتارية في رودس إلى أهمية حصن أزمير الاسبتاري كونه يتميز بقاعدة عسكرية أمامية للاسبتارية ، وكونه أقرب الحصون من عاصمة أعدائهم العثمانيين، كما كان أكثر فائدة لإيواء السفن الاسبتارية التي كانت تطاردها سفن العثمانين وسفن القراصنة المسيحيين في عرض البحر بعيدا عن رودس رغم نفقاته الكبيرة.

وقد حدث أن توفي السلطان بايزيد الأول في أسره[2] في 9 مارس 1403م، ودع ابنه سليمان بنفسه سلطان على الدولة العثمانية باسم سليمان الأول، ولم يلبث أن عقد مع الاسبتارية في رودس وجمهوريتي البندقية وجنوة والإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني يا ليولوجس معاهدة صداقة وتجارة، وكانت هذه المعاهدة ترمي إلى قيام تحالف بري وبحري بين أولئك الأطراف المسيحيين والسلطان سليمان الأول ضد يتمورلنك[3].

وقد بنت الاسبتارية سياستها على أساسا أن الخطر العثماني لا يزال قائما بالإضافة إلى عودة الخطر السلجوقي واحتمال عودة التتار، فراحت تحاول التحالف مع القوات

---

(1) - Delaville (Le roulx): op.cit., p 290

(2) - ستيفن رنسيمان: نفسه ، ج 3 ، ص 773.

(3) - سامي سلطان: نفسه ، ص 513-515 ، وارجع إلى : Delaville (Le roulx) : op. cit., pp. 302-303 ; Hill : op. cit., t II, p. 46, n° 2

المسيحية لسد هذا الخطر إلا أنها أخفقت في ذلك، لاقتناع القوى المسيحية وقتذاك بأن الخطر الرئيسي الذي تخشاه وهو الدولة العثمانية قد زال بسبب إنهيار تلك الدولة أمام التتار عام 1402م، وبسبب انشغال أولاد بايزيد الأول في حرب الوراثة التي نشبت بينهم منذ وفاة والدهم في عام 1403م حول منصب السلطنة الذي رفضوا أن يعترفوا به للأخيهم الأكبر سليمان.

وقد حدث أن تولى حكم الدولة العثمانية موسى بن بايزيد الذي أعلن نفسه سلطانا على الدولة العثمانية بعد أن نجح في التخلص من أخويه سليمان وعيسى ولم يبق منافسا سوى أخيه الأصغر محمد وكان ذلك في فبراير من عام 1413م، وحدث أن انهزم موسى بن بايزيد في نفس السنة التي تولى فيها الحكم أمام أخيه محمد الذي أصبح منذ ذلك الحين سلطانا بلا منافس على جميع أقاليم الدولة العثمانية الأسيوية والأوروبية وعرف باسم السلطان محمد الأول(1)

وقد دام السلم بين الاسبتارية في رودس والعثمانيين في عهد ذلك السلطان الذي أقام سياسته الخارجية على قاعدة السلم مع جيرانه المسيحيين ليتفرغ لتوطيد دعائم دولته من جديد، فقد استمرت العلاقات الطيبة بين الطرفين الاسبتاري والعثماني إلى أن توفى ذلك السلطان عام 1421م.

ولم يلبث خلفه مراد الثاني (1421- 1451م) أن عقد الصلح مع الاسبتارية عام 1425م كما طالب الاسبتارية منه تجديد الصلح عام 1438م لأنهم كانوا يتوقعون قيام

---

(1) سامي سلطان: نفسه، ص 515 ، وارجع الى : Delaville (Le roulx): op. cit.,p. 328

السلطان المملوكي جقمق بمحاولة لغزو جزيرتهم، فكان أن استجاب السلطان العثماني لمطالب الاسبتارية عام 1449م[1].

وقد أرسل السيد الكبير لهيئة الاسبتارية حنا لاستيك إلى السلطان العثماني سفارة تهنئة بالمنصب الجديد وتطلب منه تجديد الصلح[2] ، وكان أن رد عليه السلطان بالقبول[3] إلا أن فترة السلم التي سادت الطرفين سرعان ما انقضت وانتهت بسبب إستيلاء السلطان العثماني محمد الثاني على مدينة القسطنطينية في سنة 1453م، وكان أن أحسن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر (1449-1453)م بخطورة الاستعدادات التي يبذلها العثمانيون على مدينته فحاول أن يلفت أنظار الغرب ويوضح للبابوية وملوك الغرب أهمية القسطنطينية و عاقبة استيلاء المسلمين عليها لكن تيار النهضة الأوربية أخذ يستأثر انتباه الأوربيين جميعا حتى البابوات ورجال الدين وهكذا فقد سقطت القسطنطنية في أيدي العثمانيين، وتحولت كنيسة أيا صوفيا إلى جامع كبير نقشت على جدرانه آيات قرآنية وأسماء الخلفاء الراشدين، وكان ذلك إنذارا بسقوط رودس الاسبتارية[4]

فكان أن أصبحت العلاقات بين الاسبتارية والعثمانيين تتسم بالحرب والتهديد غالبا وبالاستعداد المتواصل لمواجهة ذلك الخطر أو إحباط أي هجوم من جانب الاسبتارية.

---

(1) - عاشور(عبدالفتاح) : مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك ، ص 361 ؛ و انظر :
Vertot : op. Cit., pp. 439-440

(2) - Runciman : op.cit., p. 60

(3) - أنظر: Delaville (Le roulx) : op. cit., pp. 328-329

(4) - ابن خردادبة: المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور محمد مخزوم ، ص 97 ؛
عاشور عبد الفتاح: نفسه ، ج2 ، ص 1253.

وما يدل على السياسة العدوانية للسلطان محمد الثاني تجاه الاسبتارية في رودس أنه أرسل -أي السلطان- إلى سيدهم الكبير حنا لاستيك سنة 1453م ، يطلب منه دفع الجزية والتي قدرها بألف دوكات[1].

ورغم علم السيد الكبير أن الكثير من الجزر مثل خيوس وأميروس وقوى مسيحية أخرى واقعة على حدود الدولة العثمانية وافقت في أن تدفع الجزية إلا أنه تشدد ورفض ذلك كما راح يطلب المساعدة من البابوية وملوك أوروبا للدفاع عن جزيرته[2] إلا أن حنا لاستيك توفي في عام 1454م وعين مكانه يعقوب دي مللي خلفا له، وكان هذا الأخير متساهلا حيث أنه أبدى استعداده بأن يرسل في كل عام سفارة محملة بالهدايا بدلا من الجزية، وقابل السلطان ذلك بالرفض.

والواقع أن الاسبتارية نعموا بالسلم مع السلطان محمد الثاني طوال عهد السيد الكبير زاكوستا الذي توفي عام 1467م.

وبعدها تعرضت رودس الاسبتارية لحصار فاشل حول العاصمة عام 1480م، وبقيت رودس مستهدفة إلى غاية نهاية الاسبتارية عام 1522م[3].

وجدير بالذكر أن حدثت عدة مناوشات بين الطرفين في فترة ما بين 1480 - 1522 م، إلى غاية أن قدر للسلطان العثماني سليمان الثاني[4] خلف ولده سليمان الأول

---

(1) - سامي سلطان: نفسه ، ص 518 ، وانظر: Vertot : op. cit., pp. 439-440

(2) - سامي سلطان: نفسه ، ص 518.

(3) - عاشور عبد الفتاح : نفسه ، ج 2 ، ص 1236 ؛ Delaville (Le roulx) : op.cit., pp. 287-288

(4) - ابن اياس: بدائع الزهور، ج 4 ، ص 234

الذي توفي 986 هـ/ 1520 م، بحيث كان يرى أن لرودس أهمية في تعزيز لقوته البحرية ولتسهيل المواصلات بين الشام وعاصمته عن طريق رودس، ولعلى ما حفز السلطان العثماني على المضي في مشروع فتح رودس، انشغال البابوية والحكام الأوروبيين بمشاكلهم الخاصة حيث انشغل البابا ليو العاشر بمواجهة حركة تمرد الراهب مارتن لوثر عليه في ألمانيا أما ملك فرنسا الأول وإمبراطور ألمانيا شارل الخامس فقد كانا منشغلين بالصراع على بسط السيادة على إيطاليا.

لهذا ضمن السلطان العثماني عدم إرسال مساعدة للاسبتارية من جانب هذه الأطراف.

إلى جانب عوامل أخرى أساسها أن جاسوس يهودي وهو عضو خائن في مجلس الاسبتارية برودس[1]، قدم للسلطان معلومات دقيقة عن نقاط الضعف في تحصينات رودس إلى جانب نقص التموين بها.

كما يشير المؤرخ ابن إياس في كتابه بدائع الزهور، الجزء الرابع عن تحضيرات السلطان العثماني سليم الثاني لفتح رودس قائلا أن السلطان سليمان بن عثمان جهز خمسمائة مركب وشحنها بالسلاح والمقاتلين وخرج بنفسه إلى قتال أهل رودس[2]

فكان أن أقلع أسطول الحملة من اسطنبول في 18 يونيو عام 1522م ، و وصل إلى جزيرة رودس في 24 يونيو من نفس العام، وقام بمحاصرتها إلى أن تم لها الاستسلام في 29 ديسمبر من عام 1522، وذلك وفق اتفاقية تقضي عدم المساس بالكنائس والحظائر الدينية المسيحية، وكفالة حرية العبادة للأهالي الجزيرة كل حسب مذهبه الديني وتأمين هؤلاء الأهالي على أرواحهم وأموالهم، وكذا إعفائهم من دفع الضرائب

---

(1) - سامي سلطان : نفسه ، ص 574 .

(2) - ابن إياس: نفسه ، ج 4 ، ص 293 ؛ سامي سلطان ، نفسه ، ص 582 .

لمدة خمس سنوات، وكذا من الجزية التي يفرضها السلطان عادة على المسيحيين، كما تقضى الإتفاقية على وجوب تقديم سكان الجزيرة أولادهم للسلطان ليقوم بتربيتهم وإعدادهم ليصبحوا جنودا في فرقة الإنكشارية[1]، ونصت الاتفاقية أيضا على أن يتم جلاء الاسبتارية عن الجزيرة خلال مهلة قدرها اثني عشر يوما وهكذا غادر السيد الكبير دي ليل آدم رودس متوجها إلى جزيرة كريت في منتصف الليل من 13 صفر 929هـ/ 1 يناير 1523 مع سائر فرسان الإسبتارية ونحو خمسة آلاف من أهل جزيرة رودس[2] .

وهكذا فقد استطاعت الدولة العثمانية أن تعيد للمسلمين مجدهم بالقضاء على معقل آخر من معاقل الصليبيين.

إلا أن الاسبتارية سرعان ما انتقلوا إلى مالطة بتاريخ 1536م والتي أعطاها لهم الإمبراطور شارلكان فاحتلوها آملين في العودة إلى الأراضي المقدسة مرة أخرى فبقوا فيها إلى أن فتحها بونابرت سنة 1798م أثناء مجيئه إلى مصر فاندثرت هذه الطائفة ولم يبق إلا إسمها[3] .

(1) - سامي سلطان: نفسه ، ص 600 .
(2) - سامي سلطان: نفسه ، ص 602 ؛ محمد علي بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 66-69
(3) - محمد علي بك ، نفسه ص 50 .

خاتمة البحث

الخاتمة:

تعتبر هيئة الإسبتارية أحد الأسس التي قامت عليها سياسة الكنيسة خارج أوروبا، و يعود تأسيسها إلى مرحلة سابقة للحرب الصليبية الأولى ، حيث تم إنشاء مستشفى بمدينة القدس أمام كنيسة القيامة، ومن تم سميت الهيئة بهذا الإسم .

و كان الهدف من تأسيس المستشفى هو إسعاف المرضى المسيحيين، و كانت هيئة الإسبتارية تسمى أيضا هيئة فرسان القديس يوحنا، و قد كان لهذه الجماعة دور فعال في مختلف مراحل الحروب الصليبية، و يمكن التحقق من عمليتين في نظام هيئة الإسبتارية في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر، فقد تطور العنصر العسكري حتى أصبح مهيمنا و لكن هذا التطور تم إستجابة للضغوطات الإجتماعية ، كما نشأت طبقة الفرسان التي احتكرت بشكل طبيعي مناطق النفوذ.

و يشهد تاريخ الحروب الصليبية بالشام على أنّ فرسان الإسبتارية كانوا أثبت فئات الصليبيين على القتال و أكثرها صلابة و إقداما، هذا بعد أن تحول دورهم من الخدمة الإجتماعية الإنسانية إلى الخدمة العسكرية.

و قد قامت هيئة الإسبتارية بعدة أدوار حربية ضد المسلمين، فقد أسهمت بقوة في الدفاع عن مدينة بانياس 552 هـ / 1156 م ؛ كما نجد أنّ الهيئة كانت السند القوي للملك بلدوين الرابع في صراعه مع السلطان صلاح الدين الأيوبي.ورغم هذا فقد تمكن السلطان صلاح الدين الأيوبي بفضل دهائه و قوة جيشه من إلحاق الهزيمة بهم في معركة حطين الشهيرة (583 هـ/1137 م)، و تمكن من استرجاع الحصون التي كانت تستحوذ عليها الإسبتارية .

كما تمكن من استرجاع بيت المقدس مركز هذه الهيئة و قد وجدت هذه الأخيرة نفسها منذ هذا التاريخ مهزوزة باعتبار المهمة التي قامت من أجلها في البداية إجتماعية ، دينية وعسكرية في نفس الوقت، فكانت نهاية هيئة الإسبتارية ببلاد الشام في عام 690 هـ / 1291 م ، حيث طردت و إنتقلت إلى جزيرة قبرص في نفس السنة.

و ما يلاحظ على هيئة الإسبتارية في فترة تواجدها بجزيرة قبرص، أنها سعت إلى تسليح سفنها التي تم الحصول عليها من أوروبا والتي كانت بحوزتهم حتى يتمكنوا من العودة إلى مراكزهم ببلاد الشام.

كما قامت هيئة الإسبتارية بتأمين و حماية الأوروبيين في البحر و عند سواحل قبرص و أرمينيا، وذلك بالتأكد من طرف البابا نيقولا الرابع الذي أصدر في 23 جانفي 1293 م أمرا إلى السيد الكبير لهيئة الإسبتارية حنا قلبير باستخدام سفن الإسبتارية في الدفاع عن مملكتي أرمينيا و قبرص .

إلا أنّ هيئة الإسبتارية قد تعرضت لمضايقات كبيرة من طرف الملك القبرصي هنري الثاني لوزجنان، الذي فرض على الهيئة تحصيل ضريبة الرأس منهم، مما جعلها تفكر فعلا بانتقالها إلى جزيرة رودس الغير بعيدة كذلك على بلاد الشام، لأن هيئة الإسبتارية لم تفقد في يوم من الأيام أملها في العودة إلى الأراضي المقدسة.

و لعل ما يمكن قوله عن فترة تواجد الإسبتارية بجزيرة رودس، أنّ السيد الكبير في الهيئة كانت له السلطة المطلقة في تسيير أمورها.

و أن حكومة السيد الكبير لهيئة الإسبتارية كانت تتمتع بالمركزية، أي أن أمور الهيئة كانت تُسير عن قرب و بعلم السيد الكبير.

كما احتكرت الهيئة في فترة تواجدها بجزيرة رودس جميع مناصب الحكومة، حتى أصبح يطلق عليها اسم دولة الإسبتارية في رودس، لِما كانت تتمتع به من قدرات ووسائل .

و قد استطاعت هيئة الإسبتارية بفضل هذه الوسائل خاصة الدفاعية أن تحتفظ بدولتها في شرق البحر الأبيض المتوسط، ولعل الباحث الذي يريد أن يبحث عن قيام هذه الدولة في رودس وعن أهم إنجازتها في مجال البناء والتشييد، فإنه سيجد في هيئة الإسبتارية قد عنيت بالجانب العمراني، حيث شيدت الأسوار و الأبراج الملتحقة بها لمدينة رودس العاصمة، كما قسمت المدينة إلى أحياء حيث الحي العسكري داخل مدينة رودس و كذلك الحي البورجوازي إلى جانب حصون الجزيرة و التي وضعت خاصة بالعاصمة إلى جانب القلاع والمراقب التي شدوها فوق ربا الجبال الموجودة في الجزر المحيطة بجزيرة رودس، و تم استخدامها في الدفاع ضد المسلمين.

وعلى كلٍ فمن يتتبع مراحل الحروب الصليبية بالشام ومصر و فترة تواجد الهيئة في جزيرتي قبرص و رودس ، يتبين له مدى مشاركة الهيئة في جميع المعارك المصيرية التي استحكمت المسلمين و الصليبيين و كذا المفاوضات، حيث شارك أعضاء هذه الهيئة في كل الإتفاقيات التي أبرمت مع المسلمين ، و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على صيتهم و وزنهم في ساحة الأحداث.

و بالرغم من قلة عدد فرسان الهيئة، فقد كانوا يشكلون عنصرا هاما في سياسة الصراع.

و لو قدر أن أظهرت كل الأطراف الصليبية نفس الإلتزام و الجدية و الصبر، لأخذت الأحداث مجرى آخر، و ربما لا يكون في صالح المسلمين .

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- ابن الأثير الجزري (عزالدين أبو الحسن علي بن أبي أكرم الشباني) : ت 630 هـ / 1283 م
أ - الكامل في اتاريخ (جـ 11، جـ12) ، طبعة بيروت ، 1966 م
ب- كامل التواريخ " في مجموعة المؤرخين الشرقيين" ، الجزء الثاني، القسم الأول طبعة باريس 1884 م .
جـ- تاريخ الدولة الأتابكية في مجموعة المؤرخين الشرقيين الجزء الثاني ، القسم الثاني، طبعة باريس 1887 م .

- ابن الجوزي : شمس الدين أبو المظفر يوسف / ت654 هـ / 1257 م
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان في مجموعة المؤرخين الشرقيين الجزء لثاني ، القسم الأول .

- ابن إياس : أبو البركات محمد بن أحمد (ت 930 هـ / 1523 م)
بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 1-ج2-ج3 ، طبعة بولاق، الجزء الرابع، طبعة الدكتور محمد مصطفى عام 1932 م.

- ابن الجبير : أبو الحسن محمد بن أحمد بن الجبير الكتاني الأ ندلسي / ت 614 هـ / 1217 م
رحلة ابن الجبير ، طبعة بيروت 1959 .

- ابن خردادبة : المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور محمد مخزوم دار إحياء التراث العربي طبعة 1988.

- ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد) ت 808 هـ / 1406 م
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد الخامس، طبعة بيروت 1959 م .

- ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن ابراهيم الشافعي ، ت 681 هـ / 1281 م
وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، الجزء الأول ، طبعة باريس 1933 م .

- ابن رستة : الاعلام النفيسة ، دار الإحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .

- ابن شداد : بهاء الدين أبو الحسن ، يوسف بن رافع ، ت 632 هـ / 1234 م
النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية في مجموعة المؤرخين الشرقيين ، الجزء الثالث

- ابن العبري : أبو الفرج بن هارون الملطي ، ت 685 هـ / 1286 م
تاريخ مختصر الدول , بيروت 1958 م .

- ابن العديم : كمال الدين أبو حفص الحلبي ، ت 660 هـ / 1262 م
زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج2 ، حققه الدهان ، طبعة دمشق 1954 م .

- ابن العماد : المعروف بابن العماد العكري الدمشقي ، ت 1089 هـ .
شندرات من الذهب في أخبار من ذهب ، ج 5

- ابن قاضي محمد بن تقي الدين شهب ، ت 874 هـ / 1470 م
الكواكب الذرية في السيرة النورية ، طبعة بيروت 1971 ، تحقيق د / محمود زايد

- ابن القلانسي (ابو يعلى حمزة بن أسد) ، ت. 555 هـ / 1160 م .
ذيل تاريخ دمشق ، بيروت 1908 .

- ابن كثير : البداية و النهاية ، المجلد السادس ، بيروت ، ط2 ، 1977 .

- ابن منقذ : أسامة أبو المظفر بن مرشد الكناني الشيزري (ت. 584 هـ / 1186 م)
كتاب الإعتبار، حققه وحرره فيليب في مطبعة جامعة برنسون الولايات المتحدة 1930

- ابن واصل : أبو عبد الله جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، ت. 697 هـ /1226 م
مفرج الكروب في أخبار بني أ يوب ، الجزء الأول والثاني ، طبعة القاهرة 1953 م، الجزء الثالث طبعة 1960 ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال.

- أبو شامة : شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمان بن اسماعيل ، ت. 665 هـ / 1267 م

- أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن علي صاحب حماة، ت. 732 هـ /1331 م
المختصر في أخبار البشر ، ويعرف بتاريخ أبي الفداء ، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية ج3 وج4 ، مجموعة المؤرخين الشرقيين.

- أبو المحاسن : جمال الدين يوسف بن الثغرى الأتابكي ، ت. 874 هـ / 1470 م
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج 6 ، طبعة دار الكتاب بالقاهرة .

- الأصفهاني : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد، ت. 597 هـ / 1201م
الفتح القسي في الفتح القدسي ، الدار القومية للطباعة و النشر ، طبعة 1965 ،تحقيق محمود صبح .

- البنداري : قوام الدين الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني ، ت. 642 هـ / 1244 م
سنا البرق الشامي بيروت، تحقيق د/ رمضان ششن

- العيني : بدر الدين أبو محمد محمود، ت. 855 هـ /1451 م .
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان في مجموعة المؤرخين الشرقيين،ج 2، القسم الاول، طبعة باريس 1887 م .

- القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله، ت. 821 هـ /1418 م
صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، ج 4 ، دار الكتب المصرية 1913 .

- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ، ت. 346 هـ / 957 م

- المقريزي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ، ت. (865 هـ/1442 م)
السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الأول والثاني ، طبعة 1957 م بالقاهرة ، أما القسم الثالث طبعة 1958 ، تحقيق د/ محمد مصطفى زيادة

- مجهول عاش في القرن 11م
أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي القاهرة 1958 م .

- ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله معجم البلدان طهران 1965 م

ثانيا المصادر الأجنبية :

1 : Aime (du monte cassin) :l'estoire de li normant dans Recueil,.Historiensdes.Croisades , Historiens occidentaux,T1

2 :Albert (d'aix): Historia Hierosolymitana , traduit par guizot in collection des memoires relatives a l'Histoire de france' paris 1824.

3 : Amadi/ chronique publiee par m.rene de maslatrie ,paris 1891.

4 : Chronique du templier de tyr , dans les gestes du ch iprois geneve 1887.

5 : Comnene (anne): :
alexiade regne de l'empereur alexis 1 comnene (1081-1118) traduction française de leib bernard edition 1947, paris,t.1 ,pp144-147.

6 : Ernoul (chronique de) : edition maslatrie , paris 1854.

7 : Ekhe handus urangiensis (abbas) : Hierosolymita dans R.H.oc ,T5.

8 : Foucher de chartres : gesta francorum jerusalem perigrinantuim traduit par guizot .

9 : Gestes de chiprois : recueil de chroniques francaises ecrites au orient au 13 et au 14 eme siecle publie par raymond gaston geneve ,1887 .

10 : Giullaume (de s.esteve) : exorduim aux dernieres annees du 12 siecle dans r.h.c , hist.occ.

11 : Guillaume(de tyr) :l'estoire de eracles empereur et la conqueste de la terre .tv d'outrmer ,dans r.h.c , histoc ,t1 paris 1844.

12 :Luncy (de leroulx) :analyse de roman godefroi de bouillon dans R.H.C,hist .oc, t5.

13 : Machaut (guillaume de) : la prise d'alexandrie , geneve 1877.

14 : Macheras (leonce) : chronique de chypre ,trad francaise par miller, paris 1882 .

15 :Maslatrie (m.R.de) : commerce et expeditions militaire de la france et de venise au moyen age , paris 1875 .

16 : Maimburg : Histoire des croisades ,Hist .oc , t1

17 : Martin (Henri) Histoire de france, Tome IV , paris 1861.

18 : Moranville : un pelerinage en terre sainte dans R.H.C ,lxvl,

19 : Recueil des Histoires des croisades (R.H.C) Hist oc t.1 ,tv.

20 : Rothelin :(continuation de 1229 – 1261) Hist.occ . paris 1859 edition , paris 1875.

21 : Riant : inventaire des lettres Hist. des croisades , t.5 , paris 185o.

22 : Willerm tyrensis (w.t: dans R.H.C ,T1).

المراجع العربية والمعربة :

- باركر (أرنست) : الحروب الصليبية ترجمة الباز العزيبي ، طبعة بيروت 1967 م .
- بروكلمان (كارل) تاريخ الشعوب الإسلامية نقله إلى العربية النبيه أمين فاس ومنير البعلبكي ، طبعة بيروت 1977 م
- توفيق إسكندر : بحوث في التاريخ الإقتصادي الجمعية المصرية للدراسات التاريخية مطابع ، دار النشر 1961 مصر .
- تومي رشيد : العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية 1154/1017 م ، رسالة ماجستير في تاريخ العصور الوسطى 1987-1988 م
- جوناثان رايلي سميث : الإسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص 1050- 1310 م ترجمة السيد الوكن صبحي الجاني ، الطبعة الأولى 1985 م.
- حبش (الدكتور حسن) الحرب الصليبية الأولى مطبعة الفكر العربي بالقاهرة 1958 م .
- حسان سعداوي : الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي
- ديورانت (ول) قصة الحضارة ، ج 2 من المجلد الرابع ، ترجمة محمد بدران القاهرة 1965 م ، الجزء الثالث ، طبعة بيروت 1969 م
- زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى
- زيادة محمد مصطفى : جملة لويس التاسع على مصر القاهرة 1961 م
- سرور (جمال الدين محمد) : الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ، طبعة القاهرة 1988 م
- سامي سلطان : الإستبارية في رودس ، رسالة دكتوراة
- ستيفن رينمان : تاريخ الحرب الصليبية ، ج2 - ج3 ، ترجمة الباز العريبي
- عاشور سعيد عبد الفتاح : الحركة الصليبية ، ج 1-ج2 ، القاهرة 1963 م ؛ قبرس و الحركة الصليبية القاهرة 1957 م
- العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى دار النهظة العربية ، بيروت 1972 م ؛ مصر والشام في العصر الأيوبيين والمماليك بيروت 1972 م
- عاشور (قمعون) الدور الصليبي لهيئة الداوية في الشام ومصر ، 1118- 1362م ، رسالة ماجستير
- عادل زيتون : العلاقات الإقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى دار دمشق .
- العريني (الدكتور السيد الباز) الأيوبيون طبعة دار النهظة العربية بيرروت ؛ المماليك القاهرة طبعة 1957 م

- فيشر : تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والباز العريني ، ج 1 ، طبعة القاهرة 1966 م
- فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ترجمة أنس فريحة ، مراجعة نقولا زيادة ، دار الثقافة بيروت 1985 م
- المطوي (محمد العروسي) الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، بيروت 1982 م
- يوسف (الدكتور جوزيف نسيم) : العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، دار النهضة العربية 1981 م .

المراجع الأجنبية

- ANGLURE (LE BARON D') :LE SAINT VOYAGE DE JERUSATEN PARIS 1858.

- ARCHER (T) KINGS FORD (G) : THE CRUSADES . THE STORY OF THE LATIN KING DOM OF JERUSATEN ,LONDON 1894.

- ATIYA (A.S) : THE CRUSADES IN THE LATER MIDLE AGES ,LONDON ,1938.

- BORDONOVE (G) :LA VIE QUOTIDIENNE DES TEMPLIERS AU 13eme SIECLE PARIS 1975 .

- BILLIOTI (E) : COLLER (ABBE) : L'ILE DE RHODES ,PARIS 1881.

- BREHIER (L) : L'EGLISE ET L'ORIENT AU MOYEN AGE LES CROISADES , PARIS 1928.

- CHALONDON (F) : HISIOIRE DE LA 1 CROISADE J'USQUA LELECTION DE GODEFROI DE BOUILLON ,PARIS 1925 .

-CURZON (HENRI.DE) : LA REGLE DU TEMPLE PARIS 1888.

-DELAVILLE LE ROULX(JOSEPHE)-:LES HOSPITALIERS EN TERRE SAINT ET A CHYPRE (1100-1310) PARIS 1904.

-LES HOSPITALIERS A RHODES JUSQU'A LA MORT DE PHILIBERT DE NAILLO 1310-1421.

-CARTULAIRE GENERAL DES HOSPITALIERS DE JERUSALEM , PARIS 1894 -1906 4 VOL.

-LA France EN ORIENT AU XIV SIECLE EXPIDITION DU MARECHALE BAUCICAUT PARIS 1886.

- DES CHAMPS (PAUL) : LES CHATEAUX DES CROISES EN TERRE SAINTE PARIS 1939.

-DEPPING (G.B) : HISTOIRE DU COMMERCE ENTRE LE LEVANT ET L'EUROPE DEPUIS LES CROISADES JUSQU'A LA FONDATION DES COLONIES D'AMERIQUE PARIS 1830.

-DADU (GASTON) : HISTOIRE DES INSTITUTIONS MOHARCHIQUES DANS LE ROYAUME LATIN DE JERUSALEM (1099-1291) PARIS 1894.

- DE LA RONCIERE (CH) ;(DOREZL) :LETTRE INEDITES ET MEMORES DE MARINO SANUDO L'ANCIEN (1334-1337) DANS BIBLIOHEQUE DE L'ECOLE DES CHARTES ,LVI 1895

-FARACHON (P.A) : LES CHEVALIERS DE RHODES , TROISIEME EDITION,TOURS 1873.

- GROUSSET (RENE) : l'EPOPEE DES CROISADES ,PARIS 1939 .

- L'E MPIRE DU LEVANT .

- HISTOIRE DES CROISADE S ET DE ROYAUME Franc DE JERUSALEM,T1 ,T2 PARIS 1936 ,T3.

-GIBBONS (H.A) : THE FOUNDATION OF THE OTTOMAN EMPIRE ,OXFORD 1916

-HEYD (W) :HISTOIRE DU COMMERCE DU LEVANT AU MOYEN AGE ,2 VOL PARIS 1885.

- HILL (SIR GEORGE): A HISTORY OF CYPRUS ,3 VOL CAMBRIDGE ,1848.

- LINDSAY(JACK) :THE NORMANDE ANDTHEIR WORLD ,LONDON 1974.

- RICHARD JEAN :LE ROYAUME LATIN DE JERUSALEM ,PARIS 1953.

- JONATHAN(RILEY SMITH) : THE FEIDAL NOBILITY AND THER KING DOM OF JERUSALEM MAC, MILLAN ,1993 .

- THE FIRST CRUSADERS, CAMBRIDGE ,UNIVERSITY, PRESS 1998.

- IROGA(NICOLAS) :HISTOIRE DES CROISADES,PARIS 1924.

- MIREPOISE (DU DELEVIS) : PHILIPPE LE BEL PARIS 1936.

- MICHAUD (M) : HISTOIRE DES CROISADES ,3 PARIS 1970

- BIOGRAPHIE ANCIENNE ET MODERNE ,UNIVERSSELLE ,T 19-T20,T.12,PARIS

- PERNOUD (REGINE) LES CROISADES , PARIS 1906

- PIQUET (JULES) LES TEMPLIERS ,PARIS 1939.

- RUNCIMAN(STEVEN) :.BYZANTINE CIVILISATION,1948.

- STEVENSON (w ;b) : THE CRUSADERS IN THE EAST, CAMBRIDGE , 1907.

دوائر المعارف :

- دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، دار المعرفة بيروت — لبنان ، المجلد الاول

- دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى اللغة العربية محمد ثابت الأفندي، أحمد الشنتاوي، ابراهيم زكي خورشيد و عبد الحميد الثاني ، المجلد الثاني .

- Encyclopedie de l'Eslam , nouvelle edition , Belevois, CH Peliat, Paris 1979 .

- Encyclopedie Grande petit Robert I et II.

الفهارس

فهرس الأماكن :

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

فهرس الأعلام :

الملاحق

ملحق 1

- النص الذي كتبه المؤرخ دي فيتري " DE VITRY "
عاش في القرن 13 م عن النشأة الأولى الإسبتارية في الأراضي المقدسة .

« Domino etiam patriarche hieorosolymitano devote obedientesde bonis sius decimas sucundum sacros canones et utriusque testamenti praecepta »

يتناول النص فكرة تواجد المستشفى في الأراضي المقدسة و بالضبط في بيت المقدس كما يشير المؤرخ إلى أن الهبات سرعان ما توسعت بالنسبة لهيئة الإسبتارية.

ارجع إلى :

Delaville le roulx : les hospitaliers en terre sainte et à chypre (1100-1310) paris ,1904 , p 23

- ملحق 2

مقتطفات من الرسالة التي كتبها السيد الكبير فولك فيلاريه للملك فيليب الوسيم بتاريخ 27 جانفي 1311 :

(27 janvier 1311) le grand maître de l' hôpital foulque de villaret s'excuse auprès de Philippe le bel de ne pas l'avoir tenu au courant des préparatifs qu'il fait en vue d'un prochain passage en terre sainte, et lui donne les détails les plus précis sur l'état de ces préparatifs.

En tête de la pièce est écrit : scribatur.

« Excellentissimo pricipo suo carrissimo domino plulippo dei grcia eadem gracia sancte francarum regi illutrissino, frater fulco de filreto, domus hospitalis sancti johanis jerosolimitani magister humills , et pauperum christicustos . »

من طرف السيد الكبير لهيئة الإسبتارية فولك دي فيلاريه إلى الملك فيليب الوسيم (1285-1314) :

« سيدي أعتذر لكم باسم المؤتمر العام لهيئة الإسبتارية عن الخطأ الذي ورد مني في عدم إخباركم بالاستعدادات الأولية التي أقوم بها، من أجل الوصول إلى القيام بحملة صليبية، حتى أتمكن من العودة إلى الأراضي المقدسة بمساعدة البابوية »

انظر :

Delaville le roulx : La France en orient au XIV siecle, expeditions du Marechal Bancicantie , paris , p 1.

ملحق 3

ـ الرسالة التي كتبها البابا حنا الثاني والعشرون إلى جيرود بنز * ، يبلغه فيها بقرار تعيينه وكيلا عاما لهيئة الإسبتارية مع تزويده بكامل السلطات لإدارتها وإصلاح شؤونها الداخلية إلى أن يتم تسوية الأزمة في رئاستها .

N° 9 : 20 Septembre 1317 Avinione :

Johannes XXII prioribus , praceptoribus etc ,hospitalismondat quod, in casu depositionis magistride villareto electiones in ejus locum fractris de pagnco ,elegerit in vicarium fratrem giraudum de pinibus « Adivimus noviteur »

Delaville le roulx : les archives, la bibliothèque et le trésor de l'ordre de sainte jean de jerusalem à malte , paris 1883, p37 ; paulli II , pp62-64 numbri XLVI XLIV

Amadi : op.cit,p228

* ـ جيرود بنز : هو الرسول الذي كان قد بعث به مجلس الإسبتارية برودس ، لإبلاغ البابا بأمر أحداث رودس و تأزم الأوضاع في شأن رئاسة الهيئة .

ملحق 4:

- ذكر الواقعة التي أوقعها الملك المنصور ببيت الإسبتار.

ولما كان الحادي والعشرين من شهر رمضان عام 600هـ ، خرج جمع الإسبتار من حصن الاكراد والمرقب , ومن وصل إليهم من الضرب وأغاروا على عمل بعرين ، وعددهم أربعمائة فارس , خارجا عن التركبلية والف ومائتا راحل ومن معهم من الجرخية ورماة الزنبورك.
فرتب الملك المنصور صاحب حماة عسكره وقصدهم فكسرهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وكان جملة القتلى مقدم التركبلية و قومص أسره منهم جماعة من الاخوة , منهم أفرميلو أخو وإنهزم الباقون لايلون على شيء وكانوا قد كمنوا لهم كمينا فارس والف وخمسمائة راحل فلما علموا بالفكرة ولو هاربين.
وحملت الأسرى إلى حماة على خيولهم بعددهم و بأيديهم قنطار، و مدح سالم بن سعادة الملك المنصور مهنئا بهذه الواقعة بقصيدة :

أمن اللواحظ أن يفوّق أسهما	ريم برامة مارمى
بصوائب تخطى النبال ونبلها يردى	الرمي ولا يريق
فتانة بالسحر بل فتاكة ما	جار قاضيهن حتى
أضحيت فيها مغرما كمحمد	لما غدا بالأريحي
وجرى بحلبة مجده فتأخرت	عنه الملوك الصيد و حين

- ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج 3 ، ص 148 .

ملحق 5

- ذكر وقوع الهدنة بين الملك المنصور و الفرنج ، سنة ستمائة هجري ، وتكررت بينه وبين الفرنج المراسلات في معنى الصلح .

وآخر الأمر أنه عقد معهم عقد الهدنة , و رجع بعساكره حماة و تفرقت النجد.

وفي السابع والعشرين ربيع الأول من هذه السنة نازل ابن لاون ملك الار من أنطاكية , وجد في حصارها والتضييق عليها، فخرج الملك الظاهر من حلب وخيم على حارم .

واتصل ذلك بابن لاون فرحل أنطاكية وخرج الملك الظاهر إلى حلب ، وفي السابع عشر من ربيع الآخر هاجم ابن لاون أنطاكية، وذلك أنه راسله أهلها وضمنوا له تمليكها، فسار إليها بغتة و لم يشعر الأبرنس إلا و ابن لاون على بابها، فارتاع لذلك وقاتله ساعة .

ثم هاجر ابن لاون البلد فالتجأ الابرنس إلى القلعة وإعتصم بها بشعار الملك الظاهر ووصل الخبر بذلك الملك الظاهر على جناح طائر فخرج بالعساكر وقصد أنطاكية وبلغ ذلك ابن لاون فكر راجعا إلى بلادهم ونزل الملك الظاهر بحارم فلما رجع ابن لاون عاد الملك الظاهر إلى حلب .

- ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج3 , ص 154 ، تأليف جمال الدين الشيال.

ملحق6:

عن السفارة التي قام بها ابن شداد(1) إلى صلاح الدين و كان مكلفا من طرف أتابك الموصل

ذكر وصولنا إلي خدمته رسلا:

وكان الشيخ قد وصل إلى محروسة الموصل رسولا، و سار منها بعد أن سار في صحبته القاضي محي الدين بن كمال الدين ، وكانت بينهم صحبة من الصبا(2) وكنت مع القوم ، وسرنا حتى أتينا دمشق وخرج السلطان إلى لقاء الشيخ و نحن في خدمته فلقيه عن بعد.

وكان دخولنا إلى دمشق يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة من هذه السنة ولقينا من السلطان كل جميل فيما يرجع إلى الإكرام و الاحترام و أقمنا أياما نراجع في فصل حال، فلم يتفق صلح في تلك الوقعة و خرجنا راجعين إلى الموصل ، وخرج السلطان إلى وداع الشيخ إلى القصر ، واجتهد في ذلك اليوم أن ينقضي شغل فلم يتفق و كان مسيرنا سابع ذي الحجة (3) و في تلك الدفعة عرض علي السلطان موضع البها الدمشقي بمصر على لسان الشيخ ولم أفعل خوفا من أن يحال بوقف الحال علي و من تلك الدفعة ثبت في نفسه الشريفة من أمر لم أعرفه إلا بعد خدمتي له .

---

(1) ولد في الموصل سنة 539هـ/1145م و توفي بحلب 632هـ/1239م ، كان يعمل مدرسا بالمدرسة التي انشأها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري منذ 1171م .

(2) تعليق الدكتور شيال ،ص 65

(3) يشير إلى أنه وصل إلى دمشق في الحادي عشر من ذي القعدة 579هـ ثم عاد منها إلى الموصل.

(4) تكمن أهمية النص في كونه يعطي لنا معلومات دقيقة عن التاريخ الذي عرض فيه صلاح الدين الأيوبي لابن بالخدمة معه.

ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية

	السنوات
جود فري دي بوايون وصي على الدولة	1099 - 1100 م
بلدوين الأول (أول ملك متوج)	1100 - 1118 م
بلدوين الثاني	1118 - 1131 م
فولك الأنجوى	1131 - 1144 م
بلدوين الثالث	1144- 1162 م
عموري الأول	1162 - 1173 م
بلدوين الرابع	1173- 1185 م
بلدوين الخامس	1185 - 1186 م
جاي لوزجنان	1186 - 1192 م
كونراد دي مونتفرات	1192 م
هنري دي شامبني	1192 - 1197 م
عموري الثاني	1197 - 1205 م
ماري (إبنة كونراد تحت الوصاية)	1205 - 1210 م
حنادي برين	1210 - 1225 م
الإمبراطور فريديريك الثاني	1225 - 1250 م
كونراد الرابع ملك ألمانيا (ملك إسمي)	1250 - 1254م
كونرادين (ملك إسمي)	1254 - 1268 م
هيو الثالث ملك قبرص الثاني	1269 - 1284 م
حنا الاول ملك بيت المقدس	1284 - 1285 م
هنري الثالث ملك قبرص (الثاني)	1286 - 1291 م
عاشور عبد الفتاح : الحركة الصليبية ج 2, ص	1305 م

مقدمو الاسبتارية بالأرض المقدسة

	السنوات
جيرار	1100 - 1120م
ريموند دي بويه	1125- 1158 م
أوجربالين	1160 - 1162م
جيلبرت اسايللي	1163 - 1170م
كاسته دي موروا	1170 - 1172م
جو بير	1173 - 1177م
روجردي مولين	1177 - 1187م
ارمنجو أسيا	1188 -1190م
جارنييه (نابلس)	1190 - 1192م
جفري دونجون	1192 - 1204م
ألفونسو البرتغال	1204 - 1206م
جفري	1206 - 1207م
جارين مونتايجو	1207 - 1227م
برترايد دي ثيبسي	1230م
جورين	1231 - 1236م
برتراند دي كومب	1236 - 1239م
بطرس	1240 - 1241م
وليم شاتونيق	1243 - 1258م
هوريفل	1258 - 1277م
نقولا لورنجن	1277 - 1283م
يوحنا فيلييه	1285- 1293م

مقدمو الاسبتارية في رودس

	السنوات
فولك فيلاريت	1307 - 1319 م
هيليون فيلينف	1319 - 1346 م
ديدونيه دي بوزوت	1347 - 1353 م
بطرس كورنيون	1354 - 1355 م
روجر دي بيز	1355 - 1365 م
ريموند برنجار	1365 - 1374 م
روبرت جولياك	1377 - 1396 م
بوهان فيراندين هيريريا	1396 - 1421 م
فيليبرت نايلاك	1421 - 1437 م
انطوان فولونيان	1437 - 1454 م
يوحنا لاستيك	1454 - 1461 م
جاك ميللي	1461 - 1467 م
بطرس ريموند زاكوستا	1467 - 1476 م
يوحنا المعمدان أورنيس	1476 - 1503 م
بطرس أوبوسون	1503 - 1512 م
ايمري أمبواز	1512 - 1513 م
جاي بلانشفورت	1513 - 1521 م
فابريك جاريتو	1521 - 1534 م
فيليب فيلييه	

بابوات روما منذ 1095 م

	السنوات
إيربان الثاني	1088 - 1099 م
باسكال الثاني	1099 - 1118 م
جيلاسيوس الثاني	1118 - 1119 م
كاليكستوس الثاني	1119 - 1124 م
هونوريوس الثاني	1124 - 1130 م
إنونست الثاني	1130 - 1143 م
أناكليت الثاني	1130 - 1138 م
فيكتور الرابع	1138 م
سلستين الثاني	1143 - 1144 م
لوكيوس الثاني	1144 - 1145 م
يوجينوس الثالث	1145 - 1153 م
أنستا سيوس الرابع	1153 - 1154 م
هادريان الرابع	
الإسكندر الثالث	1159 - 1181 م
فيكتور الرابع	1159 - 1164 م
باسكال الثالث	1164 - 1168 م
كاليكستوس الثالث	1168 - 1179 م
لوكيوس الثالث	1181 - 1185 م
إيريان الثالث	1185 - 1187 م
جريجوري الثامن	1187 م
سلستين الثالث	1187 - 1191 م
إنوسنت الثالث	1198 - 1216 م
هونوريوس الثالث	1216 - 1227 م
جريجوري التاسع	1227 - 1241 م
سلستين الرابع	1241 م
إنوسنت الرابع	1242 - 1254 م
الإسكندر الرابع	
ايربان الرابع	1261 – 1264 م
كليمنت الرابع	1265 - 1268 م

	السنـوات
جريجوري العاشر	1271 - 1276 م
إنوسنت الخامس	1276 م
هادريان الخامس	1276 م
يوحنا الحادي والعشرون	1276 - 1277 م
نقولا الثالث	1277 - 1280 م
مارتن الرابع	1281 - 1285 م
هونوريوس الرابع	1285 - 1287 م
نقولا الرابع	1287 - 1292 م
سلتين الخامس	1294 م
بونيفاس الثامن	1294 - 1303 م
بنيدكت الحادي عشر	1303 - 1304 م
كليمنت الخامس	1305 - 1314 م
يوحنا الثاني والعشرون	1313 - 1334 م
بنيدكت الثاني عشر	1334 - 1342 م
كليمنت السادس	1342 - 1352 م
إنوسنت السادس	1352 - 1362 م
إيربان الخامس	1362 - 1370 م
جريجوري الحادي عشر	1370 - 1378 م
إيربان السادس	1378 - 1379 م
بونيفاس التاسع	1379 - 1404 م
إنوسنت السابع	1404 - 1406 م
جريجوري الثاني عشر	1406 - 1409 م
الإسكندر الخامس	1409 - 1410 م
يوحنا الثاني والعشرون	1410 - 1415 م
مارتن الخامس	1417 - 1431 م
يوجينوس الرابع	1431 - 1447 م
نقولا الخامس	1447 - 1455 م

- من كتاب تاريخ الحروب الصليبية للمؤرخ ستيفن رنسمان ، نقله إلى العربية الدكتور السيد الباز العريني ، دار الثقافة – بيروت - لبنان ، ج 3 ، طبعة 2 ، 1980 .

الفرنج في جزيرة قبرص .

1- بيت لوزنجنان	**السنوات**
- جاي لوزجنان	1192 - 1194 م
- أملريك لوزجنان	1195 - 1205 م
- هيولوزجنان الأول	1205 - 1218 م
- هنري الاول	1218 - 1227 م
- وصاية فيليب إبلين	1227 - 1229 م
- وصاية الإمبراطور فردريك الثاني	1229 م
- هيو الثاني	1253 - 1267 م
2- بيت أنطاكية – لوزجنان –	
- هيو الثالث – أنطاكية – لوزجنان	1267 – 1284 م
- يوحنا الاول	1284 – 1285 م
- هنري الثاني	1285 – 1324 م
- أملريك أمير صور ، شقيق هنري الثاني، إغتصب الحكم	1306 – 1310 م
- هيو الرابع	1324 – 1359 م
- بطرس الأول	1359 – 1369 م
- بطرس الثاني	1369 – 1382 م
- جاك الأول	1382 – 1398 م
- جانوس	1398 – 1432 م
- يوحنا الثاني	1432 – 1458 م
- شارلوت	1458 – 1460 م
- جاك الثاني	1460 – 1473 م
- جاك الثالث بوصاية أمه كترين كورنارو	1473 – 1474 م
- كترين كورنارو	1474 – 1489 م

* - أنظر ستيفن رنسمان ، الحروب الصليبية ، ج 3 ، ص 850 - 851 .

أباطرة الدولة البيزنطية :

	السنوات
ـ ألكسيوس الأول كونسين	1118- 1143 م
ـ حنا الثاني كومنين	1118- 1143 م
ـ مانويل الأول كومنين	1143- 1180 م
ـ ألكسيوس الثاني كونين	1180- 1183 م
ـ أندونيق الأول كونين	1183- 1185 م
ـ اسحق الثاني أنجيلوس	1185- 1195 م
ـ ألكسيوس الثالث أنجيلوس	1195- 1203 م
ـ اسحق الثاني + ألكسيوس الرابع	1203- 1204 م
ـ ألكسيوس الخامس	1204 م
ـ تيودور الأول لاسكارس	1204- 1222 م
ـ حنا الثالث دوقاس	1222- 1254 م
ـ تيودور الثاني لاسكارس	1254- 1258 م
ـ حنا الرابع لاسكارس	1258- 1261 م
ـ ميخائيل الثامن باليولوجيس	1259- 1282 م
ـ أندرونيق الثاني باليولوجيس	1282- 1328 م
ـ أندورنيق الثالث باليولوجس	1328- 1341 م
ـ حنا الخامس باليولوجس	1347- 1354 م
ـ حنا السادس	1390 م
ـ حنا السابع	1391- 1425 م
ـ مانويل الثاني باليولوجس	1425- 1448 م
ـ قسطنطين الحادي عشر باليولوجس	1449- 1453 م

* ـ عاشور عبد الفتاح : الحروب الصليبية ، ج 2 ، ص 1308 .

سلاطين المماليك في مصر:

1 – دولة المماليك البحرية :

	السنوات
- شجرة الدر	1250 م
- المعز الدين أيبك	1257 م
- المنصور نور الدين علي بن أيبك	1259 م
- المظفر سيف الدين قطز	1260 م
- الظاهر ركن الدين بيبرس الاول	1277 م
- السعيد ناصر الدين محمد بن بركة خان	1279 م
- العادل بدر الدين سلامش	1289 م
- المنصور سيف الدين قلاوون	1290 م
- الأشرف صلاح الدين خليل	1293 م
- الناصر محمد بن قلاون	1294 م
- العادل زين الدين كتبغا	1296 م
- المنصور حسام الدين لاجين	1297 م
- الناصر محمد بن قلاون (مرة الثانية)	
- المظفر ركن الدين بيبرس الثاني	1308 م
- الناصر محمد بن قلاون المرة الثالثة	1309 م
- المنصور سيف الدين أبوبكر بن عبد الناصر محمد	1341 م
- الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد	1341 م
- الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد	1342 م
- الصالح عماد الدين اسماعيل بن الناصر محمد	1342 م
- الكامل سيف الدين شعبان الأول بن الناصر محمد	1346 م
- المظفر زين الدين حاجي الأول بن الناصر محمد	1347 م
- الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد	1351 م
- الناصر ناصر الدين الحسن المرة الثانية	1354 م
- المنصور صلاح الدين بن حاجي	1361 م
- الأشرف ناصر الدين شعبان الثاني	1363 م
- المنصور علاء الدين علي بن شعبان	1376 م
- الصالح صلاح الدين حاجي الثاني	1381 م

2 - دولة الجراكسة :

	السنوات
- الظاهر الدين سيف الدين برقوق	1382 م
- الظاهر فرج بن برقوق	1398 م
- المنصور عبد العزيز بن برقوق	1405 م
- الناصر فرج بن برقوق للمرة الثانية	1412 م
- المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي	1421 م
- المظفر أحمد بن شيخ	1421 م
- الظاهر ططر	1421 م
- الصالح محمد بن ططر	1422 م
- الاشرف بربساي	1427 م
- العزيز يوسف بن برساي	1427 م
- الظاهر جقمق	1453 م
- المنصور عثمان بن جقمق	1453 م
- الاشرف إينال العلائي	1460 م
- المؤيد أحمد بن إنيال	1460 م
- الظاهر خشقدم	1467 م
- الظاهر بلباي المؤيدي	1468 م
- الظاهر تمريغا	1468 م
- الاشرف قاينسباي	1496 م
- الناصر محمد بن قايتباي	1497 م
- الظاهر قانصوه خمسمائة	1497 م
- الناصر محمد بن قايتباي للمرة الثانية	1498 م
- الظاهر قانصوه الاشرفي	1500 م
- الأشرف جانبلاط	1501 م
- العادل طومان باي الاول	1501 م
- الأشرف قانصوه الغوري	1516 م
- الاشرف طومان الباي الثاني	

العثمانيون 1281

الاناضول - البلقان - :

	السنوات
- عثمان بن أرطغول	1281 م
- أرخات	1324 م
- مراد الأول	1360 م
- بانريد الأول يلدرم	1389 م
- غزوة تيمو راناك	1402 م
- محمد الأول	1403 م
- سليمان الأول	1403 م
- مراد الثاني	1421 م
- محمد الثاني (الفاتح)	1444 م
- مراد الثاني للمرة الثانية	1446 م
- محمد الثاني الفاتح للمرة الثانية	1451 م
- بايزيد الثاني	1481 م
- سليم الأول	1512 م
- سليمان الثاني القانوني	1520 م

* - انظر ستيفن رنسمان : الحركة الصليبية ، ج 3 ، ص 864

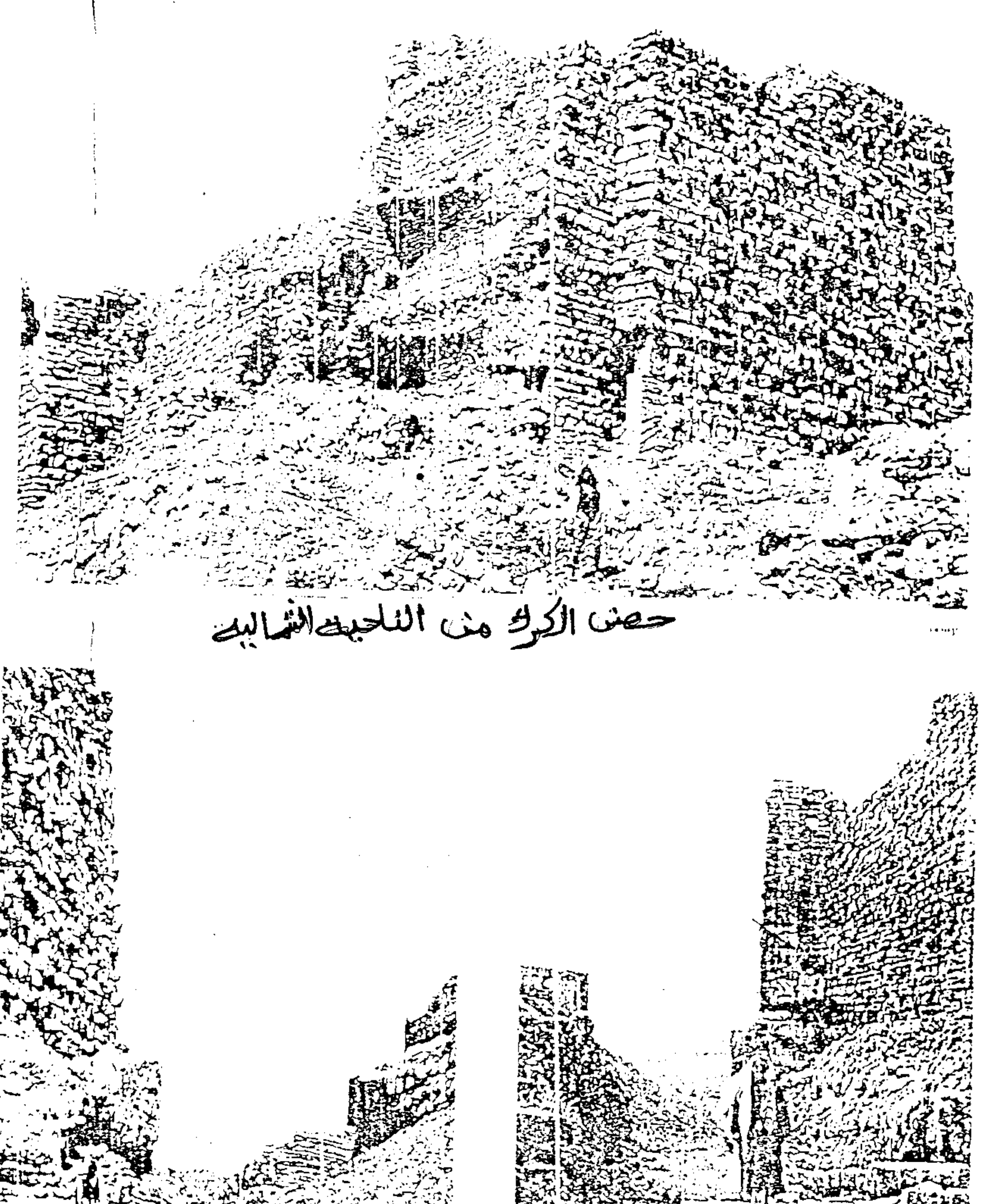
للمزيد من التفاصيل ، ارجع إلى :

محمد فريك بك ، الدولة العلية العثمانية ، ص 26- 86 .

الصور

حصن الكرك من الناحية الشرقية

Deschamps: op. cit. T. II. P 4



حصن الكرك من الناحية الشمالية

الجهة الغربية

الجهة الشرقية للحصن

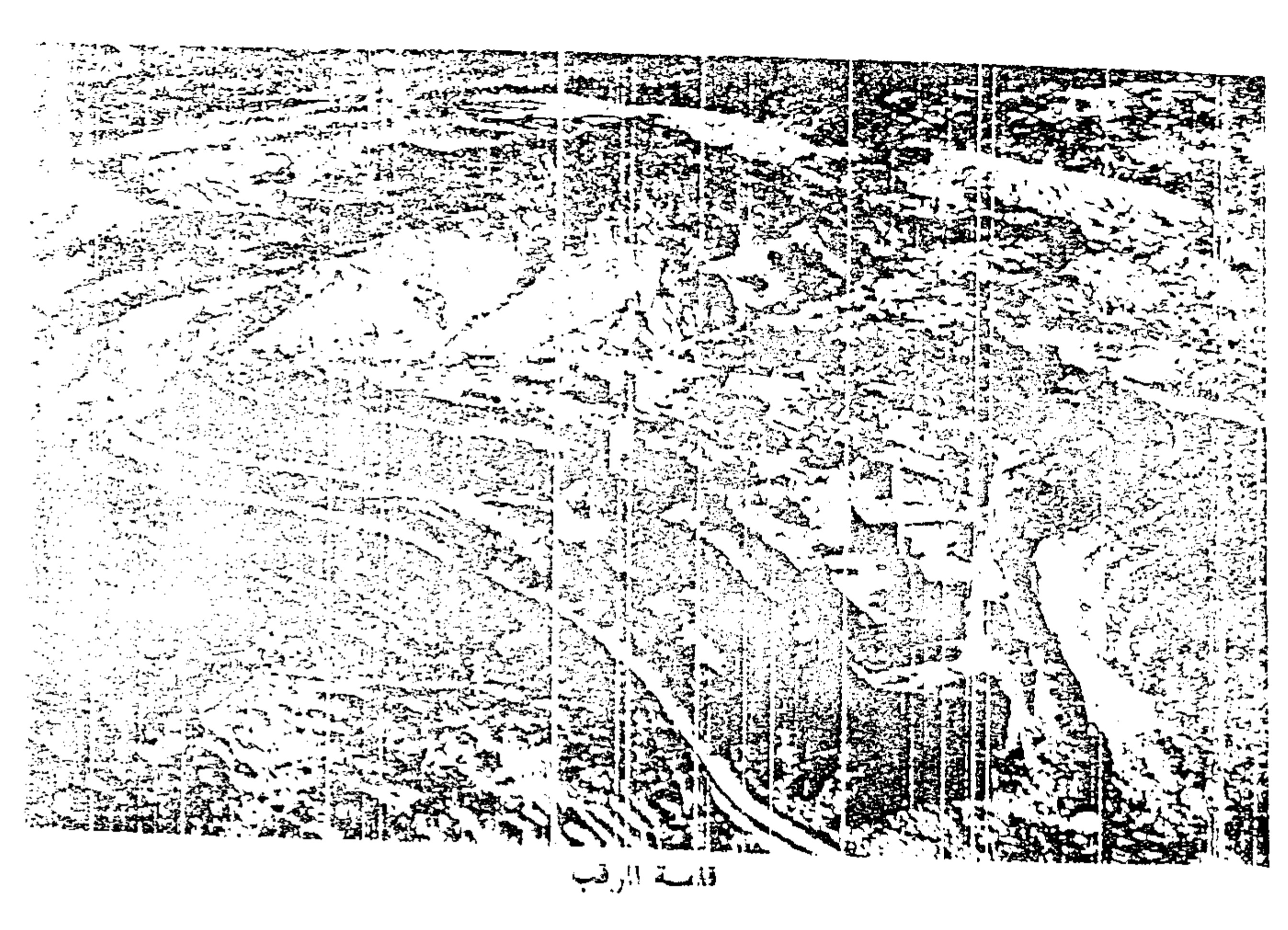
من كتاب

Deschamps: Les chateaux des croisés en Terre Sainte
T. II, P7



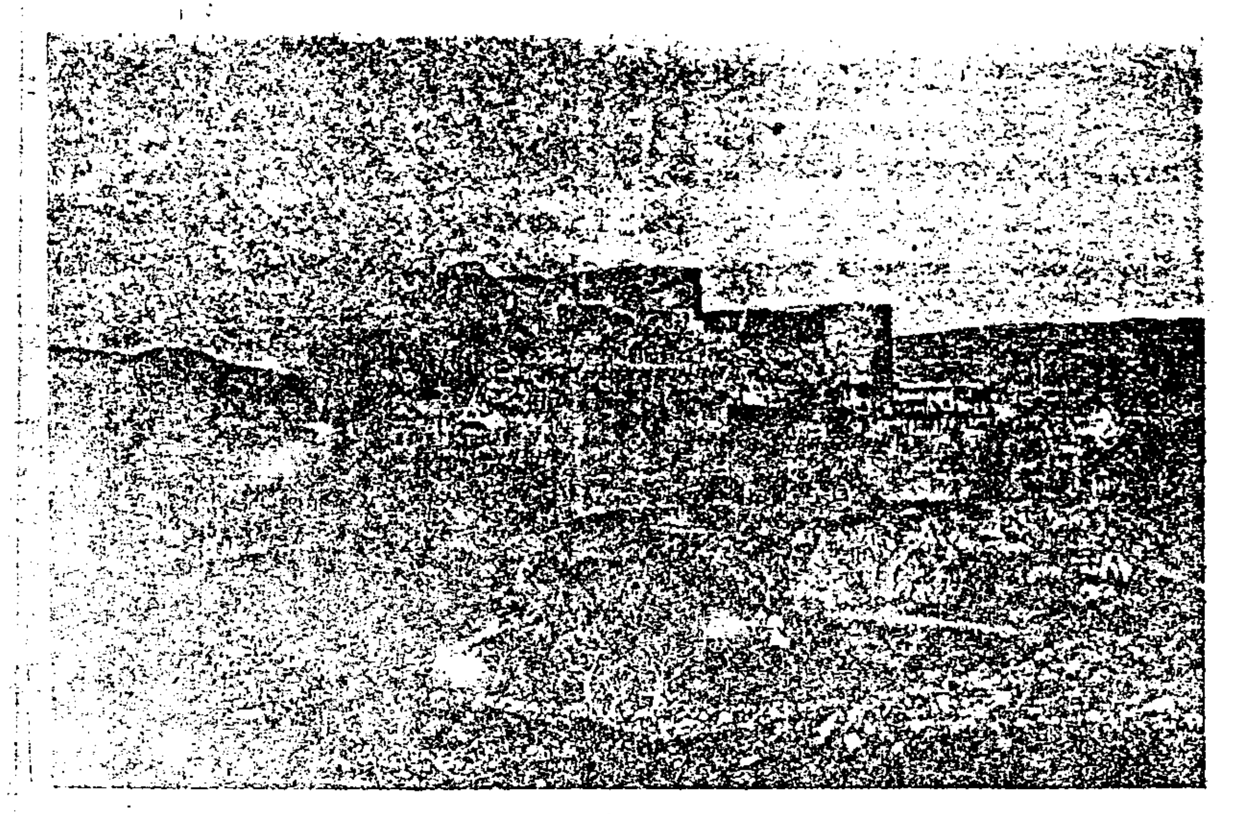
البوابة الرئيسية لقلعة كوكب

من كتاب جوناثان رايلي سميث : الاسبتارية ص 121



قلعـة المرقب

من كتاب : جوناثان رايلي سميث الإسبتارية فرسان القديس يوحنا
في بيت المقدس وقبرص ص 327



حصن الكرك

عاشور (عبد الفتاح): الحركة الصليبية، ج ٢، ص ١٨٥٤.

الخرائط

مرعش
دلوك
عين تاب
تل باشر
نهر الأسود
نهر عفرين
دربساك
بغراس
البحر المتوسط
أنطاكية
البلاط حارم
تزاعة
منبج
حلب
نهر العاصي
معرة النعمان
كفرطاب
شيزر
اللاذقية
حماة
صفين
سلمية
المرقب
أنطرطوس
العريمة
عرقة
بعرين
حصن الأكراد
حمص
طرابلس

القسم الشمالي من بلاد الشام

من كتاب أبي شامة الروضتين ج 1 ص 722

طرابلس
البترون
جبيل
بيروت
العاصي
البقاع
نهر بردى
البحر المتوسط
صيدا
أرنون
الشقيف
دمشق
مجعيون
صور
هونين
تبنين
الأحزان
بانياس
صفد
حطين
رأس الماء
الجولان
فاسية
عكا
طبرية
بحيرة طبرية
عشترا
الناصرة
حيفا
الجليل
اليرموك
كوكب
الفولة
الأقحوانة
قيسارية
عين جالوت
بيسان
نهر الأردن
بصرى
أرسوف
نابلس
يافا
اللد
الغور
الرملة
بيت المقدس
عسقلان
بيت لحم
البحر الميت
غزة
بيت جبرين
الداروم
حبرون
العريش
الكرك

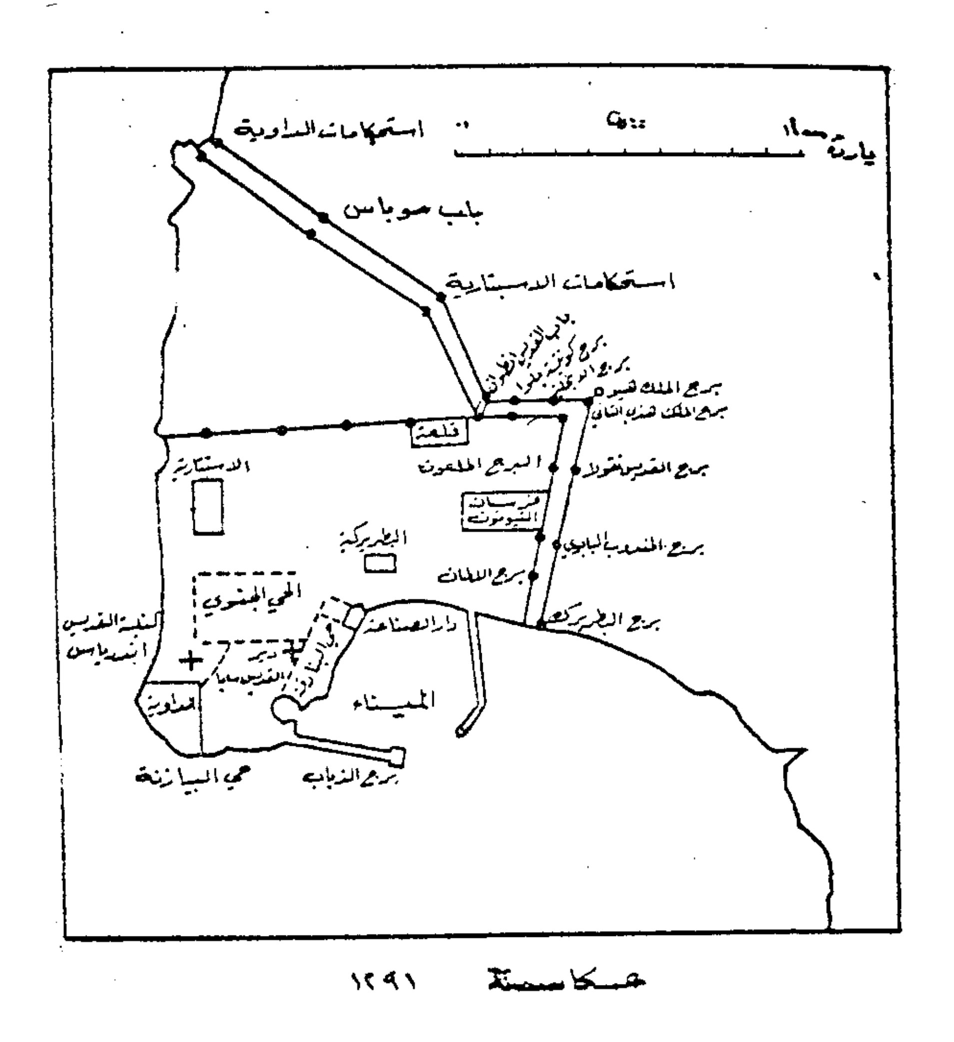
القسم الجنوبي من بلاد الشام
من كتاب أبي شامة الروضتين ج 1 ص 724



شمال الشام

من كتاب عاشور سعيد عبد الفتاح : الحركة الصليبية

عن كتاب : عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج ، ص 816



عكا سنة ١٢٩١

ستيفن رنسيمان : الحركة الصليبية، ج 3، ص 699

ملخص البحث

Il a aussi construit des citadelles et des sentinelles sur les montagnes des îles aux alentours de l'île de Rhodes, et tout cela a été conçu pour se défendre contre les Musulmans.

Ce qui suivent les étapes de la guerre croisades sur les terres saintes et la période de la présence de l'ordre sur l'île de Chypre et Rhodes, vont constater l'étendu de la participation de l'ordre dans toutes les batailles décisives entre les Musulmans et les croisés, et même dans les négociations, puisque les membres de cet ordre ont participé dans tout les accords établis par les Musulmans. Ce qui démontre encore une fois leur poids, leur réputation dans le déroulement des événements.

Bien qu'ils n'étaient pas nombreux, les chevaliers de l'ordre représentaient un élément important dans la politique d'affrontement.

Si les autres parties des croisades avaient démontré comme l'ordre le même engagement sérieux et la même patience, les événements auraient pris un autre chemin (finalité) et peut être ne serait pas au profit des Musulmans.

La fin de cet ordre était en 690 / 1291 date où il a été chassé des terres saintes, il s'est implanté alors à l'île de CHYPRE, dans la même année.

Il a été observé que l'ordre pendant sa présence à CHYPRE avait veillé à armer les bateaux obtenus de l'Europe ; pour qu'il puisse retourner aux terres saintes.

L'ordre des Hospitaliers avait assuré la protection des européens sur mer, la protection des côtes de Chypre et d'Arminie.

Et sur la grâce du pape Nicolas IV qui avait ordonné le 23/01/1293 au responsable de l'ordre d'utiliser les bateaux des Hospitaliers pour défendre les deux royaumes d'Arminie et de Chypre.

Cependant l'ordre des Hospitaliers a été opposé à de grandes contraintes de la part du roi de Chypre Henri II lequel avait imposé à l'ordre de payer des impôts de tête. Ce qui a engendré chez l'ordre l'idée de se déplacé à l'île de Rhodes qui n'est pas loin des terres saintes car l'ordre n'a jamais perdu un jour éspoire d'y revenir un jour.

Ce qu'on peut dire de la présence des Hospitaliers sur l'île de Rhodes que le haut responsable de cet ordre avait le pouvoir absolu dans la gestion des affaires de l'ordre.

Le gouvernement du haut responsable a connu la centralisation, c'est à dire que la gestion de ses affaires était sous surveillance et sous connaissance du haut responsable. Pendant sa présence sur l'île l'ordre a monopolisé tous les postes gouvernementales puisque l'île de Rhodes a été dénommé « l'état des Hospitaliers » grâce a ces moyens et capacités.

Ses moyens défensifs ont permis à l'ordre de préserver son état à l'est de la méditerranée plus de deux siècles.

Les chercheurs qui travaillent sur l'établissement de cet ordre sur l'île de Rhodes et ses réalisations vont constater que cet ordre avait donné plus de soins à la construction, puisqu'il a établi des murs des citadelles, des tours annexes à Rhodes de capitale, il a divisé la capitale en quartiers : quartier militaire, quartier bourgeois, et des tours surtout à la capitale.

CONCLUSION :

L'ordre des Hospitaliers est considéré comme l'un des piliers sur lequel s'était établie la politique de l'église en dehors de l'Europe. Il a été fondé pendant la période qui a précédé la 1ère croisade, Puisque l'on a fondé un hôpital à Jérusalem, d'ou cette dénomination : « L'ordre des Hospitaliers ». l'objectif par l'établissement de cet hôpital était de porter secours aux malades chrétiens.

L'ordre a été surnommé aussi l'ordre des chevaliers du saint Jean de Jérusalem ; ce groupe avait un rôle actif dans toutes les étapes de la guerre des croisés, ce qui est confirmé a travers les deux changements dans le système de l'ordre au XII et XIII siècle. En effet l'élément militaire a tellement évolué qu'il a fini par prendre dessus, mais ceci était répondre aux pressions sociales. Aussi dés que des chevaliers fut établi, elle a immédiatement monopolisé les régions occupées.

L'histoire des guerres des croisades nous montre que les chevaliers des Hospitaliers étaient les plus acharnés, les plus solides, et les plus agressifs en guerre, et ce après que leur rôle a été modifié du service social au service militaire.

L'ordre des Hospitaliers a joué plusieurs rôles au guerres contre les musulmans, puisqu'il a défendu avec acharnement la ville de BANIAS 552 H / 1156. comme il a été d'un appui solide au roi Baldwin IV dans sa lutte contre le Sultan Salah Eddine.

Malgré cela le Sultan Salah Eddine grâce a son habilité et grâce à la force de son armée, il a pu récupéré toutes ses citadelles qui étaient sous l'autorité des Hospitaliers. Comme il a pu aussi récupéré Jérusalem qui était la base de cet ordre.

A partir de cette date l'ordre s'est trouvé affaibli en considérant son rôle à l'origine sociaux religieuse.

chapitre en deux parties ; une partie réservée aux relations entre les croisades en RHODES avec Sultans Mamalik en terres saintes et une partie réservée à la relation de cet ordre à RHODES avec les Othmans. Dans la première partie j'ai mis en relief le rôle de cet ordre dans le convoie croisade sur Alexandrie 757 / 1365 ainsi que la participation de cet ordre dans la lutte contre les attaques Mamloukites sur l'île de RHODES.

Dans la deuxième partie, j'ai essayé de démontrer l'étendu de cet appui de cet ordre au côté des autres parties des croisés pour détruire les forces de l'état Othmans. Cet ordre a participé dans l'invasion de la ville d'IZMIR (en Turquie) 1344, il a aussi un rôle dans l'accord de paix entre les Othmans et les croisés 1347 - 1351.

J'a i essayé dans ce chapitre de montrer la position des cet ordre contre la menace des sultans Othmans contre RHODES et AZMIR. J'ai terminé ce chapitre en abordant le sort de cet ordre après que l'état Othmans a envahi Constantinople 837-1453 jusqu'à l'envahissement de RHODES 928-1522.

J'ai éclairé le rôle de cet ordre sa participation dans la bataille de HITTIN 583 H / 1187. et l'impacte de cette bataille sur cet ordre.

Après ; j'ai mit en relief, aussi son rôle dans le convoi sur Démiat 615 – 618 / 1218 – 1221. en fin la position de cet ordre dans la deuxième bataille de Ghaza 642 / 1244.

- Troisième chapitre : intitulé : **le rôle croisades depuis 658 – 709 H / 1260 – 1310.**

J'ai abordé dans ce chapitre, la participation de cet ordre dans la lutte avec l'état Mamelouk en Egypte et aussi : brièvement, le rôle qu'elle a joué dans la lutte entre les croisés et le sultan EL DHAHER Bibress 658-676 / 1260 – 1277. Aussi j'ai essayé de montrer l'activité de cet ordre à l'époque du sultan El Mansour Saif Eddine Kalaoune 678 – 689 / 1279 – 1290.

Et puis j'ai démontré le rôle de cet ordre dans la défense d'AGRE à l'époque de l'honorable El Achraf Salah Eddine KHALIL 689 – 690 / 1290 – 1291 ; et comment cet ordre c'est déplacé à CHYPRE, ainsi que les plus importants de ces activités, puisque cet ordre a été transformé aussi en une puissance marine, non négligeable, j'ai démontré aussi le rôle que les membres du conseil de l'administration de cet ordre des Hospitaliers ont joué dans la réorganisation de l'ordre, ainsi que les tentatives militaires pour retourner sur les terres saintes.

A la fin de ce chapitre, j'ai essayé de montrer les circonstances de son déplacement vers l'île de RHODES 709/1310, et les contraintes qu'il a rencontré pour envahir cette île.

- Quatrième chapitre : intitulé : **la lutte des Hospitaliers avec les forces islamiques 709 – 928 / 1310 – 1522**

j'ai essayer dans ce chapitre d'éclairer ce grand rôle joué par cet ordre dans la lutte avec les forces islamiques. De ce fait, j'était obligé de diviser ce

transforma en ordre militaire, il a jouer un rôle capitale dans la dernière phase de la croisade, il était le bouclier protecteur pour tous les croisés.

Ce sujet est réparti en : une introduction, quatre chapitres et une conclusion :

- Premier chapitre : intitulé : **la création de l'ordre des Hospitaliers et ses règlements intérieurs.**

J'ai traité brièvement dans ce chapitre des circonstances générales de sa création j'ai mis en relief les conditions d'adhésion, ainsi que ses institutions internes, en se concentrant sur son appareil administratif et ce sur les terres saintes. Et puis j'ai entamé la manière dont cette institution a été renouvelée en CHYPRE et ce depuis 690 H / 1291. après j'ai essayé de montré les changements survenus à cet ordre pendant sa présence à RHODES, après qu'il a quitté CHYPRE depuis 709 H / 1310.
J'ai montré comment cet ordre a été réparti en communauté locale et l'attendu du pouvoir et de la conférence de cet ordre sur l'orientation de sa politique. Et j'ai terminé ce chapitre en expliquant l'autorité du conseil des HOSPITALIERS sur l'administration centrale et générale.

- Deuxième chapitre : intitulé : **le rôle croisades de l'ordre des Hospitaliers ; de sa transformation en puissance militaire jusqu'à la deuxième bataille de Ghaza 543 – 642 / 1148 – 1244.**

J'ai traité les circonstances de sa transformation militaire : comment elle a été un appui solide par l'armée des croisades. J'ai montré aussi son rôle dans la défense de Jérusalem 547 H / 1152, ainsi que son rôle dans l'affrontement entre les croisés et le Sultan Salah Eddine El Ayoubi.

RESUMÉ DE LA THÈSE :

Pour étudier l'activité croisade, il est nécessaire de donner une importance particulière à l'ordre des hospitaliers 492 – 928 H / 1099 – 1522, cet ordre à jouer un rôle distingué sur les terres saintes et sur les îles de CHYPRE et de RHODES, dans l'affrontement entre les musulmans et les chrétiens, cet ordre, en ses chevaliers, a représenté un parti décisif et non négligeable sur le champ du litige dans l'orient islamique. Il a presque participé dans toutes les batailles décisives, entre les musulmans et les croises.

Après que son rôle était limité à l'action humanitaire, il a jouer aussi un rôle dans les relations pécunaires avec plusieurs parties, et ce grâce à l'élargissement de ses biens.

Mon intention était en premier lieu focalisée sur l'activité croisade de cet ordre, ce sujet bien qu'il soit important, il n'a pas été traité avec soin par les chercheurs musulmans ou chrétiens.

C'est ainsi que j'ai suivi le rôle de l'ordre des Hospitaliers pour mettre en relief clairement et correctement cette activité. De ce fait, je participe d'une part à éclairer la vision islamique de ce sujet, et d'autre part à enrichir la bibliothèque ARABE MUSULMANE ; et j'ai essayer de montrer le type de relation entre l'orient islamique et l'occident européen et de ce qu'elle ont engendrées suite à l'augmentation de connaissances de l'est sur l'ouest et de l'ouest sur l'est.

L'ordre des Hospitaliers est un groupe d'hommes chrétiens qui se sont donnés pour servir le religion. Au départ cet ordre se concentrait sur le côté humain – secoure des pèlerinages chrétiens, mais très vite, il se

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة البحث

الصفحة

الفصل الأول :

قيام هيئة الإسبتارية و تنظيماتها :

الفصل الثاني :

الدور الصليبي لهيئة الإسبتارية منذ تحولها إلى قوة عسكرية
حتى معركة غزة الثانية 543 – 642 هـ / 1148 – 1244 م .

الصفحة

الفصل الثالث :

دور الإسبتارية الصليبي منذ 658 – 709 هـ / 1260 – 1310 م :

الفصل الرابع:

صراع الاسبتارية مع القوى الاسلامية 709-928هـ/1310-1522م

الصفحة

الصفحة